UNIVERSAL LIBRARY

الجزء الرابع والعشرون

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدّث الشهير من أطبقت الأمة على تقدمه فى التفسير

أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشـــه

تفسير غرائب القـرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدّست أسراره

« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه « أى الطبرى » أجلّ التفاسير وأعظمها فانه يتعرّض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفراينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

تنبيـــه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصـــر المحميه

سـنة ١٣٢٨ هجريه

الجزء الرابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذجاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انك يامحمد ميت عن قليل وان هؤلاء المكذبيك من قومك والمؤمنين منهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون يقول ثم ان جميعكم المؤمنين والكافرين يوم القيامة عند ربكم تختصمون فيأخذ للمظلوم منكم من الظالم ويفصل بين جميعكم بالحق واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم عنى به اختصام المؤمنين والكافرين واختصام المظلوم والظالم ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون يقول يخاصم الصادق الكاذب والمظلوم الظالم والمهتدى الضال والضعيف المستكبر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال أهل الاسلام وأهل الكفر حدثنى ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال ثنا ابن الدراوردى قال ثنى محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت هذه الآية انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يارسول الله أينكر علينا ما كان بيننا فى الدنيا مع خواص الذنوب فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم حتى يؤدى الى كل ذى حق حقه * وقال آخرون بل عنى بذلك اختصام أهل الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد عن ابن عمر

﴿فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون قل ياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون

قال نزلت علينا هذه الآية وما ندرى ما تفسيرها حتى وقعت الفتنة فقلنا هذا الذى وعدنا ربنا
أن نختصم فيه ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا
ابن عون عن ابراهيم قال لما نزلت انك ميت وانهم ميتون ثم انكم الآية قالوا ما خصومتنا بيننا ونحن
اخوان قال فلما قتل عثمان بن عفان قالوا هذه خصومتنا بيننا حدثت عن ابن أبى جعفر عن أبيه
عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال هم أهل القبلة
* وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال عنى بذلك انك يا محمد ستموت وانكم أيها الناس ستموتون
ثم ان جميعكم أيها الناس تختصمون عند ربكم مؤمنكم وكافركم ومحقوكم ومبطلوكم وظالموكم
ومظلوموكم حتى يؤخذ لكل منكم ممن لصاحبه قبله حق حقه وانما قلنا هذا القول أولى بالصواب
لان الله عم بقوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون خطاب جميع عباده فلم يخصص بذلك
منهم بعضا دون بعض فذلك على عمومه على ما عمه الله به وقد تنزل الآية فى معنى ثم يكون داخلا
فى حكمها كل ما كان فى معنى ما نزلت به وقوله فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه
يقول تعالى ذكره فمن من خلق الله أعظم فرية ممن كذب على الله فادّعى أن له ولدا وصاحبة أو أنه
حرم ما لم يحرمه من المطاعم وكذب بالصدق اذ جاءه يقول وكذب بكتاب الله اذ أنزله على محمد وابتعثه
الله به رسولا وأنكر قول لا اله الا الله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكذب بالصدق اذ جاءه أى بالقرآن وقوله
أليس فى جهنم مثوى للكافرين يقول تبارك وتعالى أليس فى النار مأوى ومسكن لمن كفر بالله
وامتنع من تصديق محمد صلى الله عليه وسلم واتباعه على ما يدعوه اليه مما أتاه به من عند الله من
التوحيد وحكم القرآن * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ والذى جاء بالصدق وصدّق به أولئك
هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ﴾ اختلف أهل التأويل فى الذى جاء
بالصدق وصدّق به وما ذلك فقال بعضهم الذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا
والصدق الذى جاء به لا اله الا الله والذى صدق به أيضا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من
قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله والذى جاء
بالصدق يقول من جاء بلا اله الا الله وصدق به يعنى رسوله * وقال آخرون الذى جاء بالصدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر رضى الله عنه ذكر من قال ذلك حدثنى
أحمد بن منصور قال ثنا أحمد بن مصعد المروزى قال ثنا عمر بن ابراهيم بن خالد عن عبد الملك
ابن عمير عن اسيد بن صفوان عن على رضى الله عنه فى قوله والذى جاء بالصدق قال محمد صلى الله
عليه وسلم وصدق به قال أبو بكر رضى الله عنه * وقال آخرون الذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله
عليه وسلم والصدق القرآن والمصدقون به المؤمنون ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة والذى جاء بالصدق قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالقرآن
وصدق به المؤمنون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذى جاء
بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به المسلمون * وقال آخرون الذى جاء بالصدق
جبريل والصدق القرآن الذى جاء به من عند الله وصدق به رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من
قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله والذى جاء بالصدق
وصدق به محمد صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون الذى جاء بالصدق المؤمنون والصدق القرآن
وهم المصدقون به ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد

قل اللهم فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين
عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ولو
أن للذين ظلموا ما فى الارض جميعا
ومثله معه لافتدوا به من سوء
العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم
سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا
به يستهزؤن فاذا مس الانسان
ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا
قال انما أوتيته على علم بل هى فتنة
ولكن أكثرهم لا يعلمون قد قالها
الذين من قبلهم فما أغنى عنهم
ما كانوا يكسبون فأصابهم سيئات
ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء
سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم
بمعجزين أولم يعلموا أن الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك
لآيات لقوم يؤمنون * قل يا عبادى
الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم وأنيبوا
الى ربكم وأسلموا له من قبل أن
يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا
أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من
قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم
لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتا
على ما فرطت فى جنب الله وان
كنت لمن الساخرين أو تقول
لو أن الله هدانى لكنت من المتقين
أو تقول حين ترى العذاب لو أن
لى كرّة فأكون من المحسنين
بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها
واستكبرت وكنت من الكافرين
ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله
وجوههم مسودّة أليس فى جهنم
مثوى للمتكبرين وينجى الله الذين

اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والارض والذين كفروا
بآيات الله أولئك هم الخاسرون قل أفغير الله (٤) تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت
ليحبطن عملك ولتكونن من
الخاسرين بل الله فاعبد وكن من
الشاكرين وما قدروا الله حق قدره
والارض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه
سبحانه وتعالى عما يشركون ونفخ
فى الصور فصعق من فى السموات
ومن فى الارض الا من شاء الله
ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون
وأشرقت الارض بنور ربها ووضع
الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء
وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون
ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم
بما يفعلون وسيق الذين كفروا
الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها
فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها
ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم
آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم
هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة
العذاب على الكافرين قيل ادخلوا
أبواب جهنم خالدين فيها فبئس
مثوى المتكبرين وسيق الذين
اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا
جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم
خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا
وعده وأورثنا الارض نتبوأ من
الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين
وترى الملائكة حافين من حول
العرش يسبحون بحمد ربهم
وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله
رب العالمين ﴾ ۞ القراآت عباده
على الجمع يزيد وحمزة وعلى وخلف
أرادنى الله بسكون الياء حمزة
كاشفات بالتنوين ضره بالنصب
وهكذا ممسكات رحمته أبو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالاضافة فيهما قضى عليها مجهولا الموت بالرفع السيآت
حمزة وعلى وخلف يا عبادى الذين أسرفوا بسكون الياء حمزة وعلى وخلف وأبو عمرو وسهل ويعقوب والوقف للجميع بالياء لاغير

قوله والذى جاء بالصدق وصدق به قال الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة فيقولون هذا الذى
أعطيتمونا فاتبعنا ما فيه * قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد والذى جاء بالصدق
وصدق به قال هم أهل القرآن يجيئون به يوم القيامة يقولون هذا الذى اعطيتمونا فاتبعنا ما فيه *
والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره عنى بقوله والذى جاء بالصدق وصدق به
كل من دعا الى توحيد الله وتصديق رسوله والعمل بما ابتعث به رسوله صلى الله عليه وسلم
من بين رسول الله وأتباعه والمؤمنين به وأن يقال الصدق هو القرآن وشهادة أن لا اله الا الله
والمصدق به المؤمنون بالقرآن من جميع خلق الله كائنا من كان من نبى الله وأتباعه وانما قلنا ذلك
أولى بالصواب لأن قوله تعالى ذكره والذى جاء بالصدق وصدق به عقيب قوله فمن أظلم ممن كذب
على الله وكذب بالصدق اذ جاءه وذلك ذم من الله للمفترين عليه المكذبين بتنزيله ووحيه الجاحدين
وحدانيته فالواجب أن يكون عقيب ذلك مدح من كان بخلاف صفة هؤلاء المذمومين وهم الذين
دعوهم الى توحيد الله ووصفه بالصفة التى هو بها وتصديقهم بتنزيل الله ووحيه والذين هم كانوا
كذلك يوم نزلت هذه الآية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن بعدهم القائمون فى كل عصر
وزمان بالدعاء الى توحيد الله وحكم كتابه لأن الله تعالى ذكره لم يخص وصفه بهذه الصفة التى فى هذه
الآية على أشخاص بأعيانهم ولا على أهل زمان دون غيرهم وانما وصفهم بصفة ثم مدحهم بها وهى
المجىء بالصدق والتصديق به فكل من كان كذلك وصفه فهو داخل فى جملة هذه الآية اذا كان من
بنى آدم ومن الدليل على صحة ما قلنا أن ذلك كذلك فى قراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق
وصدقوا به فقد بين ذلك من قراءته أن الذى من قوله والذى جاء بالصدق لم يعن بها واحد بعينه
وأنه مراد بها جماع ذلك صفتهم ولكنها أخرجت بلفظ الواحد اذ لم تكن مؤقتة وقد زعم بعض أهل
العربية من البصريين أن الذى فى هذا الموضع جعل فى معنى جماعة بمنزلة من ومما يؤيد ما قلنا
أيضا قوله أولئك هم المتقون فجعل الخبر عن الذى جماعا لأنها فى معنى جماع وأما الذين قالوا عنى بقوله
وصدق به غير الذى جاء بالصدق فقول بعيد من المفهوم لان ذلك لو كان كما قالوا لكان التنزيل
والذى جاء بالصدق والذى صدق به أولئك هم المتقون فكانت تكون الذى مكررة مع التصديق
ليكون المصدق غير المصدق فأما اذ لم يكرر فان المفهوم من الكلام أن التصديق من صفة الذى جاء
بالصدق لا وجه للكلام غير ذلك واذا كان ذلك كذلك وكانت الذى فى معنى الجماع بما قد بينا
كان الصواب من القول فى تأويله ما بينا وقوله أولئك هم المتقون يقول جل ثناؤه هؤلاء الذين هذه
صفتهم هم الذين اتقوا الله بتوحيده والبراءة من الاوثان والانداد وأداء فرائضه واجتناب معاصيه
فخافوا عقابه كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس أولئك
هم المتقون يقول اتقوا الشرك وقوله لهم ما يشاؤن عند ربهم يقول تعالى ذكره لهم عند ربهم
يوم القيامة ما تشتهيه أنفسهم وتلذه أعينهم ذلك جزاء المحسنين يقول تعالى ذكره هذا الذى لهم
عند ربهم جزاء من أحسن فى الدنيا فأطاع الله فيها وأتمر لأمره وانتهى عما نهاه فيها عنه ۞ القول
فى تأويل قوله تعالى ﴿ ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا
يعملون ﴾ يقول تعالى ذكره وجزى هؤلاء المحسنين ربهم باحسانهم كى يكفر عنهم أسوأ الذى
عملوا فى الدنيا من الاعمال فيما بينهم وبين ربهم بما كان منهم فيها من توبة وانابة مما اجترحوا من

السيآت فيها و يجزيهم أجرهم يقول ويثيبهم ثوابهم بأحسن الذى كانوا فى الدنيا يعملون مما يرضى الله عنهم دون أسوئها كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والذى جاء بالصدق وصدّق به أولئك هم المتقون ألهم ذنوب أى رب نعم لهم فيها ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون وقرأ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى أن بلغ ومغفرة لئلا ييئس من لهم الذنوب أن لا يكونوا منهم ورزق كريم وقرأ ان المسلمين والمسلمات الى آخر الآية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أليس الله بكاف عبده و يخوّفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام﴾ اختلفت القراء فى قراءة أليس الله بكاف عبده فقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة أليس الله بكاف عباده على الجماع بمعنى أليس الله بكاف محمدا وأنبياءه من قبله ما خوفتهم أممهم من أن تنالهم آلهتهم بسوء وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة و بعض قراء الكوفة بكاف عبده على التوحيد بمعنى أليس الله بكاف عبده محمدا * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لصحة معنييهما واستفاضة القراءة بهما فى قرأة الامصار و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى أليس الله بكاف عبده يقول محمد صلى الله عليه وسلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أليس الله بكاف عبده قال بلى والله ليكفينه الله و يعزه وينصره كما وعده وقوله و يخوّفونك بالذين من دونه يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم و يخوّفك هؤلاء المشركون يا محمد بالذين من دون الله من الاوثان والآلهة أن تصيبك بسوء ببراءتك منها وعيبك لها والله كافيك ذلك و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة و يخوّفونك بالذين من دونه الآلهة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى شعب (١) بسقام ليكسر العزى فقال سادنها وهو قيمها يا خالد أنا أحذركها ان لها شدة لا يقوم اليها شئ فمشى اليها خالد بالفأس فهشم أنفها حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى و يخوّفونك بالذين من دونه يقول بآلهتهم التى كانوا يعبدون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله و يخوّفونك بالذين من دونه قال يخوّفونك بآلهتهم التى من دونه وقوله ومن يضلل الله فما له من هاد يقول تعالى ذكره ومن يخذله الله فيضله عن طريق الحق وسبيل الرشد فما له سواه من مرشد ومسدّد الى طريق الحق وموفق للايمان بالله وتصديق رسوله والعمل بطاعته ومن يهد الله فما له من مضل يقول ومن يوفقه الله للايمان به والعمل بكتابه فما له من مضل يقول فما له من مزيغ يزيغه عن الحق الذى هو عليه الى الارتداد الى الكفر أليس الله بعزيز ذى انتقام يقول جل ثناؤه أليس الله يا محمد بعزيز فى انتقامه من كفرة خلقه ذى انتقام من أعدائه الجاحدين وحدانيته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين العادلين بالله الاوثان والاصنام من خلق السموات والارض ليقولن

(١) سقام كغراب واد بالحجاز حمته قريش للعزى يضاهؤن به حرم الكعبة اهـ من معجم ياقوت

يا حسرتاى بياء بعد الف يزيد الآخرون بالالف وحدها و ينجى الله بالتخفيف روح بمفازاتهم على الجمع حمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص والمفضل تأمرونى بتشديد النون وفتح الياء ابن كثير تأمروننى بنونين (٥) وسكون الياء ابن عامر تأمرونى بنون واحدة وفتح الياء أبو جعفر ونافع الباقون بتشديد النون وسكون الياء لنحبطن بالنون من الاحباط عملك بالنصب يزيد الآخرون على الغيبة وفتح العين عملك بالرفع وسيق بضم السين وكسر الياء ابن عامر وعلى ورويس فتحت بالتخفيف حمزة وعلى وخلف وعاصم غير المفضل فى الحرفين ۞ الوقوف اذ جاءه ط للكافرين ٥ المتقون ٥ عند ربهم ط المحسنين ٥ ج لاحتمال تعلق اللام بمحذوف كما يجىء يعملون ٥ عبده ط من دونه ط من هاد ٥ ج مضل ط انتقام ٥ ليقولن الله ط رحمته ط حسبى الله ط المتوكلون ٥ عامل ج لابتداء التهديد مع فاء التعقيب تعلمون ٥ لا مقيم ٥ بالحق ج لاختلاف الجملتين فلنفسه ج عليها ج للابتداء بالنفى مع العطف بوكيل ٥ ج فى منامها ج مسمى ط يتفكرون ٥ شفعاء ط يعقلون ٥ جميعا ط والارض ط بناء على أن ثم لترتيب الاخبار ترجعون ٥ بالآخرة ط ج فصلا بين الجملتين مع اتفاقهما نظما يستبشرون ٥ يختلفون ٥ القيامة ط يحتسبون ٥ يستهزؤن ٥ دعانا ز فصلا بين تناقض الحالين مع اتفاق الجملتين منا لا لأن ما بعده جواب على علم ط لا يعلمون ٥ يكسبون ٥ ما كسبوا الاولى ط ما كسبوا الثانية لا لان الواو للحال بمعجزين ٥ و يقدر ط يؤمنون ٥ رحمة الله ط جميعا ط الرحيم ٥ لا تنصرون ٥ لا تشعرون ٥ لا الساخرين ٥ لا المتقين ٥ لا المحسنين ٥ الكافرين ٥ مسودّة ط للمتكبرين ٥ بمفازتهم ز لاحتمال الاستئناف والحال أوجه يحزنون ٥ كل شئ ز للفصل بين الوصفين تعظيما مع اتفاق الجملتين وكيل ٥

والارض ط الخاسرون ٥ الجاهلون ٥ من قبلك ج لحق القسم المحذوف الخاسرين ٥ الشاكرين ٥ بيمينه ط
يشركون ٥ من شاء الله ج بيانا للتراخى (٦) النفخة الثانية عن الاولى مع اتفاق الجملتين ينظرون ٥ لا يظلمون ٥ يفعلون ٥

الذى خلقهن الله فاذا قالوا ذلك فقل أفرأيتم أيها القوم هـذا الذى تعبدون من دون الله من الاصنام والآلهة ان أرادنى الله بضر يقول بشدة فى معيشتى هل هن كاشفات عنى ما يصيبنى به ربى من الضر أو أرادنى برحمة يقول ان أرادنى ربى ان يصيبنى سعة فى معيشتى وكثرة مالى ورخاء وعافية فى بدنى هل هن ممسكات عنى ما أراد أن يصيبنى به من تلك الرحمة وترك الجواب لاستغناء السامع بمعرفة ذلك ودلالة ما ظهر من الكلام عليه والمعنى فانهم سيقولون لا فقل حسبى الله مما سواه من الاشياء كلها اياه أعبد واليه أفزع فى أمورى دون كل شئ سواه فانه الكافى و بيده الضر والنفع لا الى الاصنام والاوثان التى لا تضر ولا تنفع عليه يتوكل المتوكلون يقول على الله يتوكل من هو متوكل و به فليثق لا بغيره و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله حتى بلغ كاشفات ضره يعنى الاصـنام أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته واختلفت القراء فى قراءة كاشفات ضره وممسكات رحمته فقرأه بعضهم بالاضافة وخفض الضر والرحمة وقرأه بعض قراء المدينة وعامة قراء البصرة بالتنوين ونصب الضر والرحمة * والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وهو نظير قوله كيد الكافرين فى حال الاضافة والتنوين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه و يحل عليه عذاب مقيم ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك الذين اتخذوا الاوثان والاصنام آلهة يعبدونها من دون الله اعملوا أيها القوم على تمكنكم من العمل الذى تعملون ومنازلكم كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله على مكانتكم قال على ناحيتكم انى عامل كذلك على تؤدة على عمـل من سلف من أنبياء الله قبلى فسوف تعلمون اذا جاءكم بأس الله من المحق منا من المبطل والرشيد من الغوىّ وقوله من يأتيه عذاب يقول تعالى ذكره من يأتيه عذاب يخزيه ما أتاه من ذلك العذاب يعنى يذله و يهينه و يحل عليه عذاب مقيم يقول و ينزل عليـه عذاب دائم لا يفارقه ۞ القول فى تأويل قوله تعـالى ﴿ انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضـل عليها وما أنت عليهم بوكيل ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انا أنزلنا عليك يا محمد الكتاب تبيانا للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه يقول فمن عمل بما فى الكتاب الذى أنزلناه اليك واتبعه فلنفسه يقول فانما عمل بذلك لنفسه واياها بغى الخير لا غيرها لانه أكسبها رضا الله والفوز بالجنة والنجاة من النار ومن ضل يقول ومن جار عن الكتاب الذى أنزلناه اليك والبيان الذى بيناه لك فضل عن قصـد المحجة وزال عن سواء السبيل فانمـا يجور على نفسه واليها يسوق العطب والهلاك لانه يكسبها سخط الله وأليم عقابه والخزى الدائم وما أنت عليهم بوكيل يقول تعالى ذكره وما أنت يا محمد على من أرسلتك اليه من النـاس برقيب ترقب أعمالهم وتحفظ عليهم أفعالهم انمـا أنت رسول وانمـا عليك البلاغ وعلينا الحساب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أنت عليهم بوكيل أى بحفيظ حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وما أنت عليهم بوكيل قال بحفيظ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها

زمرا ط هذا ط الكافرين ٥ فيها ج المتكبرين ٥ زمرا ط خالدين ٥ نشاء ج العاملين ٥ ربهم ج لان الماضى لا ينعطف على المستقبل ولا احتمال جعله حالا وقد قضى بين الزمرين العالمين ٥

۞ التفسير لما ضرب لعبدة الاصنام مثلا أشار الى نوع آخر من قبائح أفعالهم وهو أنهم يضمون على كذبهم على الله باضافة الشريك والولد اليـه تكذيبهم بالصـدق يعنى الأمر الذى هو الصـدق بعينه أى القرآن ومعنى (اذ جاءه) أنه لم يراع طريقة أهل الانصاف والتدبر لكنه لما سمع به فاجأه بالتكذيب واللام فى قوله (للكافرين) لهؤلاء المعهودين الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق قال جار الله ويحتمل أن يكون للعموم فيشملهم وغيرهم من الكفرة وحين بين وعيدهم عقبه بوعد الصادقين المصدقين وهم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل الرسول وأبو بكر والتعميم أولى لقوله (أولئك هم المتقون) قوله (ليكفر) ظاهره تعلقه بيشاؤن فتكون لام العاقبة و يحتمل تعلقه بمحذوف اى جزاؤهم واكرامهم لاجل ذلك قال جار الله الأسوأ ههنا ليس للتفضيل وانما هو كقولهم الأشج أعدل بنى مروان وفائدة صيغة التفضيل استعظامهم المعصية حتى ان الصغائر عندهم أسوأ أعمالهم وقال بعض المفسرين أراد به الكفر السابق الذى يمحوه الايمان واستدل مقاتل وكان شيخ المرجئة بهذه الآية فانها تدل على أن من صدق الانبياء فانه تعالى يكفر عنه أسوأ الاعمال التى أتى بها بعد الايمان فيمسك والوصف بالتقوى وفيه نظر ثم انهم كانوا يخوفون المؤمنين والنبى صلى الله عليه وسلم برفض آلهتهم وتحقيرها ويروى أنه بعث خالدا الى العزى

ليكسرها فقال له سادنها أحذركها يا خالد ان لها شدة فعمد خالد اليها فهشم أنفها فأنزل الله تعالى (أليس الله بكاف عبده) أي نبيه بدليل قوله
(ويخوفونك) ومن قرأ على الجمع فهي للعموم والآيات الى قوله بوكيل ظاهرة مع أنها تعلم مما سبق ذكرها مرارا

فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾
يقول تعالى ذكره ومن الدلالة على أن الالوهة لله الواحد القهار خالصة دون كل ماسواه أنه يميت ويحيي ويفعل مايشاء ولا يقدر على ذلك شئ سواه فجعل ذلك خبرا نبههم به على عظيم قدرته فقال الله يتوفى الانفس حين موتها فيقبضها عند فناء أجلها وانقضاء مدة حياتها ويتوفى أيضا التي لم تمت في منامها كما التي ماتت عند مماتها فيمسك التي قضى عليها الموت ذكر أن أرواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فيتعارف ماشاء الله منها فاذا أراد جميعها الرجوع الى أجسادها أمسك الله أرواح الاموات عنده وحبسها وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع الى أجسادها الى أجل مسمى وذلك الى انقضاء مدة حياتها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير في قوله الله يتوفى الانفس حين موتها الآية قال يجمع بين أرواح الاحياء وأرواح الاموات فيتعارف منها ماشاء الله أن يتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجسادها حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله الله يتوفى الانفس حين موتها قال تقبض الارواح عند نيام النائم فتقبض روحه في منامه فتلتقي الارواح بعضها بعضا أرواح الموتى وأرواح النيام فتلتقي فتساءل قال فيخلي عن أرواح الاحياء فترجع الى أجسادها وتريد الأخرى أن ترجع فيحبس التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى قال الى بقية آجالها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها قال فالنوم وفاة فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى التي لم يقبضها الى أجل مسمى وقوله ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون يقول تعالى ذكره ان في قبض الله نفس النائم والميت وارساله بعد نفس هذا ترجع الى جسمها وحبسه لغيرها عن جسمها لعبرة وعظة لمن تفكر وتدبر وبيانا له أن الله يحيي من يشاء من خلقه اذا شاء ويميت من شاء اذا شاء ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التي يعبدونها شفعاء تشفع لهم عند الله في حاجاتهم وقوله قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهم أتتخذون هذه الآلهة شفعاء كما تزعمون ولو كانوا لا يملكون لكم نفعا ولا ضرا ولا يعقلون شيأ قل لهم ان تكونوا تعبدونها لذلك وتشفع لكم عند الله فأخلصوا عبادتكم لله وأفردوه بالالوهة فان الشفاعة جميعا له لا يشفع عنده الا من أذن له ورضي له قولا وأنتم متى أخلصتم له العبادة فدعوتموه شفعكم له ملك السموات والارض يقول له سلطان السموات والارض وملكها وما تعبدون أيها المشركون من دونه ملك له يقول فاعبدوا الملك لا المملوك الذي لا يملك شيأ ثم اليه ترجعون يقول ثم الى الله مصيركم وهو معاقبكم على اشراككم به ان متم على شرككم ومعنى الكلام لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض فاعبدوا المالك الذي له ملك السموات والارض الذي يقدر على نفعكم في الدنيا وعلى ضركم فيها وعند مرجعكم اليه بعد مماتكم فانكم اليه ترجعون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أم اتخذوا من دون الله شفعاء الآلهة قل أولو كانوا لا يملكون شيأ الشفاعة

والعذاب الخزي عذاب يوم بدر والعذاب المقيم العذاب الدائم في الآخرة ومدار هذه الآي على تسلية النبي صلى الله عليه وسلم ثم أكد كون الهداية والضلال من الله تعالى بقوله (الله يتوفى الانفس) وذلك أن الحياة واليقظة تشبه الهداية والموت والنوم يضاهي الضلال فكما أن الحياة والموت واليقظة والنوم لا يحصلان الا بتخليق الله وتكوينه فكذلك الهداية والضلال والعارف بهذه الدقيقة عارف بسر الله في القدر ومن عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب ففيه تسلية أخرى للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل في وجه النظم انه تعالى أراد أن يذكر حجة أخرى على اثبات الاله العليم القدير ليعلم أنه أحق بالعبادة من كل ماسواه فضلا عن الاصنام ومعنى الآية أن الله تعالى يتوفى الأنفس حين موتها قال جار الله أراد بالأنفس الجملة كما هي لانها هي التي تنام وتموت (و) يتوفى الانفس (التي لم تمت في منامها) أي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل والحاصل أنه يتوفى الانفس مرتين مرة عند موتها ومرة عند نومها فتكون في متعلقة بيتوفى والتوفي مستعمل في الاول حقيقة وفي الثاني مجازا ولم يجوزه كثير من أئمة الاصول وقال الفراء في متعلقة بالموت وتقديره ويتوفى الانفس التي
لم تمت في منامها عند انقضاء حياتها ثم بين الفرق بين الحالين بقوله (فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى)
من غير غلط وقال حكماء الاسلام النفس الانسانية جوهر مشرق نوراني اذا تعلق بالبدن حصل ضوءه في جميع الاعضاء ظاهرها وباطنها

وهوالحياة واليقظة وأما فى وقت النوم فان ضوءه لا يقع الا على باطن البدن وينقطع عن ظاهره فتبقى نفس الحياة التى بها النفس وعمل القوى البدنية فى الباطن ويفنى ما به التمييز والعقل واذا انقطع هذا الضوء بالكلية عن البدن فهو الموت ومثل هذا التدبير العجيب لا يمكن صدوره الا من القدير الخبير الذى لا شريك له فى ملكه ولا نظير ولهذا ختم الآية بقوله (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ثم كان للمشرك أن يقول انما نعبد الاصنام لانها تماثيل أشخاص كانوا عند الله مقربين فنحن نرجو شفاعتهم فأنكر الله عليهم بقوله (أم اتخذوا من دون الله) أى من دون اذنه (شفعاء) وأم بمعنى بل والهمزة الانكارية وتقرير الانكار أن هؤلاء الكفار اما أن يطمعوا فى شفاعة تلك التماثيل واما فى شفاعة من هذه التماثيل تماثيلهم والاول باطل لان هذه الاصنام جمادات لا تملك شيأ ولا تعقل وأشار الى هذا المعنى بقوله (قل أولو كانوا) يعنى أيشفعون ولو كانوا بحيث (لا يملكون شيأ ولا يعقلون) والثانى أيضا مستحيل لان يوم القيامة لا يشفع أحد الا باذن الله وهو المراد بقوله (قل لله الشفاعة) وانتصب (جميعا) على الحال ولو كان تأكيدا للشفاعة لقيل جمعاء وحين قرر أنه لا شفاعة لاحد الا باذن الله برهن على ذلك بقوله (له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون) يوم القيامة ولا ملك فى ذلك اليوم الا له ثم ذكر نوعا آخر من قبائح أفعال المشركين فقال (واذا ذكر الله وحده) أى منفردا ذكره عن ذكر آلهتهم (اشمأزت) أى نفرت وانقبضت منه (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه) سواء ذكر الله معهم أو لم يذكر (اذاهم يستبشرون) أى فاجأوقت ذكر آلهتهم وقت استبشارهم وفى الآية طباق ومقابلة لان الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى يظهر أثره فى بشرته والاشمئزاز أن يمتلئ غما

حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله قل لله الشفاعة جميعا قال لا يشفع عنده أحد الا باذنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون ﴾ يقول تعالى ذكره واذا أفرد الله جل ثناؤه بالذكر فدعى وحده وقيل لا اله الا الله اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالمعاد والبعث بعد الممات وعنى بقوله اشمأزت نفرت من توحيد الله واذا ذكر الذين من دونه يقول واذا ذكر الآلهة التى يدعونها من دون الله مع الله فقيل تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى اذا الذين لا يؤمنون بالآخرة يستبشرون بذلك ويفرحون كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة أى نفرت قلوبهم واستكبرت واذا ذكر الذين من دونه الآلهة اذا هم يستبشرون **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اشمأزت قال انقبضت قال وذلك يوم قرأ عليهم النجم عند باب الكعبة **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله اشمأزت قال نفرت واذا ذكر الذين من دونه أوثانهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد الله خالق السموات والارض عالم الغيب والشهادة الذى لا تراه الأبصار ولا تحسه العيون والشهادة الذى تشهده أبصار خلقه وتراه أعينهم أنت تحكم بين عبادك فتفصل بينهم بالحق يوم تجمعهم لفصل القضاء بينهم فيما كانوا فيه فى الدنيا يختلفون من القول فيك وفى عظمتك وسلطانك وغير ذلك من اختلافهم بينهم فتقضى يومئذ بيننا وبين هؤلاء المشركين الذين اذا ذكرت وحدك اشمأزت قلوبهم واذا ذكر من دونك استبشروا بالحق وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فاطر السموات والارض فاطر قال خالق وفى قوله عالم الغيب قال ما غاب عن العباد فهو يعلمه والشهادة ما عرف العباد وشهدوا فهو يعلمه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولو أن للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ يقول تعالى ذكره ولو أن لهؤلاء المشركين بالله يوم القيامة وهم الذين ظلموا أنفسهم ما فى الارض جميعا فى الدنيا من أموالها وزينتها ومثله معه مضاعفا فقبل ذلك منهم عوضا من أنفسهم لفدوا بذلك كله أنفسهم عوضا منها لينجوا من سوء عذاب الله الذى هو معذبهم به يومئذ وبدا لهم من الله يقول وظهر لهم يومئذ من أمر الله وعذابه الذى كان أعده لهم ما لم يكونوا قبل ذلك يحتسبون أنه أعده لهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وبدا لهم سيآت ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ يقول تعالى ذكره وظهر لهؤلاء المشركين يوم القيامة سيآت ما كسبوا من الاعمال فى الدنيا اذ أعطوا كتبهم بشمائلهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ووجب عليهم حينئذ فلزمهم عذاب الله الذى كان نبى الله صلى الله عليه وسلم فى الدنيا يعدهم على كفرهم بربهم فكانوا به يسخرون انكارا أن يصيبهم

ذلك

ذلك أو ينالهم تكذيبا منهم به وأحاط ذلك بهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم بل هى فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره فاذا أصاب الانسان بؤس وشدة دعانا مستغيثا بنا من جهة ما أصابه من الضر ثم اذا خولناه نعمة منا يقول ثم اذا أعطيناه فرجا مما كان فيه من الضر بأن أبدلناه بالضر رخاء وسعة وبالسقم صحة وعافية فقال انما أعطيت الذى أعطيت من الرخاء والسعة فى المعيشة والصحة فى البدن والعافية على علم ٣ عندى يعنى على علم من الله بأنى له أهل لشرف ورضاه بعملى عندى يعنى فيما عندى كما يقال أنت محسن فى هذا الامر عندى أى فيما أظن وأحسب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم اذا خولناه نعمة منا حتى بلغ على علم ٣ عندى أى على خير عندى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اذا خولناه نعمة منا قال أعطيناه وقوله أوتيته على علم أى على شرف أعطانيه وقوله بل هى فتنة يقول تعالى ذكره بل عطيتنا اياهم تلك النعمة من بعد الضر الذى كانوا فيه فتنة لهم يعنى بلاء ابتليناهم به واختبارا اختبرناهم به ولكن أكثرهم لجهلهم وسوء رأيهم لا يعلمون لأى سبب أعطوا ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بل هى فتنة أى بلاء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فأصابهم سيآت ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيآت ما كسبوا وما هم بمعجزين﴾ يقول تعالى ذكره قد قال هذه المقالة يعنى قولهم لنعمة الله التى خولهم وهم مشركون أوتيناه على علم عندنا الذين من قبلهم يعنى الذين من قبل مشركى قريش من الامم الخالية لرسلها تكذيبا منهم لهم واستهزاء بهم وقوله فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون يقول فلم يغن عنهم حين أتاهم بأس الله على تكذيبهم رسل الله واستهزائهم بهم ما كانوا يكسبون من الأعمال وذلك عبادتهم الاوثان يقول لم تنفعهم خدمتهم اياها ولم تشفع آلهتهم لهم عند الله حينئذ ولكنها أسلمتهم وتبرأت منهم وقوله فأصابهم سيآت ما كسبوا يقول فأصاب الذين قالوا هذه المقالة من الامم الخالية وبال سيآت ما كسبوا من الاعمال فعوجلوا بالخزى فى دار الدنيا وذلك كقارون الذى قال حين وعظ انما أوتيته على علم عندى فخسف الله به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين يقول الله جل ثناؤه والذين ظلموا من هؤلاء يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والذين كفروا بالله يا محمد من قومك وظلموا أنفسهم وقالوا هذه المقالة سيصيبهم أيضا وبال سيآت ما كسبوا كما أصاب الذين من قبلهم بقيلهموها وما هم بمعجزين يقول وما يفوتون ربهم ولا يسبقونه هربا فى الارض من عذابه اذا نزل بهم ولكنه يصيبهم سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ففعل الله ذلك بهم فأحل بهم خزيه فى عاجل الدنيا فقتلهم بالسيف يوم بدر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قد قالها الذين من قبلهم الامم الماضية والذين ظلموا من هؤلاء قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يعلموا أن الله يبسط

وغيظا حتى يظهر الانقباض فى أديم وجهه وذلك لاحتباس الروح الحيوانى فى القلب وقيل معنى الآية أنه اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لأن فيه نفيا لآلهتهم وفى بعض التفاسير أن هذا اشارة الى ما روى أنه (٩) صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة النجم وسوس الشيطان اليه بقوله تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فاستبشر المشركون وسجدوا ولما حكى عنهم هذا الجهل الغليظ والحمق الشديد وهو الاشمئزاز عن ذكر من ذكره رأس السعادات وعنوان الخيرات والاستبشار بذكر أخس الاشياء وهى الجمادات أمر رسوله بهذا الدعاء (اللهم فاطر السموات والارض) وهو وصفه بالقدرة التامة (عالم الغيب والشهادة) وهو نعته بالعلم الكامل وانما قدم وصفه بالقدرة على وصفه بالعلم لان العلم بكونه قادرا متقدم على العلم بكونه عالما كما بين فى أصول الدين وقد أشرنا الى ذلك فيما سلف (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) يعنى أن نفرتهم عن التوحيد وفرحهم بالشرك أمر معلوم الفساد ببديهة العقل فلا حيلة فى ازالته الا باستعانة القدير العليم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتتح صلاته بالليل فيقول اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك لتهدى الى صراط مستقيم وعن الربيع ابن خثيم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين عليه السلام وقالوا الآن يتكلم فما زاد على أن قال آه أو قد فعلوا وقرأ هذه

الآية • وروى أنه قال على اثره قتل من كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلسه فى حجره ويضع فاه فى فيه ثم ذكر وعيدهم على ذلك المذهب الباطل بقوله (ولو أن للذين ظلموا) أى بالشرك وقد مر نظير الآية مرارا أولها فى

آل عمران وفيه قوله (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) نظير قوله في أهل الوعد فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقيل عملوا أعمالا
حسبوها حسنات فإذا هي سيئات يروى أن محمد بن المنكدر جزع عند موته فقيل له في ذلك فقال أخشى آية من كتاب الله

الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ يقول تعالى ذكره أولم يعلم يا محمد هؤلاء الذين كشفنا عنهم ضرهم فقالوا إنما أوتيناه على علم منا أن الشدة والرخاء والسعة والضيق والبلاء بيد الله دون كل من سواه يبسط الرزق لمن يشاء فيوسعه عليه ويقدر ذلك على من يشاء من عباده فيضيقه وأن ذلك من حجج الله على عباده ليعتبروا به ويتذكروا ويعلموا أن الرغبة إليه والرهبة دون الآلهة والأنداد إن في ذلك لآيات يقول إن في بسط الله الرزق لمن يشاء وتقتيره على من أراد لآيات يعني دلالات وعلامات لقوم يؤمنون يعني يصدقون بالحق فيقرون به إذا تبينوه وعلموا حقيقته أن الذي يفعل ذلك هو الله دون كل ما سواه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بهذه الآية فقال بعضهم عني بها قوم من أهل الشرك قالوا لما دعوا إلى الإيمان بالله كيف نؤمن وقد أشركنا وزنينا وقتلنا النفس التي حرم الله والله يعد فاعل ذلك النار فما ينفعنا مع ما قد سلف منا الإيمان فنزلت هذه الآية ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وذلك أن أهل مكة قالوا يزعم محمد أنه من عبد الأوثان ودعا مع الله إلها آخر وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا الآلهة وقتلنا النفس التي حرم الله ونحن أهل الشرك فأنزل الله يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله يقول لا تيأسوا من رحمتي إن الله يغفر الذنوب جميعا وقال وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له وإنما يعاتب الله أولي الألباب وإنما الحلال والحرام لأهل الإيمان فإياهم عاتب وإياهم أمر إن أسرف أحدهم على نفسه أن لا يقنط من رحمة الله وأن ينيب ولا يبطئ بالتوبة من ذلك الإسراف والذنب الذي عمل وقد ذكر الله في سورة آل عمران المؤمنين حين سألوا الله المغفرة فقالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا فينبغي أن يعلم أنهم قد كانوا يصيبون الإسراف فأمرهم بالتوبة من إسرافهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله الذين أسرفوا على أنفسهم قال قتل النفس في الجاهلية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن إسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت هذه الآيات الثلاث بالمدينة في وحشي وأصحابه يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم إلى قوله من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني أبو صخر قال قال زيد بن أسلم في قوله يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قال إنما هي للمشركين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم حتى بلغ الذنوب جميعا قال ذكر لنا أن ناسا أصابوا ذنوبا عظاما في الجاهلية فلما جاء الإسلام أشفقوا أن لا يتاب عليهم فدعاهم الله بهذه الآية يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم قال هؤلاء المشركون من أهل مكة قالوا كيف نجيبك وأنت تزعم أنه من زنى أو قتل أو أشرك بالرحمن كان هالكا من أهل النار فكل هذه الأعمال

وتلاها فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم يكن في حسباني وعن سفيان الثوري أنه قرأها فقال ويل لأهل الرياء ثم صرح بما أبهم قائلا (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) وما موصولة أو مصدرية أي ظهرت لهم سيئات أعمالهم التي اكتسبوها أو سيئات كسبهم وذلك عند عرض الصحائف أو غير ذلك من المواقف وجوز أهل البيان أن يراد بالسيئات جزاء أفعالهم كقوله وجزاء سيئة سيئة وإنما قال في الجاثية سيئات ما عملوا لمناسبة ألفاظ العمل وههنا قد وقع من ألفاظ الكسب ثم حكى نوعا آخر من قبيح أعمالهم قائلا (فإذا مس الإنسان) وقد مر مثله في مواضع أقربها أول السورة إلا أنه ذكرها ههنا بفاء التعقيب لأن هذا مناقض لما حكى عنهم عن قريب وهو أنهم يشمئزون عن ذكر الله وحده فكيف التجؤا إليه وحده عند ضر يصيبهم ومعنى (أوتيته على علم) أوتيته على علم لله بكوني مستحقا لذلك أو على علم عندي صار سببا لهذه المزية ككسب وصنعة ونحو ذلك ولا شك أن هذا نوع من الغرور فلهذا قال سبحانه (بل هي فتنة) بلاء واختبار يتميز بها الشاكر عن الكافر وذكر الضمير أولا بتأويل المخول وأنثه ثانيا بتأويل النعمة ثم أشار بقوله (قد قالها) أي مجموع الكلمة التي صدرت عنهم و(الذين من قبلهم) هم قارون وقومه حيث قال إنما أوتيته على علم عندي وقومه
راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون في الأمم الخالية قائلون مثلها (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) قد
من الأموال أو من المعاصي وأشار بقوله (هؤلاء) إلى أهل مكة أصابهم قتل في يوم بدر وغيره وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط

قد عملناها فأنزلت فيهم هذه الآية يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية قال كان قوم مسخوطين فى أهل الجاهلية فلما بعث الله نبيه قالوا لو أتينا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنا به واتبعناه فقال بعضهم لبعض كيف يقبلكم الله ورسوله فى دينه فقالوا ألا نبعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فلما بعثوا نزل القرآن قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقرأ حتى بلغ فأكون من المحسنين حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الشعبى قال تجالس شتير بن شكل ومسروق فقال شتير إما أن تحدث ما سمعت من ابن مسعود فأصدقك واما أن أحدث فتصدقنى فقال مسروق لا بل حدث فأصدقك فقال سمعت ابن مسعود يقول ان أكبر آية فرجا فى القرآن يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال مسروق صدقت * وقال آخرون بل عنى بذلك أهل الاسلام وقالوا تأويل الكلام ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء قالوا وهى كذلك فى مصحف عبد الله وقالوا انما نزلت هذه الآية فى قوم صدهم المشركون عن الهجرة وفتنوهم فأشفقوا أن لا يكون لهم توبة ذكر من قال ذلك حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى قال ثنا يحيى بن سعيد الاموى عن ابن اسحق عن نافع عن ابن عمر قال قال يعنى عمر كنا نقول ما لمن افتتن من توبة وكانوا يقولون ما الله بقابل منا شيئا تركنا الاسلام ببلاء أصابنا بعد معرفته فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله فيهم يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية قال عمر فكتبتها بيدى ثم بعثت بها الى هشام بن العاص قال هشام فلما جاءتنى جعلت أقرؤها ولا أفهمها فوقع فى نفسى أنها أنزلت فينا لما كنا نقول فجلست على بعيرى ثم لحقت بالمدينة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن نافع عن ابن عمر قال انما أنزلت هذه الآيات فى عياش ابن أبى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا كنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عذبوه فنزلت هؤلاء الآيات وكان عمر بن الخطاب كاتبا قال فكتبها بيده ثم بعث بها الى عياش بن أبى ربيعة والوليد ابن الوليد والى أولئك النفر فأسلموا وهاجروا حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا يونس عن ابن سيرين قال قال على رضى الله عنه أى آية فى القرآن أوسع فجعلوا يذكرون آيات من القرآن ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحوها فقال على ما فى القرآن آية أوسع من يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الى آخر الآية حدثنا أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى سعيد الازدى عن أبى الكنود قال دخل عبد الله المسجد فاذا قاص يذكر النار والأغلال قال فجاء حتى قام على رأسه فقال يا مذكر أتقنط الناس يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى أبو صخر عن القرظى أنه قال فى هذه الآية يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قال هى للناس أجمعين حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا حجاج قال ثنا ابن لهيعة عن أبى قنبل قال سمعت أبا عبد الرحمن المزنى يقول ثنى أبو عبد الرحمن الجلانى أنه سمع ثوبان مولى رسول الله صلى الله

لهم فطر واسع سنين فقيل لهم اولم يعلموا أن الباسط والقابض هو الله وحده وذلك أن انتهاء الحوادث المتسلسلة يجب أن يكون الى ارادته ومشيئته ولا ينافى هذا توسيط عالم الاسباب وأن يكون للكواكب كلها تأثيرات فى عالمنا هذا باذن مبدعها وفاطرها وقول الشاعر

فلا السعد يقضى به المشترى
ولا النحس يقضى علينا زحل
ولكنه حكم رب السماء
وقاضى القضاة تعالى وجل

كلام من غير تبين واستبصار بسر القدر والذى يشكك به الامام فخر الدين الرازى من أنه قد يولد انسانان فى طالع واحد ثم يصير أحدهما فى غاية السعادة والآخر فى غاية الشقاوة كلام غير محقق لانا لو سلمنا وقوع ذلك فلاختلاف القابل وليس تأثير العامل السماوى فى طالع ولد السلطان مثله فى طالع ولد الحمامى وكذا اختلافات أخر لا نهاية لها نعم لو ادعى عسر ادراك جميع الجزئيات فلا نزاع فى ذلك الا المنتفع بما ينتفع به عليه أن يقنع بما يصل اليه فهمه فلكل شئ حد وفوق كل ذى علم عليم وحين أطنب فى الوعيد أردفه ببيان كمال رحمته ومغفرته فقال (يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) عن ابن عباس أن أهل مكة قالوا يزعم محمد أن من عبد الاوثان وقتل النفس التى حرم الله لن يغفر له ونحن قد عبدنا الاوثان وقتلنا الانفس فأنزل الله هذه الآية وعن ابن عمر نزلت فى عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين أسلموا ثم عذبوا فارتدوا فنزلت فيهم وكان عمر كاتبا فكتبها الى عياش والوليد والى أولئك النفر فأسلموا وهاجروا وقيل نزلت بالمدينة فى وحشى وقد سبق ثم ان قلنا العباد عام فالاسراف على النفس يعم الشرك ولا نزاع أن عدم اليأس من الرحمة يكون مشروطا بالتوبة والايمان وان قلنا العباد المضاف فى عرف القرآن مختص بالمؤمنين فالاسراف اما بالصغائر ولا خلاف فى أنها مكفرة ما اجتنبت الكبائر واما بالكبائر وحينئذ يبقى النزاع بين

الفريقين فالمعتزلة شرطوا التوبة والاشاعرة العفو وقد مر مرارا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله ومن أشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات رواه في الكشاف وعلى هذا يكون

عليه وسلم يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية فقال رجل يا رسول الله ومن أشرك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ألا ومن أشرك ألا ومن أشرك ثلاث مرات

وقال آخرون نزل ذلك في قوم كانوا يرون أهل الكبائر من أهل النار فأعلمهم الله بذلك أنه يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء ذكر من قال ذلك حدثني ابن البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال ثنا أبو معاذ الخراساني عن مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر قال كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو نقول انه ليس شيء من حسناتنا الا وهي مقبولة حتى نزلت هذه الآية أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش قال فكنا اذا رأينا من أصاب شيئا منها قلنا قد هلك حتى نزلت هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلما نزلت هذه الآية كففنا عن القول في ذلك فكنا اذا رأينا أحدا أصاب منها شيئا خفنا عليه وان لم يصب منها شيئا رجونا له

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى تعالى ذكره بذلك جميع من أسرف على نفسه من أهل الايمان والشرك لان الله عم بقوله يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم جميع المسرفين فلم يخصص به مسرفا دون مسرف فان قال قائل فيغفر الله الشرك قيل نعم اذا تاب منه المشرك وانما عنى بقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء كما قد ذكرنا قبل أن ابن مسعود كان يقرؤه وأن الله قد استثنى منه الشرك اذا لم يتب منه صاحبه فقال ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء فأخبر أنه لا يغفر الشرك الا بعد توبة بقوله الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأما ما عداه فان صاحبه في مشيئة ربه ان شاء تفضل عليه فعفا له عنه وان شاء عدل عليه فجازاه به وأما قوله لا تقنطوا من رحمة الله فانه يعني لا تيأسوا من رحمة الله كذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وقد ذكرنا ما في ذلك من الروايات قبل فيما مضى وبينا معناه وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا يقول ان الله يستر على الذنوب كلها بعفوه عن أهلها وتركه عقوبتهم عليها اذا تابوا منها انه هو الغفور الرحيم بهم أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها

القول في تأويل قوله تعالى (وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) يقول تعالى ذكره وأقبلوا أيها الناس الى ربكم بالتوبة وارجعوا اليه بالطاعة له واستجيبوا له الى ما دعاكم اليه من توحيده وافراد الالوهة له واخلاص العبادة له كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأنيبوا الى ربكم أي أقبلوا الى ربكم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وأنيبوا قال أجيبوا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأنيبوا الى ربكم قال الانابة الرجوع الى الطاعة والنزوع عما كانوا عليه ألا تراه يقول منيبين اليه واتقوه وقوله وأسلموا له يقول واخضعوا له بالطاعة والاقرار بالدين الحنيفي من قبل أن يأتيكم العذاب من عنده على كفركم به ثم لا تنصرون يقول ثم لا ينصركم ناصر فينقذكم من عذابه النازل بكم وقوله واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم يقول تعالى ذكره واتبعوا أيها الناس ما أمركم به ربكم

مخصوصا بشرط الايمان ولا يخفى ما في الآية من مؤكدات الرحمة أولها تسمية المذنب عبدا والعبودية تشعر بالاختصاص مع الحاجة واللائق بالكريم الرحيم افاضة الجود والرحمة على المساكين وثانيها من جهة الاضافة الموجبة للتشريف وثالثها من جهة وصفهم بقوله الذين أسرفوا على أنفسهم كأنه قال يكفيهم من تلك الذنوب عود مضرتها عليهم لا علي ورابعها نهاهم عن القنوط والكريم اذا أمر بالرجاء فلا يليق به الا الكرم وخامسها قوله من رحمة الله مع امكان الاقتصار على الضمير بأن يقول من رحمتي فايراد أشرف الاسماء في هذا المقام يدل على أعظم أنواع الكرم واللطف وسادسها تكرير اسم الله تعالى في قوله (ان الله يغفر الذنوب جميعا) مع تصدير الجملة بان ومع ايراد صيغة المضارع المنبئة عن الاستمرار ومع تأكيد الذنوب بقوله جميعا أي حال كونها مجموعة وسابعها ارداف الجملة بقوله انه هو الغفور الرحيم ومع ما فيه من أنواع المؤكدات ومع جميع ذلك لم يخل الترغيب عن الترهيب ليكون رجاء المؤمن مقرونا بخوفه فقال (وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له) وذلك أن الاشاعرة أيضا يجوزون أن يدخل صاحب الكبيرة النار مدة ثم يخرج منها ومع احتمال هذا العذاب يجب الميل الى الانابة والاخلاص لله في العمل على أن الخوف للتقصير في الطاعة يكفي عن الخوف للتصريح بالمعصية وللصديقين في الاول مندوحة عن الثاني وقال بعضهم ان الكلام قد تم على الآية الاولى في ثم خاطب الكفار بهذه الآيات من قوله (وأنيبوا) والمراد بالعذاب اما عذاب الدنيا كما للامم السابقة واما الموت لانه أول أهوال الآخرة

وقوله (أحسن ما أنزل اليكم) كقوله يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقد مر الاقوال فيه وحين خوفهم بالعذاب حكى عنهم أنهم بتقدير نزول العذاب ماذا يقولون فذكر ثلاثة أنواع من الكلمات الاولى أن تقول والتقدير (٣٩) أنذرناكم العذاب المذكور كراهة أن تقول

فى تنزيله واجتنبوا ما نهاكم فيه عنه وذلك هو أحسن ما أنزل الينا من ربنا فان قال قائل ومن القرآن شئ هو أحسن من شئ قيل له القرآن كله حسن وليس معنى ذلك ما توهمت وانما معناه واتبعوا مما أنزل اليكم ربكم من الامر والنهى والخبر والمثل والقصص والجدل والوعد والوعيد أحسنه وأحسنه أن تأتمروا لأمره وتنتهوا عما نهى عنه لان النهى مما أنزل فى الكتاب فلو عملوا بما نهوا عنه كانوا عاملين بأقبحه فذلك وجهه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم يقول ما أمرتم به فى الكتاب من قبل أن يأتيكم العذاب وقوله من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة يقول من قبل أن يأتيكم عذاب الله فجأة وأنتم لاتشعرون يقول وأنتم لاتعلمون به حتى يغشاكم فجأة

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أن تقول نفس ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين﴾ يقول تعالى ذكره وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له أن تقول نفس بمعنى لئلا تقول نفس ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله وهو نظير قوله وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم بمعنى أن لا تميد بكم فأن اذ كان ذلك معناه فى موضع نصب وقوله ياحسرتا يعنى أن تقول ياندما كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنى أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ياحسرتا قال الندامة والالف فى قوله ياحسرتا هى كناية المتكلم وانما أريد ياحسرتى ولكن العرب تحول الياء التى فى كناية اسم المتكلم فى الاستغاثة ألفا فتقول ياويلتا ويا ندما فيخرجون ذلك على لفظ الدعاء وربما قيل ياحسرة على العباد كما قيل يالهف ويالهفا عليه وذكر الفراء أن أبا ثروان أنشده

تزورونها ولا أزور نساءكم * ألهف لأولاد الاماء الحواطب

خفضا كما يخفض فى النداء اذا أضافه المتكلم الى نفسه وربما أدخلوا الهاء بعد هذه الألف فيخفضونها أحيانا ويرفعونها أحيانا وذكر الفراء أن بعض بنى أسد أنشد

يارب يارباه اياك أسل * عفراء يارباه من قبل الأجل

خفضا قال والخفض أكثر فى كلامهم الا فى قولهم ياهناه وياهنتاه فان الرفع فيهما أكثر من الخفض لانه كثير فى الكلام حتى صار كأنه حرف واحد وقوله على مافرطت فى جنب الله يقول على ماضيعت من العمل بما أمرنى الله به وقصرت فى الدنيا فى طاعة الله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله يقول فى أمر الله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله على مافرطت فى جنب الله قال فى أمر الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله على مافرطت فى جنب الله قال تركت من أمر الله وقوله وان كنت لمن الساخرين يقول وان كنت لمن المستهزئين بأمر الله وكتابه ورسوله والمؤمنين به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله أن تقول نفس ياحسرتا

أو لئلا تقول قال جار الله انما نكرت نفس لان المراد بها بعض الأنفس وهى نفس الكافر أو نوع من الأنفس متميزة بلجاج فى الكفر شديد أو بعذاب عظيم وجوز أن يكون التنكير لأجل التكثير كقوله رب وفد أكرمته (ياحسرتا على مافرطت) أى قصرت والتفريط اهمال ماينبغى أن يقدم (فى جنب الله) واعلم أن بعض أهل التجسيم يحكون بورود هذا اللفظ على اثبات هذا العضو لله سبحانه ولايدرى أنه بعد التسليم لامعنى للتفريط فيه مالم يصر الى التأويل والصحيح ماذهب اليه علماء البيان أن هذا من باب الكناية لانك اذا أثبت الشئ فى مكان الرجل وحيزه وجانبه وناحيته فقد أثبته فيه كقوله

ان السماحة والمروءة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج

وتقول لمكانك فعلت كذا أى لأجلك وفى الحديث من الشرك الخفى أن يصلى الرجل لمكان الرجل ولابد من تقدير مضاف سواء ذكر الجنب أولم يذكر وللمفسرين فيه عبارات قال ابن عباس أى ضيعت من ثواب الله وقال مقاتل ضيعت من ذكر الله وقال مجاهد فى أمر الله وقال الحسن فى طاعة الله وعن سعيد بن جبير فى حق الله وقيل فى قرب الله من الجنة من قوله والصاحب بالجنب وقال ابن جبير فى جانب هدى الله لان الطريق متشعب الى الهدى والضلال فكل واحد جانب وجنب والتحقيق فى المسئلة أن الشئ الذى يكون من لوازم الشئ ومن توابعه كأنه حد من حدوده وجانب من جوانبه فلما حصلت المشابهة بين الجنب الذى هو العضو وبين ما يكون لازما للشئ وتابعا له لاجرم حسن اطلاق لفظ الجنب فى الآية على أحد هذه المضافات قال الشاعر وهو سابق البربرى

على مافرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين قال فلم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعة الله قال هذا قول صنف منهم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وان كنت لمن الساخرين يقول من المستهزئين بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالكتاب وبما جاء به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين﴾ يقول تعالى ذكره وأنيبوا الى ربكم أيها الناس وأسلموا له أن لا تقول نفس يوم القيامة يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله فى أمر الله وأن لا تقول نفس أخرى لو أن الله هدانى للحق فوفقنى للرشاد لكنت ممن اتقاه بطاعته واتباع رضاه أو أن لا تقول أخرى حين ترى عذاب الله فتعاينه لو أن لى كرة تقول لو أن لى رجعة الى الدنيا فأكون من المحسنين الذين أحسنوا فى طاعة ربهم والعمل بما أمرتهم به الرسل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله الآية قال هذا قول صنف منهم أو تقول لو أن الله هدانى الآية قال هذا قول صنف آخر أو تقول حين ترى العذاب الآية يعنى بقوله لو أن لى كرة رجعة الى الدنيا قال هذا صنف آخر حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله قال أخبر الله ما العباد قائلوه قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعملوه قال ولا ينبئك مثل خبير أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله أو تقول لو أن الله هدانى الى قوله فأكون من المحسنين يقول من المهتدين فأخبر الله سبحانه أنهم لو ردوا لم يقدروا على الهدى وقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقال ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة قال ولو ردوا الى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم فى الدنيا وفى نصب قوله فأكون وجهان أحدهما أن يكون نصبه على أنه جواب لو والثانى على الرد على موضع الكرة وتوجيه الكرة فى المعنى الى لو أن لى أن أكر كما قال الشاعر

فمالك منها غير ذكرى وحسرة * وتسأل عن ركبانها أين يمموا

فنصب تسأل عطفا بها على موضع الذكرى لان معنى الكلام فمالك (١) بيرسل على موضع الوحى فى قوله الا وحيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره مكذبا للقائل لو أن الله هدانى لكنت من المتقين وللقائل لو أن لى كرة فأكون من المحسنين ما القول كما تقولون بلى قد جاءتك أيها المتمنى على الله الرد الى الدنيا لتكون فيها من المحسنين آياتى يقول قد جاءتك حججى من بين رسول أرسلته اليك وكتاب أنزلته يتلى عليك ما فيه من الوعد والوعيد والتذكير فكذبت بآياتى واستكبرت عن قبولها واتباعها وكنت من الكافرين يقول وكنت ممن يعمل عمل الكافرين ويستن بسنتهم ويتبع منهاجهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد

(١) فيه سقط من الناسخ ولعل الاصل فمالك غير أن تذكر وتسأل ونظيره وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل فعطف يرسل الخ تأمل كتبه مصححه

اما لتقين الله فى جنب عاشق * له كبد حرى عليك تقطع ثم زاد فى التحسر بقوله (وان كنت لمن الساخرين) اى المستهزئين بالقرآن والنبى والمؤمنين ان مخففة واللام فارقة والواو تحتمل العطف والحال قال قتادة لم يكفه ما ضيع من أمر الله حتى سخر من المصدقين النوع الثانى من كلمات النفس المعذبة (لو أن الله هدانى) يجوز أن يقول مرة هذا ومرة ذلك أو يكون قائل كل من الكلمتين بعد أخرى والمعنى لو أرشدنى الى دينه (لكنت من المتقين) النوع الثالث قوله عند رؤية العذاب (لو أن لى كرة فأكون من المحسنين) قال جار الله لما حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب وهو الثانى صح أن تقع بلى جوابا له مع أنه غير منفى لان قوله لو أن الله هدانى فى معنى ما هديت قلت هذا يصلح جوابا للقولين الثانى والثالث أى بلى قد هديت بالوحى فكذبت واستكبرت عن قبوله فلا فائدة فى الرجعة فان عدم القابلية وكونه واقعا فى جانب القهر لن يزول عنه ثم صرح ببعض أنواع العذاب قائلا (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) وقوله (وجوههم مسودة) مفعول ثان ان كانت الرؤية القلبية والا فموضعه نصب على الحال والظاهر أن الكذب على الله هو المشار اليه فى قوله فكذبت بها ويشمل الكذب عليه باتخاذ الشريك والولد ونسبته الى العجز عن الاعادة ونسبة القرآن الى كونه مختلقا ونحو ذلك وأما المسائل الاجتهادية التى يختلف فيها كل فريق اسلامى ولاسيما الفروعية فالظاهر أنها لا تدخل فيها والله أعلم وأما سواد الوجه فان كان فى الصورة فظاهر ويكون كسائر أوصاف أهل النار من زرقة العيون وغيره وان كان المراد به الخجل وشدة الحياء ونحو ذلك فالله تعالى أعلم بمراده ولا ريب أن الجهل والاخبار على خلاف ما عليه الامر ونحو ذلك من الاخلاق الذميمة كلها ظلمات كما أن العلم والصدق ونحوهما أنوار كلها وفى ذلك العالم تظهر قال

قال ثنا سعيد عن قتادة يقول الله ردّا لقولهم وتكذيبا لهم يعنى لقول القائلين لو أن الله هدانى والصنف الآخر بلى قد جاءتك آياتى الآية و بفتح الكاف والتاء من قوله قد جاءتك آياتى فكذبت على وجه المخاطبة للذكور قرأه القراء فى جميع أمصار الاسلام وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأ ذلك بكسر جميعه على وجه الخطاب للنفس كأنه قال أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله بلى قد جاءتك ايها النفس آياتى فكذبت بها أجرى الكلام كله على النفس اذ كان ابتداء الكلام بها جرى والقراءة التى لا أستجيز خلافها ما جاءت به قراء الامصار مجمعة عليه نقلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الفتح فى جميع ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ و يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين ﴾ يقول تعالى ذكره و يوم القيامة ترى يا محمد هؤلاء الذين كذبوا على الله من قومك فزعموا أن له ولدا وأن له شريكا وعبدوا آلهة من دونه وجوههم مسودّة والوجوه وان كانت مرفوعة بمسودّة فان فيها معنى نصب لانها مع خبرها تمام ترى ولو تقدم قوله مسودّة قبل الوجوه كان نصبا ولو نصب الوجوه المسودّة ناصب فى الكلام لا فى القرآن اذا كانت المسودّة مؤخرة كان جائزا كما قال الشاعر

ذرينى ان امرك لن يطاعا * وما ألفيتنى حلمى مضاعا

فنصب الحلم والمضاع على تكرير ألفيتنى وكذلك تفعل العرب فى كل ما احتاج الى اسم وخبر مثل ظن وأخواتها وفى مسودّة للعرب لغتان مسودّة ومسوادّة وهى فى أهل الحجاز يقولون فيما ذكر عنهم قد اسوادّ وجهه واحمارّ واشهابّ وذكر بعض نحويى البصرة عن بعضهم أنه قال لا يكون افعالّ الا فى ذى اللون الواحد نحو الأشهب قال ولا يكون فى نحو الاحمر لان أشهب لون يحدث والاحمر لا يحدث وقوله أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين يقول أليس فى جهنم مأوى ومسكن لمن تكبر على الله فامتنع من توحيده والانتهاء الى طاعته فيما أمره ونهاه عنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ و ينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل ﴾ يقول تعالى ذكره و ينجى الله من جهنم وعذابها الذين اتقوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه فى الدنيا بمفازتهم يعنى بفوزهم وهى مفعلة منه * و بنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل وان خالفت ألفاظ بعضهم اللفظة التى قلناها فى ذلك ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله و ينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم قال بفضائلهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله و ينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم قال بأعمالهم قال والآخرون يحملون أوزارهم يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة و بعض قراء مكة والبصرة بمفازتهم على التوحيد وقرأته عامة قراء الكوفة بمفازاتهم على الجماع والصواب عندى من القول فى ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لاتفاق معنييهما والعرب توحد مثل ذلك أحيانا وتجمع بمعنى واحد فيقول أحدهم سمعت صوت القوم وسمعت أصواتهم كما قال جل ثناؤه ان أنكر الاصوات لصوت الحمير ولم يقل أصوات الحمير ولو جاء ذلك كذلك كان صوابا وقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون يقول تعالى

حقيقة كل شئ على المكلف هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت ثم حكى حال المتقين يومئذ قائلا (و ينجى الله الذين اتقوا) الشرك أو المعاصى كبائر وصغائر (بمفازتهم) هى مفعلة من الفوز فمن وحد فلأنه مصدر ومن جمع فلاختلاف أجناسها فلكل متق مفازة وهى الفلاح ولا شك أن الباء هى التى فى نحو قولك كتبت بالقلم فقال جار الله تارة تفسير المفازة هى قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون فلا محل للجملة لانه كأنه قيل وما مفازتهم فقيل (لا يمسهم السوء) أى فى أبدانهم (ولا هم يحزنون) يتألمون قلبا على ما فات وقال أخرى يجوز أن يراد بسبب فلاحهم أو منجاتهم وهو العمل الصالح وذلك أن العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة و يجوز أن يسمى العمل الصالح فى نفسه مفازة لانه سببها وعلى هذه الوجوه يكون قوله لا يمسهم منصوبا على الحال وعن الماوردى أن المفازة ههنا البرية أى بما سلكوا مفازة الطاعات الشاقة وهو غريب وحين تمم الوعد والوعيد أتبعه شيأ من دلائل المالكية قائلا (الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل) وقد مر فى الأنعام ثم أكده بقوله (له مقاليد السموات والارض) وهو كقوله فى الانعام وعنده مفاتح الغيب والمقاليد المفاتيح أيضا فقيل لا واحد لها من لفظها وقيل مقليد أو مقلاد أو اقليد والظاهر أنه فى الاصل فارسى والتعريب جعله من قبيل العربى ويروى أنه سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير الآية فقال يا عثمان ما سألنى عنها أحد قبلك تفسير المقاليد لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله و بحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي و يميت وهو على كل شئ قدير وقال العلماء يعنى أن هذه الكلمات مفاتيح خيرات السموات والارض وقد يوحد الله بها و يمجد قال أهل العرفان بيده مفاتيح خزائن اللطف والقهر فيفتح على من يشاء أبواب خزائن لطفه فى قلبه فتخرج ينابيع الحكمة وجواهر

ذكره لا يمس المتقين من أذى جهنم شئ وهو السوء الذى أخبر جل ثناؤه أنه لن يمسهم ولاهم يحزنون يقول ولاهم يحزنون على مافاتهم من آراب الدنيا اذصاروا الى كرامة الله ونعيم الجنان وقوله الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل يقول تعالى ذكره الله الذى له الالوهة من كل خلقه الذى لا تصلح العبادة الاله خالق كل شئ لاما لا يقدر على خلق شئ وهو على كل شئ وكيل يقول وهو على كل شئ قيم بالحفظ والكلاءة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون﴾ يقول تعالى ذكره له مفاتيح خزائن السموات والارض يفتح منها على من يشاء ويمسكها عمن أحب من خلقه واحدها مقليد وأما الاقليد فواحد الاقاليد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله مقاليد السموات والارض مفاتيحها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله له مقاليد السموات والارض أى مفاتيح السموات والارض حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله له مقاليد السموات والارض قال خزائن السموات والارض حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله له مقاليد السموات والارض قال المقاليد المفاتيح قال له مفاتيح خزائن السموات والارض وقوله والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون يقول تعالى ذكره والذين كفروا بحجج الله فكذبوا بها وأنكروها أولئك هم المغبونون حظوظهم من خيرات السموات التى بيده مفاتيحها لانهم حرموا ذلك كله فى الآخرة بخلودهم فى النار وفى الدنيا بخذلانهم عن الايمان بالله عز وجل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه قل يا محمد لمشركى قومك الداعيك الى عبادة الاوثان أفغير الله أيها الجاهلون بالله تأمرونى أن أعبد ولا تصلح العبادة لشئ سواه واختلف أهل العربية فى العامل فى قوله أفغير النصب فقال بعض نحويى البصرة قل أفغير الله تأمرونى يقول أفغير الله أعبد تأمرونى كأنه أراد الالغاء والله أعلم كما تقول ذهب فلان يدرى جعله على معنى فما يدرى وقال بعض نحويى الكوفة غير منتصبة بأعبد وأن تحذف وتدخل لانها علم للاستقبال كما تقول أريد أن أضرب وأريد أضرب وعسى أن أضرب وعسى أضرب فكانت فى طلبها الاستقبال كقولك زيدا سوف أضرب فلذلك حذفت وعمل ما بعدها فيما قبلها ولا حاجة بنا الى اللغو وقوله ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك يقول تعالى ذكره ولقد أوحى اليك يا محمد ربك والى الذين من قبلك من الرسل لئن أشركت ليحبطن عملك يقول لئن أشركت بالله شيأ يا محمد ليبطلن عملك ولا تنال به ثوابا ولا تدرك به جزاء الاجزاء من أشرك بالله وهذا من المؤخر الذى معناه التقديم ومعنى الكلام ولقد أوحى اليك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين والى الذين من قبلك بمعنى والى الذين من قبلك من الرسل من ذلك مثل الذى أوحى اليك منه فاحذر أن تشرك بالله شيأ فتهلك ومعنى قوله ولتكونن من الخاسرين ولتكونن من الهالكين بالاشراك بالله ان أشركت به شيأ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بل الله فاعبد وكن من الشاكرين وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله

الاخلاق الحسنة وللآخر بالضد قال فى الكشاف قوله (والذين كفروا) متصل بقوله وينجى وما بينهما اعتراض دل على انه خالق الاشياء كلها مهيمن عليها لا يخفى عليه أعمال المكلفين وجزاؤها فان كل شئ فى السموات والارض فان مفتاحه بيده هذا والظاهر أنه لا حاجة الى هذا التقدير البعيد حتى يعطف جملة اسمية على جملة فعلية والأقرب أنه لما وصف نفسه بصفات المالكية والقدرة ذكر بعده والذين كفروا بدلائل ملكه وملكه مع كونها ظاهرة باهرة فلا أخسر منهم لانهم عمى فى الدارين فاقدون لأشرف المطالب ولذلك وبخ أهل الشرك بقوله (قل أفغير الله) أى قل لهم بعد هذا البيان أفغير الله وهو منصوب بأعبد و(تأمرونى) اعتراض والمعنى أفغير الله (أعبد) بأمركم وذلك أن المشركين دعوه الى دين آبائه وجوز جار الله أن ينتصب بما يدل عليه جملة قوله تأمرونى أعبد لانه فى معنى تعبدوننى غير الله وتقولون لى اعبد والاصل تأمرونى أن أعبد فحذف أن ورفع الفعل ويمكن أن يعترض عليه بأن صلة أن كيف تتقدم عليه ويحتمل أن يجاب بأن العامل هو ما دل عليه الجملة كما قلنا لا قوله أن أعبد وقيل التقدير أفعبادة غير الله تأمرونى وقوله (أيها الجاهلون) لا يكون أليق بالمقام منه لانه لا جهل أشد من جهل من نهى عن عبادة أشرف الاشياء وأمر بعبادة أخس الاشياء ثم هدد الامة على الشرك مخاطبا نبيه بقوله (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك) من الانبياء مثله (لئن أشركت) فاقتصر على الاول ويجوز أن يراد ولقد أوحى اليك والى كل واحد ممن قبلك لئن أشركت كما تقول كسانا حلة أى كل واحد منا حلة وقد مر نظير هذه الآية بقوله ولئن اتبعت أهواءهم وبينا أن ذلك على سبيل الفرض والشرطية لا حاجة فى صدقها الى صدق جزأيها أو المراد الأمة كما قلنا وفى قوله (ولتكونن من الخاسرين) اشارة الى أن منصب النبوة الذى هو أشرف مراتب الانسانية

عليه وسلم لا تعبد ما أمرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد بعبادته بل الله فاعبد دون كل ماسواه من الآلهة والأوثان والأنداد وكن من الشاكرين لله على نعمته عليك بما أنعم عليك من الهداية لعبادته والبراءة من عبادة الأصنام والأوثان ونصب اسم الله بقوله فاعبد وهو بعده لأنه رد كلام ولو نصب بمضمر قبله اذ كانت العرب تقول زيدا فليقم وزيدا فليقم رفعا ونصبا الرفع على فلينظر زيد فليقم والنصب على انظروا زيدا فليقم كان صحيحا جائزا وقوله وما قدروا الله حق قدره يقول تعالى ذكره وما عظم الله حق عظمته هؤلاء المشركون بالله الذين يدعونك الى عبادة الاوثان * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وما قدروا الله حق قدره قال هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن أن الله على كل شئ قدير فقد قدر الله حق قدره ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وما قدروا الله حق قدره ما عظموا الله حق عظمته وقوله والأرض جميعا قبضته يوم القيامة يقول تعالى ذكره والارض كلها قبضته في يوم القيامة والسموات كلها مطويات بيمينه فالخبر عن الارض متناه عند قوله يوم القيامة والارض مرفوعة بقوله قبضته ثم استأنف الخبر عن السموات فقال والسموات مطويات بيمينه وهي مرفوعة بمطويات وروى عن ابن عباس وجماعة غيره أنهم كانوا يقولون الارض والسموات جميعا في يمينه يوم القيامة ذكر الرواية بذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة يقول قد قبض الارضين والسموات جميعا بيمينه ألم تسمع أنه قال مطويات بيمينه يعني الارض والسموات بيمينه جميعا قال ابن عباس وانما يستعين بشماله المشغولة بيمينه حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنى ابى عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال ما السموات السبع والارضون السبع في يد الله الا كخردلة في يد أحدكم * قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنى أبى عن قتادة قال ثنا النضر بن أنس عن ربيعة الجرسى قال والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه قال ويده الاخرى خلو ليس فيها شئ حدثني على بن الحسن الازدى قال ثنا يحيى بن يمان عن عمار ابن عمرو عن الحسن في قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة قال كأنها جوزة بقضها وقضيضها حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة يقول السموات والارض مطويات بيمينه جميعا وكان ابن عباس يقول انما يستعين بشماله المشغولة بيمينه وانما الارض والسموات كلها بيمينه وليس في شماله شئ حدثنا الربيع قال ثنا ابن وهب قال أخبرني أسامة بن زيد عن أبي حازم عن عبد الله بن عمر أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يخطب الناس فمر بهذه الآية وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ السموات والارضين السبع فيجعلها في كفه ثم يقول بهما كما يقول الغلام بالكرة أنا الله الواحد أنا الله العزيز حتى لقد رأينا المنبر وانه ليكاد أن يسقط به حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان قال ثنى منصور وسليمن عن ابراهيم عن عبيدة السلماني عن عبد الله قال جاء

واقربها من الله اذا بدل بضده الذي هو البعد عن الحضرة الالهية لم يكن خسران وراء ذلك ثم رده صلى الله عليه وسلم الى ما هو الحق الثابت في نفس الامر وهو تخصيص الله بالعبادة فقال (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) على ذلك لان توفيق العبادة منه وحده ولذا جعله مظهرا للطف حتى صار سيد ولد آدم ثم بين أنهم لما جعلوا هذه الاشياء الخسيسة مشاركة في العبادة ما عرفوا الله حق معرفته وقدمر في الانعام والحج ثم أردفه بما يدل على كمال عظمته قائلا (والارض جميعا قبضته) قال جار الله الغرض من هذا الكلام اذا أخذته كما هو بجملته تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة واليمين الى جهة حقيقة أو الى جهة مجاز وكذلك حكم ما يروى عن عبد الله بن مسعود أن رجلا من أهل الكتاب جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم ان الله يمسك السموات يوم القيامة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال وانزل الله الآية تصديقا له وقال جار الله وانما ضحك أفصح العرب وتعجب لأنه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شئ من غير ذلك ولكن فهمه وقع أول شئ وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وأن الافعال العظام التي لا تكتنهها الاوهام هينة عليه ثم ذكر كلاما آخر طويلا واعترض عليه الامام فخر الدين الرازي بأن هذا الكلام الطويل لا طائل تحته لانه هل يسلم أن الاصل في الكلام حمله على حقيقته أم لا وعلى الثاني يلزم خروج القرآن بكليته عن كونه حجة فان لكل أحد حينئذ أن يؤول الآية بما شاء وعلى الاول وهو الذي عليه الجمهور يلزمه بيان أنه لا يمكن

يهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يمسك السموات على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والخلائق على اصبع ثم يقول أنا الملك قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال وما قدروا الله حق قدره حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي عن منصور عن خيثمة بن عبد الرحمن عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه حبر من أحبار اليهود فجلس اليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا قال ان الله تبارك وتعالى اذا كان يوم القيامة جعل السموات على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والماء والشجر على اصبع وجميع الخلائق على اصبع ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لما قال ثم قرأ هذه الآية وما قدروا الله حق قدره الآية حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي نحو ذلك حدثني سليمن بن عبد الجبار وعباس بن أبي طالب قالا ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس قال مر يهودي بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس فقال يا يهودي حدثنا فقال كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله السماء على ذه والارض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه فأنزل الله وما قدروا الله حق قدره الآية حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من أهل الكتاب فقال يا أبا القاسم أبلغك أن الله يحمل الخلائق على اصبع والسموات على اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه فأنزل الله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته الى آخر الآية * وقال آخرون بل السموات في يمينه والارضون في شماله ذكر من قال ذلك حدثنا علي بن داود قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا ابن أبي حازم قال ثني أبو حازم عن عبيد الله بن مقسم أنه سمع عبد الله بن عمر يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيديه وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وجعل يقبضهما ويبسطهما قال ثم يقول أنا الرحمن أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وتمايل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن شماله حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى اني لأقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني أبو علقمة الفروي عبد الله بن محمد قال ثني عبد الله بن نافع عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن عبيد بن عمير عن عبد الله بن عمر أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيده وقبض يده فجعل يقبضها ويبسطها ثم يقول أنا الجبار أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون قال ويميل رسول صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن شماله حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى اني لأقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني الحسن بن علي بن عياش الحمصي قال ثنا بشر ابن شعيب قال أخبرني أبي قال ثنا محمد بن مسلم بن شهاب قال أخبرني سعيد بن المسيب عن

أبي

حمل اللفظ الفلاني على معناه الحقيقي لتعين المصير الى التأويل ثم ان كان هناك مجازان وجب اقامة الدليل على تعيين أحدهما ففي هذه الصورة لاشك أن لفظ القبضة واليمين مشعر بهذه الجوارح الا أن الدلائل العقلية قامت على امتناع الاعضاء والجوارح لله تعالى فوجب المصير الى التأويل صونا للنص عن التعطيل ولا تأويل الا أن يقال المراد كونها تحت تدبيره وتسخيره كما يقال فلان في قبضة فلان وقال تعالى وما ملكت أيمانهم ويقال هذه الدار في يد فلان ويمينه وفلان صاحب اليد وأنا أقول هذا الذي ذكره الامام طريق أصولي والذي ذكره جار الله طريق بياني وأنهم يحيلون كثيرا من المسائل الى الذوق فلا منافاة بينهما ولا يرد اعتراض الامام وتشنيعه وقد مر لنا في هذا الكتاب الاصل الذي كان يعمل به السلف في باب المتشابهات في مواضع فتذكر ولنرجع الى الآية قوله والارض قالوا المراد بها الارضون لوجهين أحدهما قوله جميعا فانه يجعله في معنى الجمع كقوله كل الطعام وقوله والنخل باسقات والثاني قوله والسموات ولقائل أن يقول كل ما هو ذو أجزاء حسا أو حكما فانه يصح تأكيده بالجميع وعطف السموات على الارض في القرآن كثير نعم قيل ان الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتض للمبالغة وليس ببعيد والقبضة بالفتح المرة من القبض يعني والارضون جميعا مع عظمهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته فهن ذوات قبضته وعندي أن المراد منه تصرفه يوم القيامة فيها بتبديلها كقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات مطويات بيمينه كقوله يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب وقيل معنى مطويات كونها مستولى عليها استيلاءك على الشيء المطوي عندك بيدك وقيل معنى مطويات كونها مستولى عليها بيمينه أي بقسمه لانه تعالى حلف أن يطويها ويفنيها في الآخرة وفي الآية اشارة الى كمال استغنائه

وأنه اذا حاول تخريب الارض والسموات وتبديلها وذلك فى يوم القيامة سهل عليه كل السهولة ولذلك نزه نفسه عن الشركاء بقوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) ثم ذكر سائر أهوال القيامة وأحوالها بقوله (١٩) (ونفخ فى الصور فصعق) الظاهر أن نفخ الصور مرتان و بعضهم روى أنه ثلاث نفخات الاولى للفزع كما جاء فى النمل والثانية للموت وهو معنى الصعق والثالثة للاعادة والاظهر أن الفزع يتقدم الصعق فلا يلزم منه اثبات نفختين وقدمر فى النمل تفسير باقى الآية قال جار الله تقدير الكلام ونفخ فى الصور نفخة واحدة (ثم نفخ فيه أخرى) وانما حذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها فى غير مكان ومعنى (ينظرون) يقلبون أبصارهم فى الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب أو ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف والجهود تحيرا ثم وصف أرض القيامة بقوله (وأشرقت الارض بنور ربها) الظاهر أن هذا نور تجليه سبحانه وقدمر شرح هذا النور فى تفسير قوله الله نور السموات والارض وفى غيره من المواضع وقال علماء البيان افتتح الآية بذكر العدل كما اختتم الآية بنفى الظلم ويقال للملك العادل أشرقت الآفاق بنور عدلك وأضاءت الدنيا بقسطك وفى ضده أظلمت الدنيا بجوره وأهل الظاهر من المفسرين لم يستبعدوا أن يخلق الله فى ذلك اليوم للارض نورا مخصوصا وقيل أراد أرض الجنة ثم ان أهل البيان أكدوا قولهم بأنه أتبعه قوله (ووضع الكتاب) الى آخره وكل ذلك من الامور الدالة على غاية العدل والمراد بالكتاب اما اللوح المحفوظ يقابل به صحف الاعمال أو الصحف نفسها ولكنه اكتفى باسم الجنس (وجىء بالنبيين) ليسألهم ربهم عن تبليغ الرسالة و يجيب قومهم بما يجيبون والمراد بالشهداء الذين يشهدون للامم وعليهم من الحفظة والاخيار ومن الجوارح والمكان والزمان أيضا وقيل هم الذين قتلوا فى سبيل الله ولعله ليس فى تخصيصهم

أبى هريرة أنه كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض الله عزوجل الارض يوم القيامة و يطوى السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض حدثت عن حرملة بن يحيى قال ثنا ادريس بن يحيى القائد قال أخبرنا حيوة عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرنى نافع مولى ابن عمر عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبض الارض يوم القيامة بيده و يطوى السماء بيمينه و يقول أنا الملك حدثنى محمد بن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا ابن أبى مريم قال ثنا سعيد بن ثوبان الكلاعى عن أبى أيوب الانصارى قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حبر من اليهود فقال أرأيت اذ يقول الله فى كتابه والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه فأين الخلق عند ذلك قال هم فيها كرقم الكتاب حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى قال ثنا أبو أسامة قال ثنا عمرو بن حمزة قال ثنى سالم عن أبيه أنه أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يطوى الله السموات فيأخذهن بيمينه و يطوى الارض فيأخذها بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون * وقيل ان هذه الآية نزلت من أجل يهودى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفة الرب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن محمد عن سعيد قال أتى رهط من اليهود نبى الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلقه فغضب النبى صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه ثم ساورهم غضبا لربه فجاءه جبريل فسكنه وقال اخفض عليك جناحك يا محمد وجاءه من الله جواب ما سألوه عنه قال يقول الله تبارك وتعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فلما تلاها عليهم النبى صلى الله عليه وسلم قالوا صف لنا ربك كيف خلقه وكيف عضده وكيف ذراعه فغضب النبى صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الاول ثم ساورهم فأتاه جبريل فقال مثل مقالته وأتاه بجواب ما سألوه عنه وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال تكلمت اليهود فى صفة الرب فقالوا ما لم يعلموا ولم يروا فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم وما قدروا الله حق قدره ثم بين للناس عظمته فقال والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون فجعل صفتهم التى وصفوا الله بها شركا وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه يقول فى قدرته نحو قوله وما ملكت أيمانكم أى وما كانت لكم عليه قدرة وليس الملك لليمين دون سائر الجسد قال وقوله قبضته نحو قولك للرجل هذا فى يدك وفى قبضتك والأخبار التى ذكرناها عن رسول الله وعن أصحابه وغيرهم تشهد على بطول هذا القول حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن عنبسة عن حبيب بن أبى عمرة عن مجاهد عن ابن عباس عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة فأين الناس يومئذ قال على الصراط وقوله سبحانه وتعالى عما يشركون يقول تعالى ذكره تنزيها وتبرئة لله وعلوا وارتفاعا عما يشرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد القائلون لك اعبد الأوثان من دون الله واسجد لآلهتنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم

بالذكر فائدة وحين بين أنه يحضر في محفل القيامة جميع ما يحتاج اليه في فصل الخصومات ذكر أنه يوصل أهل النار وختم السورة بذكر أهل الجنة فقال وسيق وهو على عادة اخبار الله تعالى والزمر الافواج المتفرقة واحدها زمرة وكذلك في صفة أهل الجنة وذلك أنه يحشر أمة بعد أمة مع امامها الى الجنة أو النار أو بعضهم قبل الحساب وبعضهم بعد الحساب على اختلاف المراتب والطبقات فلا ريب أن الناس محقين أو مبطلين فرق ذاهبون في طرق شتى جماعة جماعة والخزنة جمع خازن والمراد بكلمة العذاب قوله لأملأن جهنم أو علم الله السابق وكان القياس التكلم الا أنه عدل الى الظاهر فقيل على الكافرين ليعلم سبب العذاب

* سؤال السوق في الكفار له وجه لانهم أهل الطرد والعنف فما وجهه في أهل الجنة الجواب من وجوه قال جار الله المضاف هنا محذوف أي وسيق مراكب الذين اتقوا لانهم لا يذهبون الا راكبين كالوافدين على ملوك الدنيا وحثها اسراع لهم الى دار الكرامة والرضوان وقيل طباق وقيل أكثر أهل الجنة البله فيحتاجون الى السوق لانهم لا يعرفون ما فيه صلاحهم وقيل انهم يقولون لا أدخلها حتى يدخلها أحبابي فيتأخرون لهذا السبب وحينئذ يحتاجون الى أن يساقوا الى الجنة وقال أهل العرفان المتقون قد عبدوا الله لله لا للجنة فيصير شدة استغراقهم في مشاهدة مطالع الجمال والجلال مانعة لهم عن الرغبة في الجنة فلا جرم يفتقرون الى السوق وقال الحكيم كل خصلة ذميمة أو شريفة في الانسان فانها تجره من غير اختياره شاء أم أبى الى ما يضاهيه حاله فذاك معنى السوق * سؤال آخر لم قيل في صفة أهل النار فتحت أبوابها من غير واو وفي صفة أهل الجنة وفتحت أبوابها بالواو والجواب البحث عن مثل هذه الواو قد يقال له واو الثمانية قد مر في قوله التائبون العابدون وفي سورة الكهف الا أن الذي يختص بالمقام

قياما ينظرون} يقول تعالى ذكره ونفخ اسرافيل في القرن وقد بينا معنى الصور فيما مضى بشواهده وذكرنا اختلاف أهل العلم فيه والصواب من القول فيه بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وقوله فصعق من في السموات ومن في الارض يقول مات وذلك في النفخة الاولى كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض قال مات وقوله الا من شاء الله اختلف أهل التأويل في الذى عنى الله بالاستثناء في هذه الآية فقال بعضهم عنى به جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قال جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت حدثني هرون بن ادريس الاصم قال ثنا عبدالرحمن بن محمد المحاربى قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنا الفضل بن عيسى عن عمه يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فقيل من هؤلاء الذين استثنى الله يا رسول الله قال جبرائيل وميكائيل وملك الموت فاذا قبض أرواح الخلائق قال يا ملك الموت من بقى وهو أعلم قال يقول سبحانك تباركت ربي ذا الجلال والاكرام بقى جبريل وميكائيل وملك الموت قال يقول يا ملك الموت خذ نفس ميكائيل قال فيقع كالطود العظيم قال ثم يقول يا ملك الموت من بقى فيقول سبحانك ربي يا ذا الجلال والاكرام بقى جبريل وملك الموت قال فيقول يا ملك الموت مت قال فيموت قال ثم يقول يا جبريل من بقى قال فيقول جبريل سبحانك ربي يا ذا الجلال والاكرام بقى جبريل وهو من الله بالمكان الذى هو به قال فيقول يا جبريل لابد من موتة قال فيقع ساجدا يخفق بجناحيه يقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام أنت الباقى وجبريل الميت الفانى قال ويأخذ روحه في الخلقة التى خلق منها قال فيقع على ميكائيل ان فضل خلقه على خلق ميكائيل كفضل الطود العظيم على الظرب من الظراب * وقال آخرون عنى بذلك الشهداء ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن المثنى قال ثنى وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن عمارة عن ذى حجر اليحمدى عن سعيد بن جبير في قوله فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قال الشهداء ثنية الله حول العرش متقلدين السيوف * وقال آخرون عنى بالاستثناء في الفزع الشهداء وفي الصعق جبريل وملك الموت وحملة العرش ذكر من قال ذلك والخبر الذى جاء فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربى عبدالرحمن بن محمد عن اسماعيل بن رافع المدنى عن يزيد عن رجل من الانصار عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الانصار عن أبى هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ في الصور ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين تبارك وتعالى يأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فتفزع أهل السموات وأهل الارض الا من شاء الله قال أبو هريرة يا رسول الله فمن استثنى حين يقول ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قال أولئك الشهداء وانما يصل الفزع الى الاحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وأمنهم ثم يأمر الله اسرافيل بنفخة الصعق فيقول انفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات

والارض

وأن بعضهم قالوا ان ابواب جهنم مغلقة لاتفتح الا عند دخول أهلها فيها وأما أبواب الجنة فتقدم فتحها لقوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو كأنه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت أبوابها

وعلى هذا فجواب حتى اذا محذوف وحق موقعه ما بعد خالدين أي كان ما كان من أصناف الكرامات والسعادات وقيل حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها أي مع فتح أبوابها وقيل لاهل التأويل أن يقولوا ان أبواب الجنة وهي أسباب حصول الكمالات مفتوحة بمعنى أنها غير ممنوع عنها بل مندوب اليها مرغب فيها وأبواب جهنم مغلقة بمعنى أن أسبابها ممنوع عنها على لسان الشرع والعقل جميعا ومعنى تسليم الخزنة الاكرام والتهنئة بأنهم سلموا من أحوال الدنيا وأهوال القيامة ومعنى (طبتم) قيل اخبارهم عن كونهم طيبين في الدنيا بالافعال الصالحة والاخلاق الفاضلة أو طبتم نفسا بما نلتم من الجنة ونعيمها وقيل ان أهل الجنة اذا انتهوا الى بابها وجدوا عنده عينين تجريان من ساق شجرة فيتطهرون من احداهما فتجري عليهم نضرة النعيم فلن تتغير أبشارهم بعدها أبدا ويشربون من الأخرى فيذهب ما في بطونهم من أذى وقذى فيقول لهم الخزنة طبتم وقال جار الله أرادوا طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا ولهذا عقبه بقوله (فادخلوها خالدين) ليعلم أن الطهارة عن المعاصي هي السبب في دخول الجنة والخلود فيها لانها دار طهرها الله من كل دنس فلا يدخلها الا من هو موصوف بصفتها رزقنا الله تعالى بعميم فضله وحسن توفيقه نسبة توجب ذلك ثم حكى قول المتقين في الجنة فقال (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده) أي الوعد بدخول الجنة (وأورثنا الارض) أرض الجنة عبر عن التمليك بالايراث وقد مر مرارا نتبوأ منها حيث نشاء لان لكل متق جنة لاتوصف سعة فيتبوأ من جنته كما يريد من غير منازع وقال حكماء الاسلام الجنات الجسمانية كذلك أما الروحانية فلا مانع فيها

والارض الا من شاء الله فاذاهم خامدون ثم يأتي ملك الموت الى الجبار تبارك وتعالى فيقول يارب قدمات أهل السموات والارض الا من شئت فيقول له وهو أعلم فمن بقي فيقول بقيت أنت الحي الذي لايموت وبقي حملة عرشك وبقي جبريل وميكائيل فيقول الله له اسكت اني كتبت الموت على من كان تحت عرشي ثم يأتي ملك الموت فيقول يارب قدمات جبريل وميكائيل فيقول الله وهو أعلم فمن بقي فيقول بقيت أنت الحي الذي لايموت وبقي حملة عرشك وبقيت أنا فيقول الله فليمت حملة العرش فيموتون ويأمر الله تعالى العرش فيقبض الصور فيقول أي رب قدمات حملة عرشك فيقول من بقي وهو أعلم فيقول بقيت أنت الحي الذي لايموت وبقيت أنا قال فيقول الله أنت من خلق خلقتك لما رأيت فمت لاتحي فيموت وهذا القول الذي روي في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالصحة لان الصعقة في هذا الموضع الموت والشهداء وان كانوا عند الله أحياء كما أخبر الله تعالى ذكره فانهم قد ذاقوا الموت قبل ذلك وانما عني جل ثناؤه بالاستثناء في هذا الموضع الاستثناء من الذين صعقوا عند نفخة الصعق لا من الذين قدماتوا قبل ذلك بزمان ودهر طويل وذلك أنه لو جاز أن يكون المراد بذلك من قد هلك وذاق الموت قبل وقت نفخة الصعق وجب أن يكون المراد بذلك من قد هلك فذاق الموت من قبل ذلك لانه ممن لا يصعق في ذلك الوقت اذا كان الميت لايجدد له موت آخر في تلك الحال * وقال آخرون في ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قال الحسن يستثني الله وما يدع أحدا من أهل السموات ولا أهل الارض الا أذاقه الموت قال قتادة قد استثنى الله والله أعلم الى ما صارت ثنيته قال ذكر لنا أن نبي الله قال أتاني ملك فقال يا محمد اختر نبيا ملكا أو نبيا عبدا فأومأ الي أن تواضع قال نبيا عبدا قال فأعطيت خصلتين أن جعلت أول من تنشق عنه الارض وأول شافع فأرفع رأسي فأجد موسى آخذا بالعرش فالله أعلم أصعق بعد الصعقة الاولى أم لا حدثنا أبو كريب قال ثنا عبدة بن سليمن قال ثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال يهودي بسوق المدينة والذي اصطفى موسى على البشر قال فرفع رجل من الانصار يده فصك بها وجهه فقال تقول هذا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون فأكون أنا أول من يرفع رأسه فاذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن الحسن قال قال النبي صلى الله عليه وسلم كأني أنفض رأسي من التراب أول خارج فألتفت فلا أرى أحدا الا موسى متعلقا بالعرش فلا أدري أممن استثنى الله أن لاتصيبه النفخة أو بعث قبلي وقوله ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون يقول تعالى ذكره ثم نفخ في الصور نفخة أخرى والهاء التي في فيه من ذكر الصور كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ثم نفخ فيه أخرى قال في الصور وهي نفخة البعث وذكر أن بين النفختين أربعين سنة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما قال أبيت قالوا أربعون شهرا

قال أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت ثم ينزل الله من السماء ماء فتنبتون كما ينبت البقل قال وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة حدثنا يحيى بن واضح قال ثنا البلخي بن اياس قال سمعت عكرمة يقول في قوله فصعق من في السموات ومن في الارض الآية قال الاولى من الدنيا والأخيرة من الآخرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون قال نبي الله بين النفختين أربعون قال قال أصحابه فما سألناه عن ذلك ولا زادنا على ذلك غير أنهم كانوا يرون من رأيهم أنها أربعون سنة وذكر لنا أنه يبعث في تلك الاربعين مطر يقال له مطر الحياة حتى تطيب الارض وتهتز وتنبت أجساد الناس نبات البقل ثم ينفخ فيه الثانية فاذا هم قيام ينظرون قال ذكر لنا أن معاذ بن جبل سأل نبي الله صلى الله عليه وسلم كيف يبعث المؤمنون يوم القيامة قال يبعثون جردا مردا مكحلين بني ثلاثين سنة وقوله فاذا هم قيام ينظرون يقول فاذا من صعق عند النفخة التي قبلها وغيرهم من جميع خلق الله الذين كانوا أمواتا قبل ذلك قيام من قبورهم وأماكنهم من الارض أحياء كهيئتهم قبل مماتهم ينظرون أمر الله فيهم كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي فاذا هم قيام ينظرون قال حين يبعثون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون) يقول تعالى ذكره فأضاءت الارض بنور ربها يقال أشرقت الشمس اذا صفت وأضاءت وشرقت اذا طلعت وذلك حين يبرز الرحمن لفصل القضاء بين خلقه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأشرقت الارض بنور ربها قال فما يتضارون في نوره الا كما يتضارون في الشمس في اليوم الصحو الذي لا دخن فيه حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وأشرقت الارض بنور ربها قال أضاءت وقوله ووضع الكتاب يعني كتاب أعمالهم لمحاسبتهم ومجازاتهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ووضع الكتاب قال كتاب أعمالهم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ووضع الكتاب قال الحساب وقوله وجيء بالنبيين والشهداء يقول وجيء بالنبيين ليسألهم ربهم عما أجابتهم به أممهم وردت عليهم في الدنيا حين أتتهم رسالة الله والشهداء يعني بالشهداء أمة محمد صلى الله عليه وسلم يستشهدهم ربهم على الرسل فيما ذكرت من تبليغها رسالة الله التي أرسلهم بها ربهم الى أممها اذ جحدت أممهم أن يكونوا أبلغوهم رسالة الله والشهداء جمع شهيد وهذا نظير قول الله وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل عني بقوله الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله وليس لما قالوا من ذلك في هذا الموضع كبير معنى لان عقيب قوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وفي ذلك دليل واضح على صحة ما قلنا من أنه انما دعي بالنبيين والشهداء للقضاء بين الانبياء وأممها وأن الشهداء انما هي جمع شهيد الذين يشهدون للانبياء على أممهم كما ذكرنا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل

من المشاركة وأن يحصل لغيره ما يحصل لبعض الاشخاص ثم وصف مآب الملائكة المقربين بعد بعثهم فقال (وترى) أيها الرائي أو النبي (الملائكة حافين) محدقين وهو نصب على الحال (٣٣) قال الفراء لا واحد له لانه لا بد فيه من الجمعية وأقول لعله عنى من حيث الاستعمال وقيل الحاف بالشيء الملازم له وقوله من حول العرش من زائدة أو ابتدائية أي مبتدأ خوفهم من هناك الى حيث شاء الله أو متصل بالرؤية (يسبحون بحمد ربهم) تلذذا لا تعبدا وكان جوانب العرش دار ثواب الملائكة وانها ملاصقة لجوانب الجنة والضمير في قوله (وقضى بينهم) للعباد كلهم لقرائن ذكر القيامة فان ادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون الا قضاء بينهم بالحق والعدل وقيل بين الانبياء وأممهم وقيل تكرار لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل هو حال وقد مقدرة معه أي يسبحون بحمد ربهم وقد قضى بينهم يعني بين الملائكة على أن ثوابهم ليس على سنن واحد ويحتمل عندي أن يعود الضمير الى البشر والملائكة جميعا والقضاء بينهم هو انزال البشر مقامهم من الجنة أو النار وانزال الملائكة حول العرش ثم ختم السورة بقوله (وقيل الحمد لله) والقائل المقضي بينهم وهم جميع العباد كقوله وآخر دعواهم أن الحمد لله أو جميع الملائكة حمدوا الله على انزال كل منزلته

* (سورة المؤمن وهي مكية الا آية قوله ان الذين يجادلون حروفها أربعة آلاف وتسعمائة وسبعون كلمها الف ومائتان غير كلمة آياتها خمس وثمانون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب

التأويل

وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون
للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات

عدن التي وعدتهم ومن صلح من
آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك
أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات
ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته
وذلك هو الفوز العظيم ان الذين
كفروا ينادون لمقت الله أكبر من
مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان
فتكفرون قالوا ربنا أمتنا اثنتين
وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل
الى خروج من سبيل ذلكم بأنه اذا
دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به
تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير هو
الذي يريكم آياته وينزل لكم من
السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب
فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره
الكافرون رفيع الدرجات ذو العرش
يلقي الروح من أمره على من يشاء
من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم
بارزون لا يخفى على الله منهم شئ لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم
تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم
اليوم ان الله سريع الحساب وأنذرهم
يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر
كاظمين ما للظالمين من حميم
ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الأعين
وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق
والذين يدعون من دونه لا يقضون
بشئ ان الله هو السميع البصير أولم
يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا
هم أشد منهم قوة وآثارا في الارض
فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم
من الله من واق ذلك بأنهم
كانت تأتيهم رسلهم بالبينات
فكفروا فأخذهم الله انه قوي

التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي
عن ابن عباس قوله وجئ بالنبيين والشهداء فانهم ليشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وبتكذيب الامم
اياهم ذكر من قال ما حكينا قوله من القول الآخر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل
قال ثنا أسباط عن السدي وجئ بالنبيين والشهداء الذين استشهدوا في طاعة الله وقوله
وقضي بينهم بالحق يقول تعالى ذكره وقضي بين النبيين وأممها بالحق وقضاؤه بينهم بالحق
أن لا يحمل على أحد ذنب غيره ولا يعاقب نفسا الا بما كسبت ﴿﴾ القول في تأويل قوله تعالى
﴿ ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا
جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء
يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ يقول تعالى ذكره ووفى الله
حينئذ كل نفس جزاء عملها من خير وشر وهو أعلم بما يفعلون في الدنيا من طاعة أو معصية
ولا يعزب عنه علم شئ من ذلك وهو مجازيهم عليه يوم القيامة فمثيب المحسن باحسانه والمسيء بما
أساء وقوله وسيق الذين كفروا الى جهنم يقول وحشر الذين كفروا بالله الى ناره التي أعدها لهم
يوم القيامة جماعات جماعة جماعة وحزبا حزبا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة في قوله زمرا قال جماعات وقوله حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها السبعة وقال لهم خزنتها
قوامها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم يعني كتاب الله المنزل على رسله وحججه التي
بعث بها رسله الى أممهم وينذرونكم لقاء يومكم هذا يقول وينذرونكم ما تلقون في يومكم هذا
وقد يحتمل أن يكون معناه وينذرونكم مصيركم الى هذا اليوم قالوا بلى يقول قال الذين كفروا مجيبين
لخزنة جهنم بلى قد أتتنا الرسل منا فأنذرتنا لقاءنا هذا اليوم ولكن حقت كلمة العذاب على
الكافرين يقول قالوا ولكن وجبت كلمة الله أن عذابه لاهل الكفر به علينا بكفرنا به كما حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين
بأعمالهم ﴿﴾ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى
المتكبرين ﴾ يقول تعالى ذكره فتقول خزنة جهنم للذين كفروا حينئذ ادخلوا أبواب جهنم
السبعة على قدر منازلكم فيها خالدين فيها يقول ماكثين فيها لا ينقلون عنها الى غيرها فبئس مثوى
المتكبرين يقول فبئس مسكن المتكبرين على الله في الدنيا أن يوحدوه ويفردوا له الالوهة جهنم
يوم القيامة ﴿﴾ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها
وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾ يقول تعالى ذكره وحشر الذين
اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب معاصيه في الدنيا وأخلصوا له فيها الالوهة وأفردوا له العبادة
فلم يشركوا في عبادتهم اياه شيئا الى الجنة زمرا يعني جماعات فكان سوق هؤلاء الى منازلهم من الجنة
وفدا على ما قد بينا قبل في سورة مريم على نجائب من نجائب الجنة وسوق الآخرين الى النار دعا
وورداً كما قال الله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وقد ذكرنا ذلك في أماكنه من هذا
الكتاب وقد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وسيق الذين كفروا الى
جهنم زمرا وفي قوله وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا قال كان سوق أولئك عنفا وتعبا ودفعا

شديد العقاب ﴾ ﴿﴾ القراآت حم وما بعده بالامالة حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وقرأ أبو جعفر ونافع
• بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب وذلك طبعا لا اختلافا فالمعان مذكورة في ص كلمات ربك على الجمع أبو جعفر ونافع وابن عامر لتنذر

بالتاء الفوقانية على أن الضمير للروح وقد تؤنث أو على خطاب الرسول يعقوب غير رويس التلاقي بالياء في الحالين ابن كثير و يعقوب
وافق يزيد وورش وسهل وعباس في الوصل والذين تدعون على الخطاب نافع وهشام غير الرازي وابن مجاهد والنقاش وابن
ذكوان أشد منكم ابن عامر الباقون
منهم ۞ الوقوف حم ط كوفي
العليم ه لا الطول ط الاهو
ط المصير ه البلاد ه من بعدهم ص
لعطف الجملتين المتفقتين فأخذتهم
ط للابتداء بالتهديد عقاب ه
النار م لئلا يتوهم أن ما بعده صفة
أصحاب النار آمنوا ج لحق القول
المحذوف الجحيم ه وذرياتهم ط
الحكيم ه وقد يوصل للعطف
السيئات ط رحمته ط العظيم
ه فتكفرون ه سبيل ه كفرتم
ج للابتداء بالشرط مع العطف
تؤمنوا ط الكبير ه رزقا ط
ينيب ه الكافرون ه
ذو العرش ج لاحتمال ما بعده
الاستئناف والحال التلاق ه لا
بارزون ج لاحتمال الاستئناف
وتعلقه بالظرف شيء ط اليوم ط
فصلا بين السؤال والجواب القهار
ه كسبت ط اليوم ط الحساب
ه كاظمين ط يطاع ه ط
الصدور ه بالحق ط بشيء ط
البصير ه من قبلهم ط واق
ه فأخذهم الله ط العقاب ه
۞ التفسير حم اسم الله الأعظم
وقيل حم ما هو كائن أي قدر وروى
أن أعرابيا قال للنبي صلى الله عليه
وسلم ما حم فقال أسماء وفواتح
سور وقد تقدم القول في حواميم
في مقدمات الكتاب وفي أول البقرة
ومن جملة تلك التقادير أن يقال
السورة المسماة بحم (تنزيل
الكتاب من الله العزيز العليم) وقد
مر نظيره في أول الزمر ثم وصف
نفسه بما يجمع الوعد والوعيد فقال (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول) قالت المعتزلة معناه في
أنه غافر الذنب إذا استحق غفرانه إما بالتوبة إن كان كبيرا أو طاعة أعظم منه ثوابا إن كان صغيرا وقال الأشعري انه قد يعفو عن الكبائر بدون

وقرأ يوم يدعون الى نار جهنم دعا قال يدفعون دفعا وقرأ فذلك الذي يدع اليتيم قال يدفعه وقرأ
ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ونحشر المتقين الى الرحمن وفدا ثم قال فهؤلاء وفد الله حدثنا مجاهد
ابن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا شريك بن عبدالله عن أبي إسحق عن عاصم بن ضمرة عن
علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى بابها
اذا هم بشجرة يخرج من أصلها عينان فعمدوا الى احداهما فشربوا منها كأنما أمروا بها فخرج
ما في بطونهم من قذر أو أذى أو قذى ثم عمدوا الى الاخرى فتوضؤا منها كأنما أمروا به فجرت
عليهم نضرة النعيم فلن تشعث رؤسهم بعدها أبدا ولن تبلى ثيابهم بعدها ثم دخلوا الجنة فتلقتهم الولدان
كأنهم اللؤلؤ المكنون فيقولون أبشر أعد الله لك كذا وأعد لك كذا وكذا ثم ينظر الى تأسيس بنيانه
جندل اللؤلؤ الاحمر والاصفر والاخضر يتلألأ كأنه البرق فلولا أن الله قضى أن لا يذهب بصره
لذهب ثم يأتي بعضهم الى بعض أزواجه فيقول أبشري قد قدم فلان بن فلان فيسميه باسمه واسم
أبيه فتقول أنت رأيته أنت رأيته فيستخفها الفرح حتى تقوم فتجلس على أسكفة بابها فيدخل
فيتكئ على سريره ويقرأ هذه الآية الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله الآية
حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال ذكر أبو إسحق عن الحرث عن علي
رضي الله عنه قال يساقون الى الجنة فينتهون اليها فيجدون عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان
تجريان فيعمدون الى احداهما فيغتسلون منها فتجري عليهم نضرة النعيم فلن تشعث رؤسهم
بعدها أبدا ولن تغبر جلودهم بعدها أبدا كأنما دهنوا بالدهان ويعمدون الى الأخرى فيشربون
منها فيذهب ما في بطونهم من قذى أو أذى ثم يأتون باب الجنة فيستفتحون فيفتح لهم فتتلقاهم خزنة
الجنة فيقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون قال وتتلقاهم الولدان المخلدون يطيفون
بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم اذا جاء من الغيبة يقولون أبشر أعد الله لك كذا وأعد لك كذا
فينطلق أحدهم الى زوجته فيبشرها به فيقول قدم فلان باسمه الذي كان يسمى به في الدنيا وقال
فيستخفها الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها وتقول أنت رأيته أنت رأيته قال فيقول نعم قال فيجيء
حتى يأتي منزله فاذا أصوله من جندل اللؤلؤ من بين أصفر وأحمر وأخضر قال فيدخل فاذا
الأكواب موضوعة والنمارق مصفوفة والزرابي مبثوثة قال ثم يدخل الى زوجته من الحور العين
فلولا أن الله أعدها له لالتمع بصره من نورها وحسنها قال فاتكأ عند ذلك ويقول الحمد لله الذي
هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله قال فتناديهم الملائكة أن تلكم الجنة أورثتموها بما
كنتم تعملون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط قال ذكر السدي نحوه أيضا غير
أنه قال لهو أهدى الى منزله في الجنة منه الى منزله في الدنيا ثم قرأ السدي ويدخلهم الجنة عرفها لهم
واختلف أهل العربية في موضع جواب اذا التي في قوله حتى اذا جاؤها فقال بعض نحويي البصرة
يقال ان قوله وقال لهم خزنتها في معنى قال لهم كأنه يلغي الواو وقد جاء في الشعر شيء يشبه أن تكون
الواو زائدة كما قال الشاعر

فاذا وذلك يا كبيشة لم يكن * الا توهم حالم بخيال

فيشبه أن يكون يريد فاذا ذلك لم يكن قال وقال بعضهم فأضمر الخبر وإضمار الخبر أيضا أحسن

في الآية واضمار الخبر في الكلام كثير وقال آخر منهم هو مكفوف عن خبره قال والعرب تفعل مثل هذا قال عبد مناف بن ربع في آخر قصيدة

حتى اذا أسلكوهم في قتائدة * شلا كما تطرد الجمالة الشردا

وقال الأخطل في آخر قصيدة

خلا أن حيا من قريش تفاضلوا * على الناس أو أن الأكارم نهشلا

وقال بعض نحويي الكوفة أدخلت في حتى اذا وفي فلما الواو في جوابها وأخرجت فأما من أخرجها فلا شيء فيه ومن أدخلها شبه الأوائل بالتعجب فجعل الثاني نسقا على الاول وان كان الثاني جوابا كأنه قال أتعجب لهذا وهذا * وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال الجواب متروك وان كان القول الآخر غير مدفوع وذلك أن قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين يدل على أن في الكلام متروكا اذ كان عقيبه وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واذا كان ذلك كذلك فمعنى الكلام حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين دخلوها وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وعني بقوله سلام عليكم أمنة من الله لكم أن ينالكم بعد مكروه أو أذى وقوله طبتم يقول طابت أعمالكم في الدنيا فطاب اليوم مثواكم وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله طبتم قال كنتم طيبين في طاعة الله وقوله وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده يقول وقال الذين سيقوا زمرا ودخلوها الشكر خالص لله الذي صدقنا وعده الذي كان وعدناه في الدنيا على طاعته فحققه بانجازه لنا اليوم وأورثنا الارض يقول وجعل أرض الجنة التي كانت لاهل النار لو كانوا أطاعوا الله في الدنيا فدخلوها ميراثا لنا عنهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأورثنا الارض قال أرض الجنة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وأورثنا الارض أرض الجنة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأورثنا الارض قال أرض الجنة وقرأ أن الارض يرثها عبادي الصالحون وقوله نتبوأ من الجنة حيث نشاء يقول نتخذ من الجنة بيتا ونسكن منها حيث نحب ونشتهي كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي نتبوأ منها حيث نشاء ننزل منها حيث نشاء وقوله فنعم أجر العاملين يقول فنعم ثواب المطيعين لله العاملين له في الدنيا الجنة لمن أعطاه الله اياها في الآخرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى

﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره وترى يا محمد الملائكة محدقين من حول عرش الرحمن ويعني بالعرش السرير ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وترى الملائكة حافين من حول العرش محدقين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وترى الملائكة حافين من حول العرش قال محدقين حول العرش قال العرش السرير واختلف أهل العربية في وجه دخول من في قوله حافين من حول العرش والمعنى حافين حول العرش وفي قوله ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك فقال بعض

التوبة لئلا يلزم التكرار بقوله قابل التوب وليفيد المدح المطلق و يؤيده ادخال الواو بين هذين الوصفين فقط كأنه قيل الجامع بين المغفرة ان كانت بدون توبة و بين القبول ان كانت بتوبة فقد جمع للذنب بين رحمتين بحسب الحالتين وقيل غافر الذنب الصغير وقابل التوب عن الكبير أو غافر الذنب باسقاط العقاب وقابل التوب بايجاب الثواب ثم ان قبول التوبة واجب على الله أم لا فيه بحث أيضا للفريقين فالمعتزلة أوجبوه والأشعري يقول انه على سبيل التفضل والا لم يتمدح به والظاهر أن التوب مصدر وقيل جمع توبة أي ما ذنب تاب منه العبد الا قبل توبته وقد ذكر أهل الاعراب ههنا سؤالا وهو أن غافر الذنب وقابل التوب يمكن بوجههما بأنهما معرفتان كما سبق في مالك يوم الدين وهو أنهما بمعنى الماضي أو الاستمرار فيصح وقوعهما صفتين لله الا أن قوله شديد العقاب لا يمكن فيه هذا الوجه لانه في معنى شديد عقابه فان قلنا انه صفة لزم وقوع النكرة صفة للمعرفة وان قلنا انه بدل لزم نبو ظاهر للزوم بدل واحد فيما بين صفات كثيرة وأجيب على تقدير أن لا يكون الكل أبدالا بأن الالف واللام من شديد محذوف لمناسبة ما قبله مع الامن من اللبس ومن جهالة الموصوف أو تعمد تنكيره من بين الصفات للابهام والدلالة على فرط الشدة وجوزوا أن تكون هذه النكتة سببا لجعله بدلا من بين سائر أخواته هذا ما قاله صاحب الكشاف وعندي أنه لا مانع من جعل شديد العقاب أيضا للاستمرار والدوام حتى يصير اضافة حقيقية قوله (ذي الطول) أي ذي الفضل بسبب ترك العقاب وقد مر في قوله ومن لم يستطع منكم طولا وانما أورد هذا الوصف بعد وصفه نفسه بشدة العقاب ليعلم أن خاتمة أمره مبنية على التفضل كما أن فاتحته مبنية على الغفران وقبول التوبة وقد تقع عقوبة في الوسط أعاذنا الله منها

نحويي البصرة أدخلت من في هذين الموضعين توكيدا والله أعلم كقولك ماجاءني من أحد وقال غيره قبل وحول وما أشبههما ظروف تدخل فيهامن وتخرج نحو أتيتك قبل زيد ومن قبل زيد وطفنا حولك ومن حولك وليس ذلك من نوع ماجاءني من أحد لأن موضع من في قولهم ماجاءني من أحد رفع وهو اسم * والصواب من القول في ذلك عندي أن من في هذه الأماكن أعني في قوله من حول العرش ومن قبلك وما أشبه ذلك وان كانت دخلت على الظروف فانها بمعنى التوكيد وقوله يسبحون بحمد ربهم يقول يصلون حول عرش الله شكرا له والعرب تدخل الباء أحيانا في التسبيح وتحذفها أحيانا فتقول سبح بحمد الله وسبح حمد الله كما قال جل ثناؤه سبح اسم ربك الأعلى وقال في موضع آخر فسبح باسم ربك العظيم وقوله وقضى بينهم بالحق يقول وقضى الله بين النبيين الذين جيء بهم والشهداء وأممها بالعدل فأسكن أهل الايمان بالله وبما جاءت به رسله الجنة وأهل الكفر به وبما جاءت به رسله النار وقيل الحمد لله رب العالمين يقول وختمت خاتمة القضاء بينهم بالشكر للذي ابتدأ خلقهم الذي له الالوهية وملك جميع ما في السموات والارض من الخلق من ملك وجن وانس وغير ذلك من أصناف الخلق وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يسبحون بحمد ربهم الآية كلها قال فتح أول الخلق بالحمد لله فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختم بالحمد فقال وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين

آخر تفسير سورة الزمر

﴿ تفسير سورة المؤمن ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير﴾ اختلف أهل التأويل في معنى قوله حم فقال بعضهم هو حروف مقطعة من اسم الله الذي هو الرحمن الرحيم وهو الحاء والميم منه ذكر من قال ذلك حدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه المروزي قال ثنا علي بن الحسن قال ثني أبي عن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة * وقال آخرون هو قسم أقسمه الله وهو اسم من أسماء الله ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال حم قسم أقسمه الله وهو اسم من أسماء الله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله حم من حروف أسماء الله * وقال آخرون بل هو اسم من أسماء القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حم قال اسم من أسماء القرآن * وقال آخرون هو حروف هجاء * وقال آخرون بل هو اسم واحتجوا لقولهم ذلك بقول شريح بن أوفى العبسي

يذكرني حم والرمح شاجر * فهلا تلا حم قبل التقدم

الا أنه لا يبقى مؤمن في النار خالدا ببركة قوله لا اله الا الله وهو المبدأ أو سبب علمه أنه اليه المصير وهو المعاد وفيه أن من آمن بالمبدا والمعاد فان أخل في الوسط ببعض التكاليف كان مرجوا أن (٣٦) يغفر الله له ويقبل توبته ثم بين أحوال من لا يقبل هذه التقريرات ولا يخضع لها فقال (ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا) والجدال في آياته نسبتها الى الشعر تارة والى السحر أخرى الى غير ذلك من المطاعن وفضول الكلام فأما البحث عنها لاستنباط حقائقها والوقوف على دقائقها وحل مشكلاتها فنوع من الجهاد في سبيل الله ولمكان الفرق بين هذين الجدالين قال صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القرآن كفر فنكر الجدال ليشمل أحد نوعيه فقط وهو الجدال بالباطل كما يجيء في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ثم عقب الكلام بقوله (فلا يغررك) ليعلم أن جدالهم الصادر عن البطر والاشر والجاه والخدم لا اعتبار به وكذا (تقلبهم في البلاد) للتجارات والمكاسب فان قريشا كانت أصحاب أموال متجرين الى الشام واليمن مترفين بأموالهم مستكبرين عن قبول الحق لذلك ثم مثل حالهم بحال الامم السالفة الذين تحزبوا على الرسل وكادوا يقتلونهم فأهلكهم الله ودمرهم ونجى الرسل ثم بين بقوله (وكذلك حقت) أنهم في الآخرة أيضا معذبون وقوله (أنهم أصحاب النار) بدل من كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة لهم في الآخرة من أصحاب النار وجوز جار الله أن يكون أنهم في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل وقوله الذين كفروا قريش أي كما وجب اهلاك أولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لأن العلة الجامعة وهي أنهم أصحاب النار واحدة في الفريقين ومن قرأ كلمات على الجمع أراد بها علم الله السابق أو معلوماته ويقول التي لا نهاية لها أو الآيات الواردة في وعيد الكفار وحين بين أن الكفار بالغوا في اظهار عداوة المؤمنين حكى أن أشرف طبقات أكثر

المخلوقات وهم حملة العرش والحافون حوله يبالغون فى محبتهم ونصرتهم كأنه قيل ان كان هؤلاء الاراذل يعادونهم فلا تبال بهم ولا تقم
لهم وزنا فان الاشراف يحابونهم روى صاحب الكشاف أن حملة العرش أرجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت

وبقول الكميت

وجدنا لكم فى آل حم آية * تأولها منا تقى ومعرب

وحدثت عن معمر بن المثنى أنه قال قال يونس يعنى الجرمى ومن قال هذا القول فهو منكر عليه لان السورة حم ساكنة الحروف فخرجت مخرج التهجى وهذه أسماء سور خرجت متحركات واذا سميت سورة بشىء من هذه الأحرف المجزومة دخله الاعراب * والقول فى ذلك عندى نظير القول فى أخواتها وقد بينا ذلك فى قوله الم ففى ذلك كفاية عن اعادته فى هذا الموضع اذ كان القول فى حم وجميع ما جاء فى القرآن على هذا الوجه أعنى حروف التهجى قولا واحدا وقوله تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم يقول الله تعالى ذكره من الله العزيز فى انتقامه من أعدائه العليم بما يعملون من الاعمال وغيرها تنزيل هذا الكتاب فالتنزيل مرفوع بقوله من الله وفى قوله غافر الذنب وجهان أحدهما أن يكون بمعنى يغفر ذنوب العباد واذا أريد هذا المعنى كان خفض غافر وقابل من وجهين أحدهما من نية تكرير من فيكون معنى الكلام حينئذ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم من غافر الذنب وقابل التوب لأن غافر الذنب نكرة وليس بالأفصح أن يكون نعتا للمعرفة وهو نكرة والآخر أن يكون أجرى فى اعرابه وهو نكرة على اعراب الاول كالنعت له لوقوعه بينه وبين قوله ذى الطول وهو معرفة وقد يجوز أن يكون أتبع اعرابه وهو نكرة اعراب الاول اذ كان مدحا وكان المدح يتبع اعرابه ما قبله أحيانا ويعدل به عن اعراب الاول أحيانا بالنصب والرفع كما قال الشاعر

لا يبعدن قومى الذين هم * سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك * والطيبين معاقد الأزر

وكما قال جل ثناؤه وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد فرفع فعال وهو نكرة محضة وأتبع اعراب الغفور الودود والآخر أن يكون معناه أن ذلك من صفته تعالى اذ كان لم يزل لذنوب العباد غفورا من قبل نزول هذه الآية وفى حال نزولها ومن بعد ذلك فيكون عند ذلك معرفة صحيحة ونعتا على الصحة وقال غافر الذنب ولم يقل الذنوب لانه أريد به الفعل وأما قوله وقابل التوب فان التوب قد يكون جمع توبة كما يجمع الدومة دوما والعومة عوما من عومة السفينة كما قال الشاعر * عوم السفين فلما حال دونهم * وقد يكون مصدر تاب يتوب توبا وقد حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبى اسحق قال جاء رجل الى عمر فقال انى قتلت فهل لى من توبة قال نعم اعمل ولا تيأس ثم قرأ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب وقوله شديد العقاب يقول تعالى ذكره شديد عقابه لمن عاقبه من أهل العصيان له فلا تتكلوا على سعة رحمته ولكن كونوا منه على حذر باجتناب معاصيه وأداء فرائضه فانه كما أنه لا يؤيس أهل الأجرام والآثام من عفوه وقبول توبة من تاب منهم من جرمه كذلك لا يؤمنهم من عقابه وانتقامه منهم بما استحلوا من محارمه وركبوا من معاصيه وقوله ذى الطول يقول ذى الفضل والنعم المبسوطة على من شاء من خلقه يقال منه ان فلانا لذو طول على أصحابه اذا كان ذا فضل عليهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ذى الطول يقول ذى

العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا فى عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه فى الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وهو طائر صغير شبيه العصفور وروى أن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وعدد حملة العرش يوم القيامة ثمانية لقوله عز وجل ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية أما فى غير ذلك الوقت فلا يعلم به الا الله أما الذين حول العرش فقيل سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر وهذه الآثار كلها منقولة من كتاب الكشاف * سؤال ما فائدة قوله (ويؤمنون به) ولا يخفى أن حملة العرش ومن حوله مؤمنون أجاب فى الكشاف بأن فائدته التنبيه على شرف الايمان والترغيب فيه وأيضا فيه تكذيب المجسمة فان الامر لو كان على زعمهم لكانت الملائكة يشاهدونه فلا يوصفون بالايمان به لانه لا يوصف بالايمان الا الغائب فعلم أن ايمانهم كايمان أهل الارض والكل سواء فى أن ايمانهم بطريق النظر والاستدلال واستحسن

هذا الكلام الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير حتى ترحم عليه وقال لو لم يكن فى كتابه الا هذه النكتة لكفى به فخرا وشرفا وأنا أقول
لانسلم أن الايمان لايكون الا بالغائب والا لم يكن الايمان بالنبي وقت تحديه بالقرآن وان شئت فتأمل قوله تعالى الذين
يؤمنون بالغيب فلو لم يكن ايمان
بالشهادة لم يكن لقوله بالغيب فائدة
على أنه يحتمل أن يشاهد الرب
وينكر كونه الها ويمكن أن يكون
قبول الشئ محجوبا عن ذلك الشئ
فمن أين يلزم تكذيب المجسمة وقال
بعضهم فى الجواب أراد أنهم
يسبحون تسبيح تلفظ لا تسبيح
دلالة وزعم فخر الدين أن فى الآية
دلالة أخرى على ابطال قول أهل
التجسيم ان الاله على العرش فانه
لو كان كما زعموا وحامل الشئ حامل
لكل ما على ذلك الشئ لزم أن تكون
الملائكة حاملين لاله العالم حافظين
له والحافظ أولى بالالهية من
المحفوظ قلت لاشك أن هذه مغالطة
فان جاز الحمل لاجل العظمة
واظهار الكبرياء على مايزعم
الخصم فى المسئلة كيف يلزم منه
ذلك وهل يزعم عاقل أن الحمار
أشرف من الانسان الراكب عليه
من جهة الركوب عليه وانما
ذكرت ماذكرت لكونه واردا
على كلام الامامين مع وفور فضلهما
وبعد غورهما لا لانى مائل
فى المسئلة على ما يزعم الخصم الى غير
معتقدهما قال جار الله وقد روعى
التناسب فى قوله ويؤمنون به
ويستغفرون للذين آمنوا كأنه
قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن
فى مثل حالهم وفيه أنهم بعد التعظيم
لأمر الله يتعاونون على الشفقة على
خلق الله ولا سيما المؤمنين لان
الايمان جامع لا أجمع منه يجذب
السماوى الى الارضى والروحانى
الى العنصرى احتج كثير من العلماء
بالآية على أفضلية الملك قالوا لانها تدل على أنه لا معصية للملائكة والا لزم بحكم الابتداء بنفسك أن يستغفروا
أولا لأنفسهم قال الله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال نوح رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا قلت لا نزاع بالنسبة

السعة والغنى **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ذى الطول الغنى **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذى الطول أى ذى النعم * وقال بعضهم الطول القدرة ذكر من قال ذلك **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ذى الطول قال الطول القدرة ذاك الطول وقوله لا اله الا هو اليه المصير يقول لا معبود تصلح له العبادة الا الله العزيز العليم الذى صفته ما وصف جل ثناؤه فلا تعبدوا شيأ سواه اليه المصير يقول تعالى ذكره الى الله مصيركم ومرجعكم أيها الناس فاياه فاعبدوا فانه لا ينفعكم شئ عبدتموه عند ذلك سواه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب﴾ يقول تعالى ذكره ما يخاصم فى حجج الله وأدلته على وحدانيته بالانكار لها الا الذين جحدوا توحيده وقوله فلا يغررك تقلبهم فى البلاد يقول جل ثناؤه فلا يخدعك يا محمد تصرفهم فى البلاد وبقاؤهم ومكثهم فيها مع كفرهم بربهم فتحسب أنهم انما أمهلوا وتقلبوا فتصرفوا فى البلاد مع كفرهم بالله ولم يعاجلوا بالنقمة والعذاب على كفرهم لانهم على شئ من الحق فانا لم نمهلهم لذلك ولكن ليبلغ الكتاب أجله ولتحق عليهم كلمة العذاب عذاب ربك كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلا يغررك تقلبهم فى البلاد أسفارهم فيها ومجيئهم وذهابهم ثم قص على رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص الأمم المكذبة رسلها وأخبره أنهم كانوا من جدالهم لرسلهم على مثل الذى عليه قومه الذين أرسل اليهم وأنه أحل بهم من نقمته عند بلوغهم أمدهم بعد اعذار رسله اليهم وانذارهم بأسه ما قد ذكر فى كتابه إعلاما منه بذلك نبيه أن سنته فى قومه الذين سلكوا سبيل أولئك فى تكذيبه وجداله سنته من احلال نقمته بهم وسطوته بهم فقال تعالى ذكره كذبت قبل قومك المكذبين لرسالتك اليهم رسولا المجادليك بالباطل قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهم الامم الذين تحزبوا وتجمعوا على رسلهم بالتكذيب لها كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين وأشباههم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم قال الكفار وقوله وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه يقول تعالى ذكره وهمت كل أمة من هذه الامم المكذبة رسلها المتحزبة على أنبيائها برسولهم الذى أرسل اليهم ليأخذوه فيقتلوه كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه أى ليقتلوه وقيل برسولهم وقد قيل كل أمة فوجهت الهاء والميم الى الرجل دون لفظ الامة وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله برسولها يعنى برسول الأمة وقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق يقول وخاصموا رسولهم بالباطل من الخصومة ليبطلوا بجدالهم اياه وخصومتهم له الحق الذى جاءهم به من عند الله من الدخول فى طاعته والاقرار بتوحيده والبراءة من عبادة ما سواه كما يخاصمك كفار قومك يا محمد بالباطل وقوله فأخذتهم فكيف كان عقاب يقول تعالى ذكره فأخذت الذين هموا برسولهم ليأخذوه بالعذاب من عندى فكيف كان

عقابى

عقابي اياهم ألم أهلكهم فأجعلهم للخلق عبرة ولمن بعدهم عظة وأجعل ديارهم ومساكنهم منهم خلاء وللوحوش ثواء وقد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأخذتهم فكيف كان عقاب قال شديد والله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) يقول تعالى ذكره وكما حق على الامم التي كذبت رسلها التي قصصت عليك يا محمد قصصها عذابي وحل بها عقابي بتكذيبهم رسلهم وجدالهم اياهم بالباطل ليدحضوا به الحق كذلك وجبت كلمة ربك على الذين كفروا بالله من قومك الذين يجادلون في آيات الله وقوله أنهم أصحاب النار اختلف أهل العربية في موضع قوله أنهم فقال بعض نحويي البصرة معنى ذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار أي لأنهم أو بأنهم وليس أنهم في موضع مفعول ليس مثل قولك أحققت أنهم لو كان كذلك كان أيضا أحققت لأنهم وكان غيره يقول أنهم بدل من الكلمة كأنه أحقت الكلمة حقا أنهم أصحاب النار ۞ والصواب من القول في ذلك أن قوله أنهم ترجمة عن الكلمة بمعنى وكذلك حق عليهم عذاب النار الذي وعد الله أهل الكفر به ۞ القول في تأويل قوله تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) يقول تعالى ذكره الذين يحملون عرش الله من ملائكته ومن حول عرشه ممن يحف به من الملائكة يسبحون بحمد ربهم يقول يصلون لربهم بحمده وشكره ويؤمنون به يقول ويقرون بالله أنه لا اله لهم سواه ويشهدون بذلك لا يستكبرون عن عبادته ويستغفرون للذين آمنوا يقول ويسألون ربهم أن يغفر للذين أقروا بمثل اقرارهم من توحيد الله والبراءة من كل معبود سواه ذنوبهم فيعفوها عنهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويستغفرون للذين آمنوا لأهل لا اله الا الله وقوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وفي هذا الكلام محذوف وهو يقولون ومعنى الكلام ويستغفرون للذين آمنوا يقولون يا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ويعني بقوله وسعت كل شيء رحمة وعلما وسعت رحمتك وعلمك كل شيء من خلقك فعلمت كل شيء فلم يخف عليك شيء ورحمت خلقك ووسعتهم رحمتك وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب الرحمة والعلم فقال بعض نحويي البصرة انتصاب ذلك كانتصاب لك مثله عبدا لانك قد جعلت وسعت كل شيء وهو مفعول له والفاعل التاء وجاء بالرحمة والعلم تفسيرا وقد شغلت عنهما الفعل كما شغلت المثل بالهاء فلذلك نصبته تشبيها بالمفعول بعد الفاعل وقال غيره هو من المنقول وهو مفسر وسعت رحمته وعلمه ووسع هو كل شيء رحمة كما تقول طابت به نفسي وطبت به نفسا وقال أما لك مثله عبدا فان المقادير لا تكون الا معلومة مثل عندي رطل زيتا والمثل غير معلوم ولكن لفظه لفظ المعرفة والعبد نكرة فلذلك نصب العبد وله أن يرفع واستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر

ما في معد والقبائل كلها ۞ قحطان مثلك واحد معدود

وقال رد الواحد على مثل لانه نكرة قال ولو قلت ما مثلك رجل ومثلك رجل ومثلك رجلا جاز لأن مثل يكون نكرة وان كان لفظها معرفة وقوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك يقول فاصفح عن جرم من تاب من الشرك بك من عبادك فرجع الى توحيدك واتبع أمرك ونهيك كما حدثنا بشر

اليهم والى غير المعصومين من البشر وانما النزاع بينهم وبين المعصومين فلا دليل في الآية ولا يلزم من طلب الاستغفار لاحد لو سلم أن قوله للذين آمنوا عام أن يكون المستغفر له عاصيا على أنه قد خصص الاستغفار في قوله فاغفر للذين تابوا وهذا فيه بحث يجيء وفي قولهم (ربنا وسعت كل شيء رحمة) ولو باعطاء الوجود (وعلما) وقد مر في الانعام اشارة الى أن الحمد والثناء ينبغي أن يكون مقدما على الدعاء وفي لفظ ربنا خاصية قوية في تقديم الدعاء كما ذكرنا في آخر آل عمران كأن الداعي يقول كنت نفيا صرفا وعدما محضا فأخرجتني الى الوجود وربيتني فاجعل تربيتك لي شفيعا اليك ولا ريب أن ذكر الله أول كل شيء بمنزلة الاكسير الاعظم للنحاس من حيث انه يقوي جوهر الروح ويكسبه اشراقا وصفاء وفي تقديم الرحمة على العلم فائدة هي أن مطلوب الملائكة في هذا المقام هو أن يرحم المؤمنين فكأنهم قالوا ارحم من علمت منه التوبة واتباع الدين قالت علماء المعتزلة الفائدة في استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون طلب مزيد الكرامة والثواب فهو بمنزلة الشفاعة واذا ثبت شفاعة الملائكة لاهل الطاعة فكذلك شفاعة الانبياء ضرورة أنه لا قائل بالفرق وقال علماء السنة ان مراد الملائكة (فاغفر للذين تابوا) عن الكفر (واتبعوا سبيلك) الايمان وهذا لا ينافي كون المستغفر لهم مذنبين ومما يؤيد ما قلنا أن الاستغفار طلب المغفرة والمغفرة لا تذكر الا في اسقاط العذاب أما طلب النفع الزائد فانه لا يسمى استغفارا قال أهل التحقيق هذا الاستغفار من الملائكة يجري مجرى الاعتذار من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها أما قوله (وقهم عذاب الجحيم) فتصريح بالمطلوب بعد الرمز لان دلالة المغفرة على الوقاية من العذاب كالضمنية وحين طلبوا لاجلهم اسقاط العذاب ضمنا وصريحا طلبوا ايصال الثواب اليهم بقولهم (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم) قال علماء السنة كل أهل الايمان موعودون بالجنة وان

قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاغفر للذين تابوا من الشرك وقوله واتبعوا سبيلك يقول وسلكوا الطريق الذى أمرتهم أن يسلكوه ولزموا المنهاج الذى أمرتهم بلزومه وذلك الدخول فى الاسلام * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واتبعوا سبيلك أى طاعتك وقوله وقهم عذاب الجحيم يقول واصرف عن الذين تابوا من الشرك واتبعوا سبيلك عذاب النار يوم القيامة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن دعاء ملائكته لأهل الايمان به من عباده تقول يا ربنا وأدخلهم جنات عدن يعنى بساتين اقامة التى وعدتهم يعنى التى وعدت أهل الانابة الى طاعتك أن تدخلهموها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم يقول وأدخل مع هؤلاء الذين تابوا واتبعوا سبيلك جنات عدن من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم فعمل بما يرضيك عنه من الاعمال الصالحة فى الدنيا وذكر أنه يدخل مع الرجل أبواه وولده وزوجته الجنة وان لم يكونوا عملوا عمله بفضل رحمة الله اياه كما حدثنا أبو هشام قال ثنا يحيى بن يمان العجلى قال ثنا شريك عن سعيد قال يدخل الرجل الجنة فيقول أين أبى أين أمى أين ولدى أين زوجتى فيقال لم يعملوا مثل عملك فيقول كنت أعمل لى ولهم فيقال أدخلوهم الجنة ثم قرأ جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم فمن اذا اذ كان ذلك معناه فى موضع نصب عطفا على الهاء والميم فى قوله وأدخلهم وجائز أن يكون نصبا على العطف على الهاء والميم فى وعدتهم انك أنت العزيز الحكيم يقول انك أنت يا ربنا العزيز فى انتقامه من أعدائه الحكيم فى تدبيره خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله مخبرا عن قيل ملائكته وقهم اصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم التى كانوا أتوها قبل توبتهم وانابتهم يقولون لا تؤاخذهم بذلك فتعذبهم به ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته يقول ومن تصرف عنه سوء عاقبة سيئاته بذلك يوم القيامة فقد رحمته فنجيته من عذابك وذلك هو الفوز العظيم لانه من نجا من النار وأدخل الجنة فقد فاز وذلك لاشك هو الفوز العظيم * وبنحو الذى قلنا فى معنى السيئات قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقهم السيئات أى العذاب حدثنا ابن بشار قال ثنا معمر بن بشير قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن قتادة عن مطرف قال وجدنا أنصح العباد للعباد الملائكة وأغش العباد للعباد الشياطين وتلا الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال مطرف وجدنا أغش عباد الله لعباد الله الشياطين ووجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين كفروا بالله ينادون فى النار يوم القيامة اذا دخلوها فمقتوا بدخولهموها أنفسهم حين عاينوا ما أعد الله لهم فيها من أنواع العذاب فيقال لهم لمقت الله اياكم أيها القوم فى الدنيا اذ تدعون فيها للايمان

كانوا من أهل الكبائر غايته ذلك انهم يعذبون بالنار مدة ان لم يكن عفو او شفاعة ثم يخرجون الى الجنة قال الفراء والزجاج قوله (ومن صلح) يجوز أن يكون معطوفا على الضمير فى وأدخلهم فيكون دعاء من الملائكة بادخال هؤلاء الاصناف الجنة تكميلا لأنس الاولين وتتميما لابتهاجهم واشفاقا على هؤلاء أيضا ويجوز أن يكون عطفا على الضمير فى وعدتهم لانه تعالى قال فى سورة الرعد أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم وعلى هذا لا يشمل دعاء الملائكة هؤلاء الأصناف اللهم الا ضمنا قال أهل السنة المراد بمن صلح أهل الايمان منهم وان كانوا ذوى كبائر ثم ختم الآية بقوله (انك أنت العزيز الحكيم) لانه ان لم يكن غالبا على الكل لم يصح منه وقوع المطلوب كما يراد وان لم يكن حكيما أمكن منه وضع الشئ فى غير موضعه ثم قالوا (وقهم السيئات) قيل يعنى العقوبات أو عذاب السيئات على حذف المضاف واعترض بأنهم قالوا مرة وقهم عذاب الجحيم فيلزم التكرار وأجيب بأن الاول دعاء للاصول وهذا للفروع وهم الاصناف الثلاثة أو الاول مخصوص بعذاب النار وهذا شامل لعذاب الموقف وعذاب الحساب وعذاب السؤال أو المراد بالسيئات العقائد الفاسدة والاعمال الضارة وعلى هذا يكون يومئذ فى قوله (ومن تق السيئات يومئذ) اشارة الى الدنيا وقوله (فقد رحمته) يجوز أن يكون فى الدنيا وفى الآخرة قال فى الكشاف السيئات هى الصغائر والكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير أو قبول التوبة ثم انه تعالى عاد الى شرح أحوال الكفرة المجادلين فى آياته وأنهم سيعترفون يوم القيامة بما كانوا ينكرونه فى الدنيا من البعث وذلك اذا عاينوا النشأة وتذكروا النشأة الاولى فقال بالله (ان الذين كفروا ينادون) أى يوم القيامة وفى الآية حذف وفيها تقديم وتأخير أما الحذف فالتقدير لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم

باللّه فتكفرون أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم لما حل بكم من سخط الله عليكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لمقت الله أكبر قال مقتوا أنفسهم حين رأوا أعمالهم ومقت الله اياهم فى الدنيا اذ يدعون الى الايمان فيكفرون أكبر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون يقول لمقت الله أهل الضلالة حين عرض عليهم الايمان فى الدنيا فتركوه وأبوا أن يقبلوا أكبر مما مقتوا أنفسهم حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم فى النار اذ تدعون الى الايمان فى الدنيا فتكفرون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ينادون لمقت الله الآية قال لما دخلوا النار مقتوا أنفسهم فى معاصى الله التى ركبوها فنودوا ان مقت الله اياكم حين دعاكم الى الاسلام أشد من مقتكم أنفسكم اليوم حين دخلتم النار واختلف أهل العربية فى وجه دخول هذه اللام فى قوله لمقت الله أكبر فقال بعض أهل العربية من أهل البصرة هى لام الابتداء كأن ينادون يقال لهم لان النداء قول قال ومثله فى الاعراب يقال لزيد أفضل من عمرو وقال بعض نحويى الكوفة المعنى فيه ينادون أن مقت الله اياكم ولكن اللام تكفى من أن تقول فى الكلام ناديت أن زيدا قائم قال ومثله قوله ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين اللام بمنزلة أن فى كل كلام ضارع القول مثل ينادون ويخبرون وأشباه ذلك * وقال آخر غيره منهم هذه لام اليمين تدخل مع الحكاية وما ضارع الحكاية لتدل على أن ما بعدها ائتناف قال ولا يجوز فى جوابات الأيمان أن تقوم مقام اليمين لان اللام كانت معها النون أو لم تكن فاكتفى بها من اليمين لانها لا تقع الا معها وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال دخلت لتؤذن أن ما بعدها ائتناف وأنها لام اليمين وقوله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قد أتينا عليه فى سورة البقرة فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع ولكنا نذكر بعض ما قال بعضهم فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال كانوا أمواتا فى أصلاب آبائهم فأحياهم الله فى الدنيا ثم أماتهم الموتة التى لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهما حياتان وموتتان وحدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين هو قول الله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال هو كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا الآية حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى الأحوص عن عبد الله فى قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال هى كالتى فى البقرة وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن أبى مالك فى هذه الآية أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال خلقتنا

فاستغنى بذكرها مرة وأما التقديم والتأخير فهو أن قوله اذ تدعون منصوب بالمقت الاول وفى المقت وجوه الاول كان الله يمقت أنفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الأنبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون وذلك أشد من مقتكم أنفسكم اليوم فى النار اذ أوقعتكم فيها باتباعكم هواهن وفيه توبيخ ولا ريب أن سخط الله وبغضه الشديد لا نسبة له الى سخط غيره ولهذا أوردهم النار الثانى عن الحسن لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم فنودوا بلسان خزنة جهنم لمقت الله وهو قريب من الاول الثالث قال محمد بن كعب اذا خطبهم ابليس وهم فى النار بقوله وما كان لى عليكم من سلطان الى قوله ولوموا أنفسكم وفى هذه الحالة مقتوا أنفسهم فلعل المعنى لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض ومن لعنه اياه وأما قول الكفرة فى الجواب (ربنا أمتنا اثنتين) أى اماتتين اثنتين (وأحييتنا) احياءتين (اثنتين) فللعلماء فى تعيين كل من الاثنين خلاف أما فى الكشاف فذهب الى أن الاماتتين احداهما خلقهم أولا أمواتا ثم نطفة ثم علقة الخ كما فى الآية الأخرى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا ونسب هذا القول الى ابن عباس ووجهه بأنه كقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع أسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر أو بالعكس وانما أردت الانشاء على هذه الصفة والسبب فى صحته أن كلا النعتين جائز على المصنوع الواحد وللصانع ان يختار أحدهما قلت ومما يؤيد قوله أنه بدأ بالاماتة والا كان الاظهر أن يبدأ بالاحياء قال والاماتة الثانية هى التى فى الدنيا والاحياءة الاولى هى التى فى الدنيا والثانية هى التى بعد البعث وأورد على هذا القول أنه يلزم أن لا تكون الاحياءة فى القبر والاماتة فيه مذكورتين فى القرآن بل تكونان منفيتين مع ورودهما فى الحديث أجاب بعضهم بأن حياة القبر والاماتة ممنوعة لانه تعالى لم يذكرها والاحاديث الواردة فيها آحاد ولان الذى افترسه السبع لو أعيد حيا لزم نقصان شئ من السبع

ولم نكن شيأ ثم أمتنا ثم أحييتنا حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن حصين عن أبي مالك في قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال كانوا أمواتا فأحياهم الله ثم أماتهم ثم أحياهم * وقال آخرون فيهما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم فسئلوا أو خوطبوا ثم أميتوا في قبورهم ثم أحيوا في الآخرة * وقال آخرون في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال خلقهم من ظهر آدم حين أخذ عليهم الميثاق وقرأ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم فقرأ حتى بلغ المبطلون قال فنساهم الفعل وأخذ عليهم الميثاق قال وانتزع ضلعا من أضلاع آدم القصرى فخلق منه حواء ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وذلك قول الله يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء قال بث منهما بعد ذلك في الارحام خلقا كثيرا وقرأ يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق قال خلقا بعد ذلك قال فلما أخذ عليهم الميثاق أماتهم ثم خلقهم في الارحام ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة فذلك قول الله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا وقرأ قول الله وأخذنا منهم ميثاقا غليظا قال يومئذ وقرأ قول الله واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا وقوله فاعترفنا بذنوبنا يقول فأقررنا بما عملنا من الذنوب في الدنيا فهل الى خروج من سبيل يقول فهل الى خروج من النار لنا سبيل لنرجع الى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل فيها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فهل الى خروج من سبيل فهل الى كرة الى الدنيا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير﴾ وفي هذا الكلام متروك استغني بدلالة الظاهر من ذكره عليه وهو فأجيبوا أن لا سبيل الى ذلك هذا الذي لكم من العذاب أيها الكافرون بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم فأنكرتم أن تكون الالوهة له خالصة وقلتم أجعل الآلهة الها واحدا وإن يشرك به تؤمنوا يقول وإن يجعل لله شريك تصدقوا من جعل ذلك له فالحكم لله العلي الكبير يقول فالقضاء لله العلي على كل شيء الكبير الذي كل شيء دونه متصاغرا له اليوم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون﴾ يقول تعالى ذكره الذي يريكم أيها الناس حججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته وينزل لكم من السماء رزقا يقول ينزل لكم من أرزاقكم من السماء بادرار الغيث الذي يخرج به أقواتكم من الارض وغذاء أنعامكم عليكم وما يتذكر إلا من ينيب يقول وما يتذكر حجج الله التي جعلها أدلة على وحدانيته فيعتبر بها ويتعظ ويعلم حقيقة ما تدل عليه إلا من ينيب يقول إلا من يرجع الى توحيده ويقبل على طاعته كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي إلا من ينيب قال من يقبل الى طاعة الله وقوله فادعوا الله مخلصين له الدين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به فاعبدوا الله أيها المؤمنون له مخلصين له الطاعة غير مشركين به شيأ مما دونه ولو كره الكافرون يقول ولو كره عبادتكم اياه مخلصين له الطاعة الكافرون المشركون في عبادتهم اياه الأوثان والأنداد ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده

وليس بمحسوس ولأن الذي مات لو تركناه ظاهرا بحيث يراه كل احد لم يحس منه حياة وتجويز ذلك مع عدم الرؤية سفسطة وفتح لباب الجهالات وزيف هذا الجواب أهل الاعتبار بأن عدم ذكر الشيء لا يدل على عدمه والاحاديث في ذلك الباب صحيحة مقبولة وإذا كان الانسان جوهرا نورانيا مشرقا مدبرا للبدن في كل طور على حد معلوم كما ورد في الشريعة الحقة زالت سائر الاشكالات ولا يلزم قياس ما بعد الموت على ما قبله وللشرع في اخفاء هذه الامور عن نظر المكلفين حكم ظاهرة حققناها لك مرات وقال بعضهم في الجواب هذا كلام الكفار فلا يكون حجة وضعف بأنه لو لم يكن صادقا لأنكر الله عليهم وقيل ان مقصودهم تعديد أوقات البلاء والمحنة وهي أربعة الموتة الاولى والحياة في القبر والموتة الثانية والحياة في القيامة فأما الحياة في الدنيا فانها وقت ترفههم وتنعمهم فلهذا السبب لم يذكروها وقيل أهملوا ذكر حياة القبر لقصر مدتها أو لأنهم لم يموتوا بعد ذلك بل يبقون أحياء في الشقاوة حتى اتصل بها حياة القيامة وكانوا من جملة المستثنين في قوله فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ولا يخفى أن أكثر هذه الاقوال متكلفة ولاسيما الاخير فان قوله الذين كفروا عام ولو فرض أنه مخصوص بكفار معهودين فتخصيصهم بالحياة في القبر حتى يكونوا من المستثنين بعيد جدا وقد يدور في الخلد أن هذا النداء يحتمل أن يكون في القبر وعلى هذا لا يبقى اشكال لأن الاماتة والاحياء التي بعد ذلك تخرج من غير تكلف وثبت سؤال القبر كما جاء في الحديث والله تعالى أعلم بمراده وقوله (فهل الى خروج من سبيل) أي الى نوع من الخروج والرد من القبر الى الدنيا خروج سريع أو بطيء من سبيل قط أم اليأس الكلي واقع وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وكان الجواب الصريح أن يقال لا أو نعم الا أنه سبحانه رمز الى عدم الخروج بقوله (ذلكم) أي ذلكم اليأس وأن

لينذر

لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ يقول تعالى ذكره هو رفيع الدرجات ورفع قوله رفيع الدرجات على الابتداء ولو جاء نصبا على الرد على قوله فادعوا الله كان صوابا ذو العرش يقول ذو السرير المحيط بما دونه وقوله يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده يقول ينزل الوحى من أمره على من يشاء من عباده * وقد اختلف أهل التأويل فى معنى الروح فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى به الوحى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يلقى الروح من أمره قال الوحى من أمره * وقال آخرون عنى به القرآن والكتاب ذكر من قال ذلك حدثنى هرون بن ادريس الأصم قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن جويبر عن الضحاك فى قوله يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده قال يعنى بالروح الكتاب ينزله على من يشاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده وقرأ وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا قال هذا القرآن هو الروح أوحاه الله الى جبريل وجبريل روح نزل به على النبى صلى الله عليه وسلم وقرأ نزل به الروح الامين قال فالكتب التى أنزلها الله على أنبيائه هى الروح لينذر بها ما قال الله يوم التلاق يوم يقوم الروح والملائكة صفا قال الروح القرآن كان أبى يقوله قال ابن زيد يقومون له صفا بين السماء والارض حين ينزل جل جلاله * وقال آخرون عنى به النبوة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قول الله يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده قال النبوة على من يشاء وهذه الاقوال متقاربات المعانى وان اختلفت ألفاظ أصحابها بها وقوله لينذر يوم التلاق يقول لينذر من يلقى الروح عليه من عباده من أمر الله بانذاره من خلقه عذاب يوم تلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض وهو يوم التلاق وذلك يوم القيامة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله يوم التلاق من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم التلاق يوم تلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض والخالق والخلق حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى يوم التلاق تلتقى أهل السماء وأهل الارض حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يوم التلاق قال يوم القيامة قال يوم يتلاقى العباد وقوله يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ يعنى بقوله يوم هم بارزون يعنى المنذرين الذين أرسل الله اليهم رسله لينذروهم وهم ظاهرون يعنى للناظرين لا يحول بينهم وبينهم جبل ولا شجر ولا يستر بعضهم عن بعض ساتر ولكنهم بقاع صفصف لا أمت فيه ولا عوج وهم من قوله يوم هم فى موضع رفع بما بعده كقول القائل فعلت ذلك يوم الحجاج أمير واختلف أهل العربية فى العلة التى من أجلها لم يخفض هم بيوم وقد أضيف اليه فقال بعض نحويى البصرة أضاف يوم الى هم فى المعنى فلذلك لا ينون اليوم كما قال يوم هم على النار يفتنون وقال هذا يوم لا ينطقون ومعناه هذا يوم فتنتهم ولكن لما ابتدأ بالاسم وبنى عليه لم يقدر على جره وكانت الاضافة فى المعنى الى الفتنة وهذا انما يكون اذا كان اليوم فى معنى اذ والا فهو قبيح

لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم فى وقت التمكن من التوحيد أوان التكليف (فالحكم لله العلى الكبير) حيث حكم عليكم بالعذاب السرمدى وكما يناسب عظمته وكبرياءه قيل ان تحكيم الحرورية وهو قولهم لا حكم الا لله مأخوذ من هذه الآية ثم أراد أن يذكر طرفا من دلائل وحدانيته وكماله فقال (هو الذى يريكم آياته) من الريح والسحاب والرعد والبرق (وينزل لكم من السماء) ماء هو سبب الرزق (وما يتذكر الا من ينيب) أى ما يعتبر الا الذى أناب الى الله وأعرض عن الشرك لينفتح عليه أبواب الانوار والمكاشفات ثم قال للمنيبين (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) قال جار الله قوله (رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح) ثلاثة أخبار لقوله هو مترتبة على الاول وهو قوله الذى يريكم أو أخبار مبتدإ محذوف وهى مختلفة تعريفا وتنكيرا أوسطها معرفة ثم ان الرفيع اما أن يكون بمعنى الرافع أو بمعنى المرتفع وعلى الاول فاما أن يراد رافع درجات الخلق فى العلم والأخلاق الفاضلة كما قال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وكذا فى الرزق والاجل بل جعل للملائكة مقامات معينة وللاجسام البسيطة العلوية والسفلية درجات معينة كما يشهد به علم الهيئة وقد أشرنا الى ذلك فى أثناء هذا الكتاب أو يراد رافع درجات الانبياء والاولياء فى الجنة وأما على الثانى فلا ريب أنه سبحانه أشرف الموجودات وأجلها رتبة من جهة استغنائه فى وجوده وفى جميع صفات وجوده عن كل ما سواه وافتقار كل ما سواه اليه فى الوجود وفى توابع الوجود واعلم أن كمال كبرياء الله لا يصل اليه عقول البشر فالطريق فى تعريفه أن يؤيد المعقول بنحو من المحسوس فلهذا عقب الله تعالى هذه الصفة بصفتين أخريين وذلك أن ما سوى الله اما جسمانيات واما روحانيات أما الجسمانيات فأعظمها العرش فأشار بقوله ذو العرش

ألا ترى أنك تقول لقيتك زمن زيد أميرأى اذ زيد أمير ولو قلت ألقاك زمن زيد أمير لم يحسن وقال غيره معنى ذلك أن الاوقات جعلت بمعنى اذ واذا فلذلك بقيت على نصبها فى الرفع والخفض والنصب فقال ومن خزى يومئذ فنصبوا والموضع خفض وذلك دليل على أنه جعل موضع الأداة ويجوز أن يعرب بوجوه الاعراب لانه ظهر ظهور الاسماء ألا ترى أنه لا يعود عليه العائد كما يعود على الاسماء فان عاد العائد نون وأعرب ولم يضف فقيل أعجبنى يوم فيه تقوم لما أن خرج من معنى الأداة وعاد عليه الذكر صار اسما صحيحا قال وجائز فى اذ أن تقول أتيتك اذ تقوم كما تقول أتيتك يوم يجلس القاضى فيكون زمنا معلوما فأما أتيتك يوم تقوم فلا مؤنة فيه وهو جائز عند جميعهم وقال وهذه التى تسمى اضافة غير محضة * والصواب من القول عندى فى ذلك أن نصب يوم وسائر الأزمنة فى مثل هذا الموضع نظير نصب الأدوات لوقوعها مواقعها واذ أعربت بوجوه الاعراب فلأنها ظهرت ظهور الاسماء فعوملت معاملتها وقوله لا يخفى على الله منهم ولا من أعمالهم التى عملوها فى الدنيا شئ وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ ولكنهم برزوا له يوم القيامة فلا يستترون بجبل ولا مدر وقوله لمن الملك اليوم يعنى بذلك يقول الرب لمن الملك اليوم وترك ذكر يقول استغناء بدلالة الكلام عليه وقوله لله الواحد القهار وقد ذكرنا الرواية الواردة بذلك فيما مضى قبل ومعنى الكلام يقول الرب لمن السلطان اليوم وذلك يوم القيامة فيجيب نفسه فيقول لله الواحد الذى لا مثل له ولا شبيه القهار لكل شئ سواه بقدرته الغالب بعزته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله يوم القيامة حين يبعث خلقه من قبورهم لموقف الحساب اليوم تجزى كل نفس بما كسبت يقول اليوم يثاب كل عامل بعمله فيوفى أجر عمله فعامل الخير يجزى الخير وعامل الشر يجزى جزاءه وقوله لا ظلم اليوم يقول لا بخس على أحد فيما استوجبه من أجر عمله فى الدنيا فينقص منه ان كان محسنا ولا حمل على مسئ اثم ذنب لم يعمله فيعاقب عليه ان الله سريع الحساب يقول ان الله ذو سرعة فى محاسبة عباده يومئذ على أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ذكر أن ذلك اليوم لا ينتصف حتى يقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وقد فرغ من حسابهم والقضاء بينهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ ان الله هو السميع البصير ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه وأنذر يا محمد مشركى قومك يوم الآزفة يعنى يوم القيامة أن يوافوا الله فيه بأعمالهم الخبيثة فيستحقوا من الله عقابه الأليم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله يوم الآزفة قال يوم القيامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأنذرهم يوم الآزفة يوم القيامة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وأنذرهم يوم الآزفة قال يوم القيامة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد

الى استيلائه على كلية عالم الاجسام وأما الروحانيات فأشار الى كونها تحت تسخيره بقوله يلقى الروح أى الوحى (من أمره) أى من عالم أمره (على من يشاء من عباده) وقد مر نظيره (٤ ـ ٣) فى الآية فى أول سورة النحل وقيل من أمره حال ثم بين الغرض من الالقاء بقوله (لينذر يوم التلاق) ووجه التسمية ظاهر لتلاقى الاجساد والارواح فيه أو لتلاقى أهل السماء والارض كما قال عز من قائل ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ولأن كل واحد يلاقى جزاء عمله وقال ميمون بن مهران يوم يلتقى فيه الظالم والمظلوم فربما ظلم رجل رجلا وانفصل عنه ولم يمكن التلاقى أو استضعف المظلوم ففى يوم القيامة لابد أن يتلاقيا وقوله (يوم هم بارزون) بدل من الاول ومعنى البروز مامر فى آخر سورة ابراهيم فى قوله وبرزوا لله الواحد القهار وقوله (لا يخفى على الله منهم شئ) تأكيد لذلك وهذا وان كان عاما فى جميع الاحوال وشاملا للدنيا والآخرة الا أنه خصص بالآخرة لانهم فى الدنيا كانوا يظنون أن بعض الأعمال تخفى على الله عند الاستتار بالحجب كما قال ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فهو نظير قوله مالك يوم الدين ثم أكد تفرده فى ذلك اليوم بالحكم والقضاء بقوله (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) ولا ريب أن الكلام مشتمل على جواب وسؤال وليس فى لفظ الآية ما يدل على تعيين السائل ولا المجيب فقال جم من المفسرين ومن أرباب القلوب اذا هلك كل من فى السموات ومن فى الارض يقول الرب تعالى لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فهو سبحانه يجيب عن نفسه فيقول لله الواحد القهار وأما الذين ألفوا صرف المعقول من أهل الاصول فقد أنكروا هذا القول انكارا شديدا لانه تعالى بين أن هذا النداء فى يوم التلاقى ... م تجزى كل نفس بما كسبت وكل هذا ينافى كون الخلق هالكين وقتئذ ولأن التكلم من غير سامع ولا مجيب عبث الا أن يكون

زيد فى قوله وأنذرهم يوم الآزفة قال يوم القيامة وقرأ أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة وقوله اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين يقول تعالى ذكره اذ قلوب العباد من مخافة عقاب الله لدى حناجرهم قد شخصت من صدورهم فتعلقت بحلوقهم كاظميها يرومون ردها الى مواضعها من صدورهم فلا ترجع ولا هى تخرج من أبدانهم فيموتوا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذ القلوب لدى الحناجر قال قد وقعت القلوب فى الحناجر من المخافة فلا هى تخرج ولا تعود الى أمكنتها حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين قال شخصت أفئدتهم عن أمكنتها فنشبت فى حلوقهم فلم تخرج من أجوافهم فيموتوا ولم ترجع الى أمكنتها فتستقر واختلف أهل العربية فى وجه نصب كاظمين فقال بعض نحويى البصرة انتصابه على الحال كأنه أراد اذ القلوب لدى الحناجر فى هذه الحال وكان بعض نحويى الكوفة يقول الألف واللام بدل من الاضافة كأنه قال اذ قلوبهم لدى حناجرهم فى حال كظمهم وقال آخر منهم هو نصب على القطع من المعنى الذى يرجع من ذكرهم فى القلوب والحناجر المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين قال فان شئت جعلت قطعه من الهاء التى فى قوله وأنذرهم قال والاول أجود فى العربية وقد تقدم بيانى وجه ذلك وقوله ما للظالمين من حميم ولا شفيع يقول جل ثناؤه ما للكافرين بالله يومئذ من حميم يحم لهم فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب الله ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم فيطاع فيما شفع ويجاب فيما سأل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ما للظالمين من حميم ولا شفيع قال من يعنيه أمرهم ولا شفيع لهم وقوله يطاع صلة للشفيع ومعنى الكلام ما للظالمين من حميم ولا شفيع اذا شفع أطيع فيما شفع فأجيب وقبلت شفاعته له وقوله يعلم خائنة الأعين يقول جل ذكره مخبرا عن صفة نفسه يعلم ربكم ما خانت أعين عباده وما أخفته صدورهم يعنى وما أضمرته قلوبهم يقول لا يخفى عليه شئ من أمورهم حتى ما يحدث به نفسه ويضمره قلبه اذا نظر ماذا يريد بنظره وما ينوى ذلك بقلبه والله يقضى بالحق يقول والله تعالى ذكره يقضى فى الذى خانته الأعين بنظرها وأخفته الصدور عند نظر العيون بالحق فيجزى الذين أغمضوا أبصارهم وصرفوها عن محارمه حذار الموقف بين يديه ومسئلته عنه بالحسنى والذين رددوا النظر وعزمت قلوبهم على مواقعة الفواحش اذا قدرت جزاءها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الله بن أحمد المروزى قال ثنا على بن حسين بن واقد قال ثنى أبى قال ثنا الأعمش قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس يعلم خائنة الأعين اذا نظرت اليها تريد الخيانة أم لا وما تخفى الصدور اذا قدرت عليها أتزنى بها أم لا قال ثم سكت ثم قال ألا أخبركم بالتى تليها قلت نعم قال والله يقضى بالحق قادر على أن يجزى بالحسنة الحسنة وبالسيئة السيئة ان الله هو السميع البصير قال الحسن فقلت للأعمش حدثنى به الكلبى الا أنه قال ان الله قادر على أن يجزى بالسيئة السيئة وبالحسنة عشرا فقال الأعمش لو أن الذى عند الكلبى عندى ما خرج منى الا بحقير حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا

هناك ملائكة يسمعون ذلك النداء لكن المفروض فناء كل المخلوقين فاما أن يكون حكاية لما يسأل عنه فى ذلك اليوم ولما يجاب به وذلك ان ينادى مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الوحد القهار (٣٥) يقوله المؤمن تلذذا والكافر هوانا وتحسرا على أن فاتتهم هذه المعرفة فى الدنيا فان الملك كان له من الازل الى الابد وفائدة تخصيص هذا النداء يوم القيامة كما عرفت فى مالك يوم الدين يحكى أن نصر بن أحمد لما دخل نيسابور وضع التاج على رأسه ودخل عليه الناس فخطر بباله شئ فقال هل فيكم من يقرأ آية فقرأ رجل رواس رفيع الدرجات ذو العرش فلما بلغ قوله لمن الملك اليوم نزل الامير عن سريره ورفع التاج عن رأسه وسجد لله تعالى وقال لك الملك لا لى فلما توفى الرواس رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى وقال لى انك عظمت ملكى فى عين عبدى فلان يوم قرأت تلك الآية فغفرت لك وله ومما يدل على تفرده سبحانه قوله (لله الواحد القهار) فان كل واحد من الأسماء الثلاثة ينبئ عن غاية الجلال والعظمة كما مر مرارا وباقى الآية أيضا مما سلف تفسيره مرات ثم وصف يوم القيامة بأنواع أخر من الصفات الهائلة فقال (وأنذرهم يوم الآزفة) وهى فاعلة من أزف الامر أزوفا اذا دنا ولا ريب أن القيامة قريبة وان استبعد الناس مداها لأن كل ما هو كائن فهو قريب قال جار الله يجوز أن يريد بيوم الآزفة وقت لحظة الآزفة وهى مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هى تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا وقال أبو مسلم يوم الآزفة يوم المنية وحضور الأجل لانه تعالى ذكر يوم القيامة فى قوله يوم التلاق يوم هم بارزون فناسب أن يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم ولأنه تعالى وصف يوم الموت بنحو هذه الصفة فى موضع آخر قال فلولا اذا بلغت الحلقوم كلا اذا بلغت التراقى ولا ريب أن الرجل عند معاينة أمارات الموت يعظم خوفه فلو جعلنا

كون القلوب لدى الحناجر كناية عن شدة الخوف جاز ولو حملناه على ظاهره فلا بأس وقوله (كاظمين) أي مكروبين والكاظم الساكت حال امتلائه غما وغيظا قال عز من قائل والكاظمين الغيظ وانتصابه على أنه حال عن أصحاب القلوب كأنه قيل اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها أو عن القلوب وجمع جمع السلامة بناء على أن الكظم من أفعال العقلاء كقوله فظلت أعناقهم لها خاضعين أو عن ضمير المفعول في وأنذرهم أي وأنذرهم مقدرين أو مشارفين الكظم فيكون حالا مقدرة وفي قوله ماللظالمين من حميم ولا شفيع بحث بين الاشاعرة والمعتزلة حيث حمله الأولون على أهل الشرك والآخرون على معنى أعم حتى يشمل أصحاب الكبائر وقد مر مرارا ولا سيما في قوله وما للظالمين من أنصار ومعنى قوله (يطاع) يجاب أي لا شفاعة ولا اجابة كقوله

* ولا ترى الضب بها ينجحر *

وذلك أنه لا يشفع أحد في ذلك اليوم الا باذن الله فان أذن له أجيب والا فلا يوجد شئ من الامرين والفائدة في ذكر هذه الصفة أن يعلم أن الغرض من التشفيع منتف في حقهم وان فرض شفيع على ما يزعم أهل الشرك من أن الاصنام يشفعون لهم وقوله (يعلم خائنة الاعين) خبر آخر لقوله هو الذي يريكم آياته الا أنه فصل بالتعليل وهو قوله لينذر وذكر وصف القيامة استطرادا قال جار الله هي صفة للنظرة أو مصدر بمعنى الخيانة كالعافية والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل أهل الريب قال ولا يحسن أن تكون الخائنة صفة للاعين مضافة اليها نحو جرد قطيفة أي يعلم العين الخائنة لأن قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه قلت يعني أن عطف العرض على الجوهر والمعنى على العين غير مناسب وقيل هي قول الانسان رأيت ولم ير وما رأيت وقد رأى ومضمرات الصدور ذكره أي القلوب فيها لانها فيها قيل هي ما يستره الانسان من أمانة وخيانة وقيل الوسوسة وقال ابن عباس ما تخفي الصدور بعد النظر اليها

عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يعلم خائنة الأعين قال نظر الأعين الى ما نهى الله عنه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله خائنة الأعين أي يعلم همزه بعينه واغماضه فيما لا يحب الله ولا يرضاه وقوله والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ يقول والاوثان والآلهة التي يعبدها هؤلاء المشركون بالله من قومك من دونه لا يقضون بشئ لانها لا تعلم شيأ ولا تقدر على شئ يقول جل ثناؤه لهم فاعبدوا الذي يقدر على كل شئ ولا يخفى عليه شئ من أعمالكم فيجزي محسنكم بالاحسان والمسئ بالاساءة لا ما لا يقدر على شئ ولا يعلم شيأ فيعرف المحسن من المسئ فيثيب المحسن ويعاقب المسئ وقوله ان الله هو السميع البصير يقول ان الله هو السميع لما تنطق به ألسنتكم أيها الناس البصير بما تعملون من الافعال محيط بكل ذلك محصيه عليكم ليجازي جميعكم جزاءه يوم الجزاء واختلفت القراء في قراءة قوله والذين يدعون من دونه فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والذين تدعون من دونه بالتاء على وجه الخطاب وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بالياء على وجه الخبر والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الارض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾ يقول تعالى ذكره أولم يسر هؤلاء المقيمون على شركهم بالله المكذبون رسوله من قريش في البلاد فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم يقول فيروا ما الذي كان خاتمة أمم الذين كانوا من قبلهم من الامم الذين سلكوا سبيلهم في الكفر بالله وتكذيب رسله كانوا هم أشد منهم قوة يقول كانت تلك الامم الذين كانوا من قبلهم أشد منهم بطشا وأبقى في الارض آثارا فلم تنفعهم شدة قواهم وعظم أجسامهم اذ جاءهم أمر الله وأخذهم بما أجرموا من معاصيه واكتسبوا من الآثام ولكنه أباد جمعهم وصارت مساكنهم خاوية منهم بما ظلموا وما كان لهم من الله من واق يقول وما كان لهم من عذاب الله اذ جاءهم من واق يقيهم فيدفعه عنهم كالذي حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كان لهم من الله من واق يقيهم ولا ينفعهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوي شديد العقاب﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذي فعلت بهؤلاء الامم الذين من قبل مشركي قريش من اهلاكهم بذنوبهم فعلناه بهم بأنهم كانت تأتيهم رسل الله اليهم بالبينات يعني بالآيات الدالات على حقيقة ما تدعوهم اليه من توحيد الله والانتهاء الى طاعته فكفروا يقول فأنكروا رسالتها وجحدوا توحيد الله وأبوا أن يطيعوا الله فأخذهم الله يقول فأخذهم الله بعذابه فأهلكهم انه قوي شديد العقاب يقول ان الله ذو قوة لا يقهره شئ ولا يغلبه ولا يعجزه شئ أراده شديد عقابه من عاقب من خلقه وهذا وعيد من الله مشركي قريش المكذبين رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم يقول لهم جل ثناؤه فاحذروا أيها القوم أن تسلكوا سبيلهم في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وجحود توحيد الله ومخالفة أمره ونهيه فيسلك بكم في تعجيل الهلاك لكم مسلكهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب﴾ يقول تعالى

أيزني بها أم لا أقول والحاصل أنه تعالى أراد أن يصف نفسه بكمال العلم فان المجازاة تتوقف على ذلك ففي قوله يعلم خائنة الأعين اشارة الى أنه عالم بجميع أفعال الجوارح وفي قوله وما تخفي الصدور دلالة على أنه عالم بجميع أفعال (٣٧) القلوب واذا علمت هذه الصفة وقد عرفت من الاوصاف السابقة كمال قدرته واستغنائه لم يبق شك في حقية قضائه فلذلك قال (والله يقضي بالحق) ثم وبخهم على عبادة من لا قضاء له ولا سمع ولا بصر بقوله (والذين يدعون) الخ ثم وعظهم بالنظر في أحوال الامم السالفة وقد مر نظير الآية في مواضع وانما قال في هذه السورة (ذلك بأنهم كانت) وفي التغابن ذلك بأنه كانت موافقة لضمير المتصل في قوله كانوا هم أشد ۞ التأويل الحاء والميم حرفان من وسط اسم الرحمن ومن وسط اسم محمد ففي ذلك اشارة الى سر بينه وبين حبيبه صلى الله عليه وسلم لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل غافر الذنب للظالم وقابل التوب للمقتصد شديد العقاب للكافر ذي الطول للسابق وقهم عذاب الجحيم أي عن موجباتها كالرياء واتباع الهوى لمقت الله اياكم حين حكم عليكم بالبعد والحرمان أكبر من مقتكم أنفسكم لو كنتم تمقتونها في الدنيا فانها أعدى عدوكم ومقتها منعها من هواها ولا ريب أن عذاب البعد الابدي أشد من رياضة أيام معدودة فلا ئل ذو العرش عرش القلوب استوى عليها بجميع الصفات وهم العلماء بالله المستغرقون في بحر معرفته ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه اني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله

ذكره مسليا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مشركي قومه من قريش باعلامه ما لقي موسى ممن أرسل اليه من التكذيب ومخبره أنه معليه عليهم وجاعل دائرة السوء على من حاده وشاقه كسنته في موسى صلوات الله عليه اذ أعلاه وأهلك عدوه فرعون ولقد أرسلنا موسى بآياتنا يعني بأدلته وسلطان مبين كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وسلطان مبين أي عذر مبين يقول وحججه المبينة لمن يراها أنها حجة محققة ما يدعو اليه موسى الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يقول فقال هؤلاء الذين أرسل اليهم موسى لموسى هو ساحر يسحر العصا فيرى الناظر اليها أنها حية تسعى كذاب يقول يكذب على الله ويزعم أنه أرسله الى الناس رسولا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاء موسى هؤلاء الذين أرسله الله اليهم بالحق من عندنا وذلك مجيئه اياهم بتوحيد الله والعمل بطاعته مع اقامة الحجة عليهم بأن الله ابتعثه اليهم بالدعاء الى ذلك قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا بالله معه من بني اسرائيل واستحيوا نساءهم يقول واستبقوا نساءهم للخدمة ۞ فان قال قائل وكيف قيل فلما جاءهم موسى بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وانما كان قتل فرعون الولدان من بني اسرائيل حذار المولود الذي كان أخبر أنه على رأسه ذهاب ملكه وهلاك قومه وذلك كان فيما يقال قبل أن يبعث الله موسى نبيا قيل ان هذا الامر بقتل أبناء الذين آمنوا مع موسى واستحياء نسائهم كان أمرا من فرعون وملئه من بعد الامر الأول الذي كان من فرعون قبل مولد موسى كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم قال هذا قتل غير القتل الاول الذي كان وقوله وما كيد الكافرين الا في ضلال يقول وما احتيال أهل الكفر لأهل الايمان بالله الا في جور عن سبيل الحق وصد عن قصد المحجة وأخذ على غير هدى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه اني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد﴾ يقول تعالى ذكره وقال فرعون لملئه ذروني أقتل موسى وليدع ربه الذي يزعم أنه أرسله الينا فيمنعه منا اني أخاف أن يبدل دينكم يقول اني أخاف ان يغير دينكم الذي أنتم عليه بسحره واختلفت القراء في قراءة قوله أو أن يظهر في الارض الفساد فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والشام والبصرة وأن يظهر في الارض الفساد بغير ألف وكذلك ذلك في مصاحف أهل المدينة وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة أو أن بالالف وكذلك ذلك في مصاحفهم يظهر في الارض بفتح الياء ورفع الفساد ۞ والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الامصار متقاربتا المعنى وذلك أن الفساد اذا أظهره مظهر كان ظاهرا واذا ظهر فباظهار مظهره يظهر ففي القراءة باحدى القراءتين في ذلك دليل واضح على صحة معنى الاخرى وأما القراءة في أو أن يظهر بالالف وبحذفها فانهما أيضا متقاربتا المعنى وذلك أن الشيء اذا بدل الى خلافه فلا شك أن خلافه المبدل اليه الاول هو الظاهر دون المبدل فسواء عطف على خبره عن خوفه من موسى أن يبدل دينهم بالواو أو بأو لأن تبديل دينهم كان عنده هو ظهور الفساد وظهور الفساد كان عنده هو تبديل الدين فتأويل الكلام اذا اني أخاف من موسى أن يغير دينكم الذي أنتم عليه أو أن

وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يا قوم
لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا (٣٨) من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد

وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف
عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب
قوم نوح وعاد وثمود والذين من
بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم
إني أخاف عليكم يوم التناد يوم
تولون مدبرين ما لكم من الله من
عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد
ولقد جاءكم يوسف من قبل
بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به
حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من
بعده رسولا كذلك يضل الله من
هو مسرف مرتاب الذين يجادلون
في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر
مقتا عند الله وعند الذين آمنوا
كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر
جبار وقال فرعون يا هامان ابن لي
صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب
السموات فأطلع إلى إله موسى وإني
لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون
سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد
فرعون إلا في تباب وقال الذي آمن
يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد
يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع
وإن الآخرة هي دار القرار من عمل
سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل
صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن
فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها
بغير حساب ويا قوم ما لي أدعوكم
إلى النجاة وتدعونني إلى النار تدعونني
لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي
به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار
لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له
دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن
مردنا إلى الله وأن المسرفين هم
أصحاب النار فستذكرون ما أقول
لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا

يظهر في أرضكم أرض مصر عبادة ربه الذي يدعوكم إلى عبادته وذلك كان عنده هو الفساد
* ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل * ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة إني أخاف أن يبدل دينكم أي أمركم الذي أنتم عليه أو أن يظهر
في الأرض الفساد والفساد عنده أن يعمل بطاعة الله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال موسى
إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من آل فرعون
يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه
كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾ يقول تعالى
ذكره وقال موسى لفرعون وملئه إني استجرت أيها القوم بربي وربكم من كل متكبر عليه تكبر عن
توحيده والإقرار بألوهته وطاعته لا يؤمن بيوم يحاسب الله فيه خلقه فيجازي المحسن بإحسانه
والمسيء بما أساء وإنما خص موسى صلوات الله وسلامه عليه الاستعاذة بالله ممن لا يؤمن بيوم
الحساب لأن من لم يكن بيوم الحساب مصدقا لم يكن للثواب على الإحسان راجيا ولا للعقاب
على الإساءة وقبيح ما يأتي من الأفعال خائفا ولذلك كان استجارته من هذا الصنف من الناس
خاصة وقوله وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه اختلف أهل العلم في هذا الرجل
المؤمن فقال بعضهم كان من قوم فرعون غير أنه كان قد آمن بموسى وكان يسر إيمانه من فرعون
وقومه خوفا على نفسه * ذكر من قال ذلك حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن
السدي وقال رجل مؤمن من آل فرعون قال هو ابن عم فرعون ويقال هو الذي نجا مع موسى * فمن
قال هذا القول وتأول هذا التأويل كان صوابا الوقف إذا أراد القارئ الوقف على قوله من
آل فرعون لأن ذلك خبر متناه قد تم * وقال آخرون بل كان الرجل إسرائيليا ولكنه كان يكتم
إيمانه من آل فرعون والصواب على هذا القول لمن أراد الوقف أن يجعل وقفه على قوله يكتم
إيمانه لأن قوله من آل فرعون صلة لقوله يكتم إيمانه فتمامه قوله يكتم إيمانه وقد ذكر أن اسم
هذا الرجل المؤمن من آل فرعون جبريل كذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن
إسحق * وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي القول الذي قاله السدي من أن الرجل المؤمن
كان من آل فرعون قد أصغى لكلامه واستمع منه ما قاله وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله
وقيله ما قال وقال له ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ولو كان إسرائيليا لكان حريا
أن يعاجل هذا القائل له ولملئه ما قال بالعقوبة على قوله لأنه لم يكن يستنصح بني إسرائيل
لاعتداده إياهم أعداءه فيكف بقوله عن قتل موسى لو وجد إليه سبيلا ولكنه لما كان من ملإ
قومه استمع قوله وكف عما كان هم به في موسى وقوله أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله يقول
أتقتلون أيها القوم موسى لأن يقول ربي الله فأن في موضع نصب لما وصفت وقد جاءكم بالبينات
يقول وقد جاءكم بالآيات الواضحات على حقيقة ما يقول من ذلك وتلك البينات من الآيات يده
وعصاه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق وقد جاءكم بالبينات من ربكم بعصاه
وبيده وقوله وإن يك كاذبا فعليه كذبه يقول وإن يك موسى كاذبا في قيله إن الله أرسله إليكم
يأمركم بعبادته وترك دينكم الذي أنتم عليه فإنما إثم كذبه عليه دونكم وإن يك صادقا يصبكم

بعض

فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء (٣٩) الكافرين الا فى ضلال ﴾ ۞ القراآت ذرونى بفتح الياء ابن كثير انى أخاف بفتح الياء ابن كثير وأبو جعفر ونافع وأبو عمرو أو بصيغة الترديد عاصم وحمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب الباقون بواو العطف يظهر بضم الياء وكسر الهاء من الاظهار الفساد بالنصب أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وسهل ويعقوب والمفضل وحفص الآخرون بفتحهما ورفع الفساد عذت مدغما أبو عمرو وحمزة وعلى وخلف ويزيد واسمعيل وهشام التنادى بالياء فى الحالين ابن كثير ويعقوب وافق يزيد وورش وسهل وعباس فى الوصل قلب متكبر بالتنوين فيهما على الوصف أبو عمرو وقتيبة وابن ذكوان الباقون على الاضافة لعلى أبلغ الاسباب بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر فأطلع بالنصب حفص اتبعونى بالياء فى الحالين سهل وابن كثير ويعقوب وافق أبو عمرو ويزيد والاصفهانى عن ورش واسمعيل وابو نشيط عن قالون فى الوصل مالى بفتح الياء أبو عمرو وأبو جعفر ونافع أمرى الى الله بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو تقوم بتاء التأنيث الرازى عن هشام أدخلوا من الادخال أبو جعفر ونافع ويعقوب وحمزة وعلى وخلف وحفص وعلى هذه القراءة الخطاب للزبانية وانتصب آل وأشد على أنهما مفعول بهما وعلى القراءة الاخرى هو لآل فرعون وانتصب آل على النداء لا على أنه مفعول به

۞ الوقوف مبين ٥ لا كذاب ٥ نساءهم ط ضلال ٥ ربه ج لاحتمال اللام مؤمن قف قد قيل بناء على أن الجار يتعلق بالفعل بعده والوصل أصح لانه كان من القبط ولو فرض أنه لم يكن منهم فالجملة وصف له من ربكم ج لانتهاء الاستفهام الى الابتداء بالشرط كذبه ج

بعض الذى يعدكم يقول وان يك صادقا فى قيله ذلك أصابكم الذى وعدكم من العقوبة على مقامكم على الدين الذى أنتم عليه مقيمون فلا حاجة بكم الى قتله فتزيدوا ربكم بذلك الى سخطه عليكم بكفركم سخطا ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب يقول ان الله لا يوفق للحق من هو متعد الى فعل ما ليس له فعله كذاب عليه يكذب ويقول عليه الباطل وغير الحق وقد اختلف أهل التأويل فى معنى الاسراف الذى ذكره المؤمن فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى به الشرك وأراد ان الله لا يهدى من هو مشرك به مفتر عليه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب مشرك أسرف على نفسه بالشرك * وقال آخرون عنى به من هو قتال سفاك للدماء بغير حق ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب قال المسرف هو صاحب الدم ويقال هم المشركون * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أخبر عن هذا المؤمن أنه عم بقوله ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب والشرك من الاسراف وسفك الدم بغير حق من الاسراف وقد كان مجتمعا فى فرعون الامران كلاهما فالحق أن يعم ذلك كما أخبر جل ثناؤه عن قائله أنه عم القول بذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض يعنى أرض مصر يقول لكم السلطان اليوم والملك ظاهرين أنتم على بنى اسرائيل فى أرض مصر فمن ينصرنا من بأس الله يقول فمن يدفع عنا بأس الله وسطوته ان حل بنا وعقوبته ان جاءتنا قال فرعون ما أريكم الا ما أرى يقول قال فرعون مجيبا لهذا المؤمن الناهى عن قتل موسى ما أريكم أيها الناس من الرأى والنصيحة الا ما أرى لنفسى ولكم صلاحا وصوابا وما أهديكم الا سبيل الرشاد يقول وما أدعوكم الا الى طريق الحق والصواب فى أمر موسى وقتله فانكم ان لم تقتلوه بدل دينكم وأظهر فى أرضكم الفساد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ﴾ يقول تعالى ذكره وقال المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه ياقوم انى أخاف عليكم بقتلكم موسى ان قتلتموه مثل يوم الاحزاب الذين تحزبوا على رسل الله نوح وهود وصالح فأهلكهم الله بتجرئهم عليهم فيهلككم كما أهلكهم وقوله مثل دأب قوم نوح يقول يفعل ذلك بكم فيهلككم مثل سنته فى قوم نوح وعاد وثمود وفعله بهم وقد بينا معنى الدأب فيما مضى بشواهده المغنية عن اعادته مع ذكر أقوال أهل التأويل فيه وقد حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس مثل دأب قوم نوح يقول مثل حال حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مثل دأب قوم نوح قال مثل ما أصابهم وقوله والذين من بعدهم يعنى قوم ابراهيم وقوم لوط وهم أيضا من الاحزاب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذين من بعدهم قال هم الأحزاب وقوله وما الله يريد ظلما للعباد يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه وما أهلك الله هذه الاحزاب من هذه

للعطف والشرط بعدكم ط كذاب ه في الارض ز لابتداء الاستفهام والوجه الوصل لان المقصود الوعظ به جاءنا ط الرشاد ه
الأحزاب ه لا لأن ما بعده بدل بعدهم ط (٤٠) للعباد ه التناد ه ط لاجل البدل مدبرين ج لأن ما بعده يصلح حالا واستئنافا

من عاصم ج لاحتمال كون ما بعده
ابتداء اخبار من الله سبحانه وكونه
من كلام المؤمن من هاد ه جاءكم
به ط رسولا ط مرتاب ه ج
لاحتمال البدل فان من في معنى
الجمع أو الاستئناف أي هم الذين
أو أعني أنهم آمنوا ط جبار ه
الاسباب ه لا كاذبا ط السبيل
ط تباب ه الرشاد ج لان
النداء يبتدأ به مع أنه تكرار للاول
مناع ز للفصل بين تنافي الدارين
مع اتفاق الجملتين القرار ه مثلها
ج لعطف جملتي الشرط حساب
ه النار ه ج لانتهاء الاستفهام
الى الاخبار ولاحتمال ابتداء
استفهام آخر الغفار ه النار ه
لكم ط الى الله ط بالعباد ه
العذاب ه ج لاحتمال البدل
والابتداء وعشيا ج لاحتمال
ما بعده العطف والاستئناف
الساعة قف لحق القول المحذوف
أي يقال لهم أو للزبانية العذاب
ه من النار ه العباد ه من
العذاب ه بالبينات ط بلى ط
فادعوا ج لاحتمال أن ما بعده
من قول الخزنة أو ابتداء اخبار
من الله تعالى ضلال ه ۞ التفسير
لما وبخ الكفار بعدم السير
في الارض للنظر والاعتبار أو
بعدم النظر في أحوال الماضين
مع السير في الاقطار وقد وصف
الماضين بكثرة العدد والآثار
الباقية أراد أن يصرح بقصة
واحد من قصصهم تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم وزيادة توبيخ
وتذكير لهم وكان في قصة موسى وفرعون من العجائب ما فيها فلا جرم أوردها ههنا مع فوائد زائدة على ما في المواضع السبعة
الأخر منها ذكر مؤمن آل فرعون وما وعظ ونصح به قومه ولان القصة قد تكررت مرارا فلنقتصر في التفسير على ما يختص بالمقام

الأمر فلما منعه لهم بغير جرم اجترموه بينهم وبينه لانه لا يريد ظلم عباده ولا يشاؤه ولكنه أهلكهم
باجرامهم وكفرهم به وخلافهم أمره ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ويا قوم اني أخاف عليكم
يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ يقول تعالى
ذكره مخبرا عن قيل هذا المؤمن لفرعون وقومه ويا قوم اني أخاف عليكم بقتلكم موسى ان قتلتموه
عقاب الله يوم التناد واختلفت القراء في قراءة قوله يوم التناد فقرأ ذلك عامة قراء الامصار يوم
التناد بتخفيف الدال وترك اثبات الياء بمعنى التفاعل من تنادى القوم تناديا كما قال جل ثناؤه
ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
قالوا نعم وقال ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء فلذلك تأوله قارئو
ذلك كذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن عبد الله الانصاري
قال ثنا سعيد عن قتادة أنه قال في هذه الآية يوم التناد قال يوم ينادي أهل النار أهل الجنة أن
أفيضوا علينا من الماء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويا قوم
اني أخاف عليكم يوم التناد يوم ينادي أهل الجنة أهل النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل
وجدتم ما وعد ربكم حقا وينادي أهل النار أهل الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله
حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يوم التناد قال يوم القيامة ينادي
أهل الجنة أهل النار * وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في معنى ذلك على هذه القراءة
تأويل آخر على غير هذا الوجه وهو ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمد
المحاربي عن اسمعيل بن رافع المدني عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من
الانصار عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى
فيقول انفخ نفخة الفزع ففزع أهل السموات وأهل الارض الا من شاء الله ويأمره الله أن
يديمها ويطولها فلا يفتر وهي التي يقول الله وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق
فيسير الله الجبال فتكون سرابا فترتج الارض بأهلها رجا وهي التي يقول الله يوم ترجف الراجفة تتبعها
الرادفة قلوب يومئذ واجفة فتكون كالسفينة المرتعة في البحر تضربها الامواج تكفأ بأهلها أو
كالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الارواح فتميد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل
وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الاقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها
فترجع ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهو الذي يقول الله يوم التناد يوم تولون مدبرين
ما لكم من الله من عاصم فعلى هذا التأويل معنى الكلام ويا قوم اني أخاف عليكم يوم ينادي
الناس بعضهم بعضا من فزع نفخة الفزع * وقرأ ذلك آخرون يوم التنادّ بتشديد الدال بمعنى التفاعل
من الند وذلك اذا هربوا فندوا في الارض كما تند الابل اذا شردت على أربابها ذكر من قال ذلك
كذلك وذكر المعنى الذي قصد بقراءته ذلك كذلك حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي
قال ثنا أبو أسامة عن الاجلح قال سمعت الضحاك بن مزاحم قال اذا كان يوم القيامة أمر الله
السماء الدنيا فتشققت بأهلها ونزل من فيها من الملائكة فأحاطوا بالارض ومن عليها ثم الثانية
ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة فصفوا صفا دون صف ثم ينزل الملك الأعلى
على مجنبته اليسرى جهنم فاذا رآها أهل الارض ندوا فلا يأتون قطرا من أقطار الارض الا وجدوا

السبعة صفوف من الملائكة فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه فذلك قول الله انى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين وذلك قوله وجاء ربك والملك صفا صفا وجئ يومئذ بجهنم وقوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان وذلك قوله وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله يوم التناد قال تندون وروى عن الحسن البصرى أنه قرأ ذلك يوم التنادى باثبات الياء وتخفيف الدال * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار وهو تخفيف الدال وبغير اثبات الياء وذلك أن ذلك هو القراءة التى عليها الحجة مجمعة من قراء الامصار وغير جائز خلافها فيما جاءت به نقلا فاذا كان ذلك هو الصواب فمعنى الكلام ويا قوم انى أخاف عليكم يوم ينادى الناس بعضهم بعضا اما من هول ما قد عاينوا من عظيم سلطان الله وفظاعة ما غشيهم من كرب ذلك اليوم واما لتذكير بعضهم بعضا انجاز الله اياهم الوعد الذى وعدهم فى الدنيا واستغاثة من بعضهم ببعض مما لقى من عظيم البلاء فيه وقوله يوم تولون مدبرين فتأويله على التأويل الذى ذكرنا من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يولون هاربين فى الارض حذار عذاب الله وعقابه عند معاينتهم جهنم وتأويله على التأويل الذى قاله قتادة فى معنى يوم التناد يوم تولون منصرفين عن موقف الحساب الى جهنم * وبنحو ذلك روى الخبر عنه وعمن قال نحو مقالته فى معنى يوم التناد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يوم تولون مدبرين أى منطلقا بكم الى النار * وأولى القولين فى ذلك بالصواب القول الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان الذى قاله قتادة فى ذلك غير بعيد من الحق وبه قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يوم تولون مدبرين قال فارين غير معجزين وقوله ما لكم من الله من عاصم يقول ما لكم من الله مانع يمنعكم وناصر ينصركم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما لكم من الله من عاصم أى من ناصر وقوله ومن يضلل الله فما له من هاد يقول ومن يخذله الله فلم يوفقه لرشده فما له من موفق يوفقه له ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب﴾ يقول تعالى ذكره ولقد جاءكم يوسف ابن يعقوب يا قوم من قبل موسى بالواضحات من حجج الله كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ولقد جاءكم يوسف من قبل قال قبل موسى وقوله فما زلتم فى شك مما جاءكم به يقول فلم تزالوا مرتابين فيما أتاكم به يوسف من عند ربكم غير موقنى القلوب بحقيقته حتى اذا هلك يقول حتى اذا مات يوسف قلتم أيها القوم لن يبعث الله من بعد يوسف اليكم رسولا بالدعاء الى الحق كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب يقول هكذا يصد الله عن اصابة الحق وقصد السبيل من هو كافر به مرتاب شاك فى حقيقة أخبار رسله ۞ القول

قوله (بالحق) أى بالمعجزات الظاهرة وقوله (اقتلوا) يريد به اعادة القتل كما مر فى الاعراف فى قوله سنقتل أبناءهم قوله (الا فى ضلال) أى فى ضياع واضمحلال فان كان اللام فى الكافرين للجنس فظاهر لأن وبال كيدهم (٤١) يعود بالآخرة عليهم حين يهلكون ويدخلون النار وان كان للعهد وهم فرعون وقومه فأظهر كما قص عليك من حديث اغراقهم واستيلاء موسى وقومه على ديارهم قوله (ذرونى أقتل موسى) ظاهره مشعر بأن قومه كانوا يمنعونه من قتله وفيه احتمالات الأول لعله كان فيهم من يعتقد نبوة موسى فيأتى بوجوه الحيل فى منع فرعون الثانى قال الحسن ان أصحابه قالوا لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف ولا يمكنه أن يغلب سحرتك وان قتلته أدخلت الشبهة على الناس وقالوا انه كان محقا وعجزوا عن جوابه فقتلته الثالث لعل مراد أمرائه أن يكون فرعون مشغول القلب بأمر موسى حتى انهم يكونون فى أمن وسعة قال جار الله ان فرعون كان فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء فى أهون شئ فكيف لا يقصد قتل من أحس بأن فى وجوده هدم ملكه وتغيير ما هو عليه من عبادة أصنامه كما قال (انى أخاف أن يبدل) الآية ولكنه كان قد استيقن أنه نبى وكان يخاف ان همّ بقتله أن يعاجل بالهلاك قال وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق على فرط خوفه من دعوة ربه وقال غيره هو على سبيل الاستهزاء يعنى ان أقتله فليقل لربه الذى يدعى وجوده حتى يخلصه ومعنى تبديل الدين تغيير عبادة الاصنام كما مر فى الأعراف فى قوله ويذرك وآلهتك والفساد التهارج والتنازع واختلاف الآراء والأهواء أراد أنه يحدث لا محالة من ابقائه فساد الدين والدنيا جميعا أو أحد الامرين على القراءتين ثم حكى ما ذكره موسى فى دفع شر فرعون وهو العوذ بالله وفى تصدير الجملة بان دلالة على أن الطريق المعتبر فى دفع الآفات الاستغاثة

والاستعاذة برب الارض والسموات وفي قوله (بربي) اشارة الى أن الذي رباني والى درجات الخير رقاني سيعصمني من شر هذا
المارد الجاني وفي قوله (وربكم) احتراز (٤٣) عن أن يظن ظان أنه يريد به فرعون لأنه رباه في صغره ألم نربك فينا وليدا وفيه

في تأويل قوله تعالى ﴿الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم فقوله الذين مردود على من في قوله من هو مسرف وتأويل الكلام كذلك يضل الله أهل الاسراف والغلو في ضلالهم بكفرهم بالله واجترائهم على معاصيه المرتابين في أخبار رسله الذين يخاصمون في حججه التي أتتهم بها رسله ليدحضوها بالباطل من الحجج بغير سلطان أتاهم يقول بغير حجة أتتهم من عند ربهم يدفعون بها حقيقة الحجج التي أتتهم بها الرسل والذين اذا كان معنى الكلام ما ذكرنا في موضع نصب ردا على من وقوله كبر مقتا عند الله يقول كبر ذلك الجدال الذي يجادلونه في آيات الله مقتا عند الله وعند الذين آمنوا بالله وانما نصب قوله مقتا لما في قوله كبر من ضمير الجدال وهو نظير قوله كبرت كلمة تخرج من أفواههم فنصب كلمة من نصبها لانه جعل في قوله كبرت ضمير قولهم اتخذ الله ولدا وأما من لم يضمر ذلك فانه رفع الكلمة وقوله كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار يقول كما طبع الله على قلوب المسرفين الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر على الله أن يوحده ويصدق رسله جبار يعني متعظم عن اتباع الحق واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار خلا أبي عمرو بن العلاء على كل قلب متكبر باضافة القلب الى المتكبر بمعنى الخبر عن أن الله طبع على قلوب المتكبرين كلها ومن كان ذلك قراءته كان قوله جبار من نعت متكبر وقد روي عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار حدثني بذلك ابن يوسف قال ثنا القاسم قال ثني حجاج عن هرون أنه كذلك في حرف ابن مسعود وهذا الذي ذكر عن ابن مسعود من قراءته يحقق قراءة من قرأ ذلك باضافة قلب الى المتكبر لأن تقديم كل قبل القلب وتأخيرها بعده لا يغير المعنى بل معنى ذلك في الحالتين واحد وقد حكي عن بعض العرب سماعا هو يرجل شعره يوم كل جمعة يعني كل يوم جمعة وأما أبو عمرو فقرأ ذلك بتنوين القلب وترك اضافته الى متكبر وجعل المتكبر والجبار من صفة القلب وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه باضافة القلب الى المتكبر لأن التكبر فعل الفاعل بقلبه كما أن القاتل اذا قتل قتيلا وان كان قتله بيده فان الفعل مضاف اليه وانما القلب جارحة من جوارح المتكبر وان كان بها التكبر فان الفعل الى فاعله مضاف نظير الذي قلنا في القتل وذلك وان كان كما قلنا فان الاخرى غير مدفوعة لأن العرب لا تمنع أن تقول بطشت يد فلان ورأت عيناه كذا وفهم قلبه فتضيف الأفعال الى الجوارح وان كانت في الحقيقة لأصحابها

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب﴾ يقول تعالى ذكره وقال فرعون لما وعظه المؤمن من آله بما وعظه به وزجره عن قتل موسى نبي الله وحذره من بأس الله على قيله أقتله ما حذره لوزيره وزير السوء هامان يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب يعني بناء وقد بينا معنى الصرح فيما مضى بشواهده بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع لعلي أبلغ الأسباب اختلف أهل التأويل في معنى الاسباب في هذا الموضع فقال بعضهم أسباب السموات طرقها ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن هشام

بعث القوم موسى على أن يقتدوا به في الاستعاذة فان اجتماع النفوس له تأثير قوي وفي قوله (من كل متكبر) أي متكبر عن قبول الحق على سبيل العموم فائدتان احداهما شمول الدعاء فيدخل فيه فرعون بالتبعية والثانية أن فرعون رباه في الصغر فلعله راعى حسن الأدب في عدم تعيينه وأما وصف المتكبر بقوله (لا يؤمن بيوم الحساب) فلأن الموجب لايذاء الناس أمران أحدهما قسوة القلب والثاني عدم اعتقاد بالجزاء والحساب ولا ريب أنه اذا اجتمع الامران كان الخطب أفظع لاجتماع المقتضي وارتفاع المانع ثم شرع في قصة مؤمن آل فرعون والأصح أنه كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا واسمه سمعان أو حبيب أو خربيل وقيل كان اسرائيليا وزيف بأن المؤمنين من بني اسرائيل لم يعتلوا ولم يعزوا لقوله اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه فالوجه في تخصيصه ولقائل أن يقول الوجه تخصيصه بالوعظ والنصيحة الا أن قوله (فمن ينصرنا من بأس الله) وقوله ياقوم على رأس كل نصيحة يغلب على الظن أنه بالنصح لقومه ومعنى (أن يقول) لأجل قوله أو وقت أن يقول كأنه قال منكرا عليهم أترتكبون الفعلة الشنعاء وهي قتل نفس محرمة أي نفس كانت لأجل كلمة حقة وهي قوله (ربي الله) والدليل على حقيتها اظهار الخوارق والمعجزات وفي قوله (من ربكم) استدراج لهم الى الاعتراف بالله ثم احتج عليهم بالتقسيم العقلي أنه لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا على الاول يعود وبال كذبه عليه وعلى الثاني أصابكم ما يتوعدكم به من العقاب واعترض على الشق الاول بأن الكاذب يجب دفع شره بامالته الى الحق أو بقتله ولهذا أجمع العلماء

على أن الزنديق الذي يدعو الناس الى دينه يجب قتله وعلى الشق الثاني بأنه أوعدهم بأشياء والنبي صادق في مقالته لا محالة فلم قال يصبكم بعض الذي يعدكم ولم يقل كل الذي والجواب عن الاول أنه انما ردد بين الامرين (٤٣) بناء على أن أمره مشكوك فيما بينهم والزمان زمان الفترة والحيرة فأين هذا من زماننا الذي وضح الحق فيه وضوح الفجر الصادق بل ظهور الشمس في ضحوة النهار وعن الثاني أنه من كلام المنصف كأنه قال ان لم يصبكم كل ما أوعد فلا أقل من أن يصيبكم بعضه أو أراد عذاب الدنيا وكان موسى أوعدهم عذاب الدنيا والآخرة جميعا وعن أبي عبيدة أن البعض ههنا بمعنى الكل وأنشد قول لبيد

تراك أمكنة اذا لم أرضها

أو يرتبط بعض النفوس حمامها

وخطأه جار الله وكثير من أهل العربية وقالوا انه أراد ببعض النفوس نفسه فقط ثم أكد حقية أمر موسى بقوله (ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) وقد هداه الله الى المعجزات الباهرة فهو اذن ليس بمتجاوز عن حد الاعتدال ولا بكذاب وقيل انه كلام مستأنف من الله عز وجل وفيه تعريض بأن فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى كذاب في ادعاء الالهية فلا يهديه الله الى شيء من خيرات الدارين • ويزيل ملكه ويدفع شره وقد يلوح من هذه النصيحة وما يتلوها من المواعظ أن مؤمن آل فرعون كان يكتم ايمانه الى أن قصدوا قتل موسى وعند ذلك أظهر الايمان وترك التقية مجاهدا في سبيل الله بلسانه ثم ذكرهم نعمة الله عليهم وخوفهم زوالها بقوله (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض) أي غالبين على أرض مصر ومن فيها من بني اسرائيل والقبط (فمن ينصرنا من بأس الله) من يخلصنا من عذابه (ان جاءنا) وذلك لشؤم تكذيب نبيه (قال فرعون ما أريكم الا ما أرى) أي ما أشير عليكم برأي الا بما أرى من قبله (وما أهديكم) بهذا الرأي (الا سبيل الرشاد) وصلاح الدين والدنيا أو ما أعلمكم من الصواب ولا أسر خلاف ما أظهر قال جار الله

هشام قال ثنا عبد الله بن موسى عن اسرائيل عن السدي عن أبي صالح أسباب السموات قال طرق السموات حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أبلغ الاسباب أسباب السموات قال طرق السموات * وقال آخرون عني بأسباب السموات أبواب السموات ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا وكان أول من بنى بهذا الآجر وطبخه لعلي أبلغ الاسباب اسباب السموات أي أبواب السموات * وقال آخرون بل عني به منزل السماء ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات قال منزل السماء وقد بينا فيما مضى قبل أن السبب هو كل ما تسبب به الى الوصول الى ما يطلب من حبل وسلم وطريق وغير ذلك * فأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال معناه لعلي أبلغ من أسباب السموات أسبابا أتسبب بها الى رؤية اله موسى طرقا كانت تلك الأسباب منها أو أبوابا أو منازل أو غير ذلك وقوله فأطلع الى اله موسى اختلفت القراء في قراءة قوله فأطلع فقرأت ذلك عامة قراء الامصار فأطلع بضم العين ردا على قوله أبلغ الأسباب وعطفا به عليه وذكر عن حميد الأعرج أنه قرأ فأطلع نصبا جوابا للعلي وقد ذكر الفراء أن بعض العرب أنشده

على صروف الدهر أو دولاتها * يديلننا اللمة من لماتها * فتستريح النفس من زفراتها

فنصب فتستريح على أنها جواب للعل والقراءة التي لا أستجيز غيرها الرفع في ذلك لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله واني لأظنه كاذبا يقول واني لأظن موسى كاذبا فيما يقول ويدعي من أن له في السماء ربا أرسله الينا وقوله وكذلك زين لفرعون سوء عمله يقول الله تعالى ذكره وهكذا زين الله لفرعون حين عتا عليه وتمرد قبيح عمله حتى سولت له نفسه بلوغ أسباب السموات ليطلع الى اله موسى وقوله وصد عن السبيل اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة وصد عن السبيل بضم الصاد على وجه ما لم يسم فاعله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وصد عن السبيل قال فعل ذلك به زين له سوء عمله وصد عن السبيل وقرأ ذلك حميد وأبو عمرو وعامة قراء البصرة وصد بفتح الصاد بمعنى وأعرض فرعون عن سبيل الله التي ابتعث بها موسى استكبارا * والصواب من القول في ذلك أن يقال انهما قراءتان معروفتان في قرأة الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله وما كيد فرعون الا في تباب يقول تعالى ذكره وما احتيال فرعون الذي يحتال للاطلاع الى اله موسى الا في خسار وذهاب مال وغبن لانه ذهبت نفقته التي أنفقها على الصرح باطلا ولم ينل بما أنفق شيأ مما أراده فذلك هو الخسار والتباب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وما كيد فرعون الا في تباب يقول في خسران حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله في تباب قال خسار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كيد فرعون الا في تباب أي في ضلال وخسار حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما كيد

وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلد وحكى أبو الليث أن الرشاد اسم من أسماء أصنامه قوله (مثل دأب) قال جار الله صاحب الكشاف لابد من حذف مضاف أى مثل جزاء دأبهم وهو عادتهم المستمرة فى الكفر والتكذيب

فرعون الا فى تباب قال التباب والضلال واحد ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وقال الذى آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن المؤمن بالله من آل فرعون وقال الذى آمن من قوم فرعون لقومه ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يقول ان اتبعتمونى فقبلتم منى ما أقول لكم بينت لكم طريق الصواب الذى ترشدون اذا أخذتم فيه وسلكتموه وذلك هو دين الله الذى ابتعث به موسى يقول انما هذه الحياة الدنيا متاع يقول لقومه ما هذه الحياة الدنيا العاجلة التى عجلت لكم فى هذه الدار الا متاع تستمتعون بها الى أجل أنتم بالغوه ثم تموتون وتزول عنكم وان الآخرة هى دار القرار يقول وان الدار الآخرة هى دار القرار التى تستقرون فيها فلا تموتون ولا تزول عنكم يقول فلها فاعملوا واياها فاطلبوا * وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله وان الآخرة هى دار القرار قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان الآخرة هى دار القرار استقرت الجنة بأهلها واستقرت النار بأهلها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾ يقول من عمل بمعصية الله فى هذه الحياة الدنيا فلا يجزيه الله فى الآخرة الا سيئة مثلها وذلك أن يعاقبه بها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى يقول ومن عمل بطاعة الله فى الدنيا وائتمر لأمره وانتهى فيها عما نهاه عنه من رجل أو امرأة وهو مؤمن بالله فأولئك يدخلون الجنة يقول فالذين يعملون ذلك من عباد الله يدخلون فى الآخرة الجنة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها أى شركا السيئة عند قتادة شرك ومن عمل صالحا أى خيرا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن وقوله يرزقون فيها بغير حساب يقول يرزقهم الله فى الجنة من ثمارها وما فيها من نعيمها ولذاتها بغير حساب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يرزقون فيها بغير حساب قال لا والله ما هناكم مكيال ولا ميزان ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وياقوم ما لى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا المؤمن لقومه من الكفرة ما لى أدعوكم الى النجاة من عذاب الله وعقوبته بالايمان به واتباع رسوله موسى وتصديقه فيما جاءكم به من عند ربه وتدعوننى الى النار يقول وتدعوننى الى عمل أهل النار * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ما لى أدعوكم الى النجاة قال الايمان بالله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ما لى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار قال هذا مؤمن آل فرعون قال يدعونه الى دينهم والاقامة معهم وقوله تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم يقول وأشرك بالله فى عبادته أوثانا لست أعلم أنه يصلح لى عبادتها واشراكها فى عبادة الله لأن الله لم يأذن لى فى ذلك بخبر ولا عقل وقوله وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار يقول وأنا أدعوكم الى عبادة العزيز فى انتقامه ممن كفر به الذى لا يمنعه اذا انتقم من عدوله شئ الغفار لمن تاب اليه بعد معصيته

ثم قال انه عطف بيان للاول لان آخر ما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت أهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم الى أعلام فسرى ذلك الحكم الى أول المضافات قلت لا بأس من جعله بدلا كما مر وقوله (وما الله يريد ظلما للعباد) أبلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد لأن نفى الارادة آكد من نفى الفعل ولتنكير الظلم فى سياق النفى وفيه أن تدميرهم كان عدلا وقسطا وقيل معناه أنه لا يريد لهم أن يظلموا فدمرهم لكونهم ظالمين وحين خوفهم عذاب الدنيا خوفهم عذاب الآخرة أيضا فقال (وياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد) أما اليوم فيمكن انتصابه على الظرفية كأنه أخبر عن خوفه فى ذلك اليوم لما يلحقهم من العذاب والاولى أن يكون مفعولا به أى أحذركم عذاب ذلك اليوم وفى تسمية يوم القيامة يوم التناد وجوه منها أن أهل الجنة ينادون أهل النار وبالعكس كما مر فى سورة الاعراف ومنها أنه من قوله يوم ندعو كل أناس بامامهم ومنها أن بعض الظالمين ينادى بعضا بالويل والثبور قائلين ياويلنا ومنها أنهم ينادون الى المحشر ومنها أنه ينادى المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه والكافر ياليتنى لم أوت كتابيه ومنها أنه يجاء بالموت على صورة كبش أملح ثم يذبح وينادى فى أهل القيامة لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا على فرح وأهل النار حزنا على حزن

وقال أبو على الفارسى التناد مخفف من التنادّ مشددا وأصله من ندّ اذا هرب نظيره يوم يفر المرء من أخيه وأمه الخ اياه
ويؤيده قراءة ابن عباس مشددا وتفسيره بأنهم يندّون كما تندّ الابل وقوله بعد ذلك (يوم تولون مدبرين) أنهم اذا سمعوا زفير النار ندّوا هاربين

ايادلعفوه عنه فلا يضره شيء مع عفوه عنه يقول فهذا الذى هذه الصفة صفته فاعبدوا لا ما لا ضر عنده ولا نفع ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لا جرم أنما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار﴾ يقول حقا أن الذى تدعوننى اليه من الأوثان ليس له دعاء فى الدنيا ولا فى الآخرة لأنه جماد لا ينطق ولا يفهم شيئاً * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ليس له دعوة فى الدنيا قال الوثن ليس بشيء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة أى لا ينفع ولا يضر حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة (١) وقوله وأن مردنا الى الله يقول وأن مرجعنا ومنقلبنا بعد مماتنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار يقول وأن المشركين بالله المتعدين حدوده القتلة النفوس التى حرم الله قتلها هم أصحاب نار جهنم عند مرجعنا الى الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى معنى المسرفين فى هذا الموضع فقال بعضهم هم سفاكو الدماء بغير حقها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله وأن المسرفين هم أصحاب النار قال السفاكون الدماء بغير حقها حدثنا على بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قول الله وأن المسرفين هم أصحاب النار قال هم السفاكون الدماء بغير حقها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وأن المسرفين قال السفاكون الدماء بغير حقها هم أصحاب النار حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأن المسرفين هم أصحاب النار قال سماهم الله مسرفين فرعون ومن معه * وقال آخرون هم المشركون ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأن المسرفين هم أصحاب النار أى المشركون وقد بينا معنى الاسراف فيما مضى قبل بما فيه الكفاية من اعادته فى هذا الموضع وانما اخترنا فى تأويل ذلك فى هذا الموضع ما اخترنا لأن قائل هذا القول لفرعون وقومه انما قصد فرعون به لكفره وما كان هم به من قتل موسى وكان فرعون عاليا عاتيا فى كفره بالله سفاكا للدماء التى كان محرما عليه سفكها وكل ذلك من الاسراف فلذلك اخترنا ما اخترنا من التأويل فى ذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وقومه فستذكرون أيها القوم اذا عاينتم عقاب الله قد حل بكم ولقيتموه ما لقيتم صدق ما أقول وحقيقة ما أخبركم به من أن المسرفين هم أصحاب النار كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فستذكرون

(١) سقط التفسير من قلم الناسخ والذى فى ابن كثير عنه لا يجيب داعيه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة اهـ

فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه وقال قتادة معنى تولون مدبرين انصرافهم عن موقف الحساب الى النار ثم أكد التهديد بقوله (ما لكم من الله) الآية ثم ذكر مثالا (٤٥) لمن لا يهديه الله بعد اضلاله وهو قوله (ولقد جاءكم يوسف) وفيه أقوال ثلاثة أحدها أنه يوسف بن يعقوب وفرعون موسى هو فرعون يوسف والبينات اشارة الى ما روى أنه مات لفرعون فرس قيمته ألوف فدعا يوسف فأحياه الله وأيضا كسفت الشمس فدعا يوسف فكشفها الله ومعجزاته فى باب تعبير الرؤيا مشهورة فآمن فرعون ثم عاد الى الكفر بعد ما مات يوسف والثانى هو يوسف بن ابن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم عشرين سنة قاله ابن عباس وقال النقاش فى تفسيره ان الله بعث اليهم رسولا من الجن اسمه يوسف وأورده أقضى القضاة أيضا وفيه بعد قال المفسرون فى قوله (لن يبعث الله من بعده رسولا) ليس اشارة الى أنهم صدقوا يوسف لقوله (فما زلتم فى شك) وانما الغرض بيان أن تكذيبهم لموسى مضموم الى تكذيب يوسف ولهذا ختم الآية بقوله (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) قلت هذا انما يصح اذا لم يكن فرعون يوسف قد آمن به لكنه مروى كما قلنا اللهم الا أن يقال لولا شكه فى أمره لما كفر بعد موته قال جار الله فاعل كبر ضمير عائد الى من هو مسرف لانه موحد اللفظ وان كان مجموع المعنى وجوز أن يكون الذين يجادلون مبتدأ على تقدير حذف المضاف أى جدال الذين يجادلون كبر وجوز آخرون أن يكون التقدير الذين يجادلون كبر جدالهم على حذف الفاعل للقرينة وفى قوله (وعند الذين آمنوا) اشارة الى أن شهادة المؤمنين عند الله بمكان حتى قرنها الى شهادة نفسه والمقصود التعجب والاستعظام لجدالهم وخروجه عن حد أشكاله من الكبائر ووصف القلب بالتكبر والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما أو باعتبار صاحبه ومن قرأ بالاضافة فظاهر الا أنه قيل فيه قلب والاصل على قلب

ما أقول لكم فقلت له أوذلك فى الآخرة قال نعم وقوله وأفوض أمرى الى الله يقول وأسلم أمرى الى الله وأجعله اليه وأتوكل عليه فانه الكافى من توكل عليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وأفوض أمرى الى الله قال أجعل أمرى الى الله وقوله ان الله بصير بالعباد يقول ان الله عالم بامور عباده ومن المطيع منهم والعاصى له والمستحق جميل الثواب والمستوجب سيئ العقاب وقوله فوقاه الله سيئات ما مكروا يقول تعالى ذكره فدفع الله عن هذا المؤمن من آل فرعون بايمانه وتصديق رسوله موسى مكروه ما كان فرعون ينال به أهل الخلاف عليه من العذاب والبلاء فنجاه منه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله سيئات ما مكروا قال وكان قبطيا من قوم فرعون فنجا مع موسى قال وذكر لنا أنه بين يدى موسى يومئذ يسير ويقول أين أمرت يا نبى الله فيقول أمامك فيقول له المؤمن وهل أمامى الا البحر فيقول موسى لا والله ما كذبت ولا كذبت ثم يسير ساعة ويقول أين أمرت يا نبى الله فيقول أمامك فيقول وهل أمامى الا البحر فيقول لا والله ما كذبت ولا كذبت حتى أتى على البحر فضربه بعصاه فانفلق اثنى عشر طريقا لكل سبط طريق وقوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب يقول وحل بآل فرعون ووجب عليهم وعنى بآل فرعون فى هذا الموضع تباعه وأهل طاعته من قومه كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدّى فى قول الله وحاق بآل فرعون سوء العذاب قال قوم فرعون وعنى بقوله سوء العذاب ما ساءهم من عذاب الله وذلك نار جهنم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ النار يعرضون عليها غدوّا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب ﴾ يقول تعالى ذكره مبينا عن سوء العذاب الذى حل بهؤلاء الاشقياء من قوم فرعون ذلك الذى حاق بهم من سوء عذاب الله النار يعرضون عليها انهم لما هلكوا وغرّقهم الله جعلت أرواحهم فى أجواف طير سود فهى تعرض على النار كل يوم مرتين غدوّا وعشيا الى أن تقوم الساعة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى قيس عن الهذيل بن شرحبيل قال أرواح آل فرعون فى أجواف طير سود تغدو وتروح على النار وذلك عرضها حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قال بلغنى أن أرواح قوم فرعون فى أجواف طير سود تعرض على النار غدوّا وعشيا حتى تقوم الساعة حدثنا عبد الكريم بن أبى عمير قال ثنا حماد بن محمد الفزارى البلخى قال سمعت الاوزاعى وسأله رجل فقال رحمك الله رأينا طيورا تخرج من البحر تأخذ ناحية الغرب بيضا فوجا فوجا لا يعلم عددها الا الله فاذا كان العشى رجع مثلها سودا قال وفطنتم الى ذلك قالوا نعم قال ان تلك الطيور فى حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدوّا وعشيا فترجع الى وكورها وقد احترقت رياشها وصارت سوداء فتنبت عليها من الليل رياش بيض وتتناثر السود ثم تغدو ويعرضون على النار غدوّا وعشيا ثم ترجع الى وكورها فذلك دأبها فى الدنيا فاذا كان يوم القيامة قال الله أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب قالوا وكانوا يقولون انهم ستمائة ألف مقاتل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى حرملة عن سليمن بن حميد قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول ليس فى الآخرة ليل ولا نصف نهار وانما هو بكرة وعشى

كل متكبر كما يقال فلان يصوم كل يوم جمعة اى يوم كل جمعة ثم اخبر الله سبحانه عن بناء فرعون ليطلع على السماء وقد تقدم ذكره فى سورة القصص قال أهل اللغة الصرح مشتق من التصريح (٤٦) الاظهار وأسباب السموات طرقها كما مر فى أول ص فليرتقوا فى الاسباب فائدة بناء الكلام على الابدال هى فائدة الاجمال ثم التفصيل والابهام ثم التوضيح من تشويق السامع وغيره من قرأ فاطلع بالرفع فعلى العطف أى لعلى أبلغ فأطلع ومن قرأ بالنصب فعلى تشبيه الترجى بالتمنى والتباب الخسران والهلاك كما مر فى قوله وما زادوهم غير تتبيب استدل كثير من المشبهة بالآية على أن الله فى السماء قالوا ان بديهة فرعون قد شهدت بأنه فى ذلك الصوب وأنه سمع من موسى أنه يصف الله بذلك والا لما رام بناء الصرح والجواب أن بديهة فرعون لا حجة فيها وسماعه ذلك من موسى ممنوع وقد يطعن بعض اليهود بل كلهم فى الآية بأن تواريخ بنى اسرائيل تدل على أن هامان لم يكن موجودا فى زمان موسى وفرعون وانما ولد بعدهما بزمان طويل ولو كان مثل هذا الشخص موجودا فى عصرهما لنقل لتوفرت الدواعى على نقله والجواب أن الطعن بتاريخ اليهود المنقطع الوسط لكثرة زمان الفترة أولى من الطعن فى القرآن المعجز المتواتر أولا ووسطا وآخرا ثم عاد سبحانه الى حكاية قول المؤمن وأنه أجمل النصيحة أولا بقوله اتبعون أهدكم ثم استأنف مفصلا قائلا (انما هذه الحياة الدنيا متاع) يتمتع به أياما قلائل ثم يترك عند الموت ان لم يزل نعيمها قبل ذلك (وان الآخرة هى دار القرار) المنزل الذى يستقر فيه ثم بين أنه كيف تحصل المجازاة فى الآخرة وفيه اشارة الى أن جانب الرحمة أرجح ومعنى الرزق بغير حساب أنه لانهاية لذلك الثواب أو أنه يعطى بعد الجزاء شيئا زائدا على سبيل التفضل غير مندرج تحت الحساب ثم صرح بأنهم يدعونه الى النار وهو يدعوهم الى الخلاص عنها وفسر هذه الجملة بقوله وذلك

(تدعوننى لا كفر بالله) الآية ليعلم أن الشرك بالله أعظم موجبات النار والتوحيد ضدّه وفى قوله مالى ادعوكم من غير أن يقول مالكم مع أن الانكار يتوجه فى الحقيقة الى دعائهم لا الى المجموع ولا الى دعائه سلوك لطريق الانصاف ووجه تخصيص العزيز الغفار

وذلك فى القرآن فى آل فرعون يعرضون عليها غدوّا وعشيا وكذلك قال لأهل الجنة لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا * وقيل عنى بذلك أنهم يعرضون على منازلهم فى النار تعذيبا لهم غدوّا وعشيا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة النار يعرضون عليها غدوّا وعشيا قال يعرضون عليها صباحا ومساء يقال لهم يا آل فرعون هذه منازلكم توبيخا ونقمة وصغارا لهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله غدوّا وعشيا قال ما كانت الدنيا * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر أن آل فرعون يعرضون على النار غدوّا وعشيا وجائز أن يكون ذلك العرض على النار على نحو ما ذكرناه عن الهذيل ومن قال مثل قوله وأن يكون كما قال قتادة ولا خبر يوجب الحجة بأن ذلك المعنىّ به فلا فى ذلك الا ما دل عليه ظاهر القرآن وهو أنهم يعرضون على النار غدوّا وعشيا وأصل الغدو والعشى مصادر جعلت أوقاتا وكان بعض نحويى البصرة يقول فى ذلك انما هو مصدر كما تقول أتيته ظلاما جعله ظرفا وهو مصدر قال ولو قلت موعدك غدوة أو موعدك ظلام فرفعته كما تقول موعدك يوم الجمعة لم يحسن لان هذه المصادر وما أشبهها من نحو سحر لا تجعل الا ظرفا قال والظرف كله ليس بمتمكن وقال نحويو الكوفة لم يسمع فى هذه الاوقات وان كانت مصادر الا التعريب موعدك يوم موعدك صباح ورواح كما قال جل ثناؤه غدوّها شهر ورواحها شهر فرفع وذكروا أنهم سمعوا انما الطيلسان شهران قالوا ولم يسمع فى الاوقات النكرات الا الرفع الا قولهم انما سخاؤك أحيانا وقالوا انما جاز ذلك لانه بمعنى انما سخاؤك الحين بعد الحين فلما كان تأويله الاضافة نصب وقوله ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق سوى عاصم وأبى عمرو ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون بفتح الألف من أدخلوا فى الوصل والقطع بمعنى الامر بادخالهم النار واذا قرئ ذلك كذلك كان الآل نصبا بوقوع أدخلوا عليه وقرأ ذلك عاصم وأبو عمرو ويوم تقوم الساعة ادخلوا بوصل الالف وسقوطها فى الوصل من اللفظ وبضمها اذا ابتدئ بعد الوقف على الساعة ومن قرأ ذلك كذلك كان الآل على قراءته نصبا بالنداء لان معنى الكلام على قراءته ادخلوا يا آل فرعون أشدّ العذاب * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرّاء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فمعنى الكلام اذا ويوم تقوم الساعة يقال لآل فرعون ادخلوا يا آل فرعون أشدّ العذاب فهذا على قراءة من وصل الالف من ادخلوا ولم يقطع ومعناه على القراءة الاخرى ويوم تقوم الساعة يقول الله لملائكته أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين واذ يتحاجون فى النار يقول واذ يتخاصمون فى النار وعنى بذلك اذ يتخاصم الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بانذارهم من مشركى قومه فى النار فيقول الضعفاء منهم وهم المتبعون على الشرك بالله انا كنا لكم تبعا تقول لرؤسائهم الذين اتبعوهم على الضلالة انا كنا لكم فى الدنيا تبعا على الكفر بالله فهل

بالمقام أنه غالب على من أشرك به غفور لمن تاب عن كفره قوله (لا جرم) لا ردّ لكلامهم وجرم بمعنى كسب أو وجب أو لا بد وقد سبق فى هود والنحل ومعنى (ليس له دعوة) أنه لا يقدر فى الدنيا على أن يدعو الناس الى نفسه لانه جماد ولا فى الآخرة لانه اذا أنطقه الله فيها تبرأ من عابديه ويجوز أن يكون على حذف المضاف أى ليس له استجابة دعوة كقوله والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء عن قتادة المسرفين هم المشركون ومجاهد السفاكون للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم وقيل الذين جاوزوا فى المعصية حدّ الاعتدال كما بالدوام والاصرار وكيفا بالشناعة وخلع العذار (فستذكرون) أى فى الدنيا عند حلول العذاب أو فى الآخرة عند دخول النار (وأفوّض أمرى الى الله) قاله لأنهم توعدوه وفيه وفى قوله (فوقاه الله) دليل واضح على انه أظهر الايمان وقت هذه النصائح قال مقاتل لما تمم هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم الى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه قوله (وحاق بآل فرعون) معناه أنه رجع وبال مكرهم عليهم فأغرقوا ثم أدخلوا نارا ولا يلزم منه أن يكونوا قدهموا بايصال مثل هذا السوء اليه ولئن سلم أن الجزاء يلزم فيه المماثلة لعل فرعون قد هم باغراقه أو باحراقه كما فعل نمرود قوله (يعرضون عليها) أى يحرقون بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به وقوله (غدوّا وعشيا) اما للدوام كما مر فى صفة أهل الجنة ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا واما لانه اكتفى فى القبر بايصال العذاب اليهم فى هذين الوقتين وفى سائر الاوقات اما أن يبقى أثر ذلك وألمه عليهم واما أن يكون فترة

أنتم مغنون اليوم عنا نصيبا من النار يعنون حظا فتخففونه عنا فقد كنا نسارع في محبتكم في الدنيا ومن قبلكم أتينا لولا أنتم لكنا في الدنيا مؤمنين فلم يصبنا اليوم هذا البلاء والتبع يكون واحدا وجماعة في قول بعض نحويي البصرة وفي قول بعض نحويي الكوفة جمع لا واحد له لانه كالمصدر قال وان شئت كان واحده تابع فيكون مثل خائل وخول وغائب وغيب * والصواب من القول في ذلك عندي أنه جمع واحده تابع وقد يجوز أن يكون واحدا فيكون جمعه أتباع فأجابهم المتبوعون بما أخبر الله عنهم قال الذين استكبروا وهم الرؤساء المتبوعون على الضلالة في الدنيا انا أيها القوم وأنتم كلنا في هذه النار مخلدون لا خلاص لنا منها ان الله قد حكم بين العباد بفصل قضائه فأسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فلا نحن مما نحن فيه من البلاء خارجون ولا هم مما هم فيه من النعيم منتقلون ورفع قوله كل بقوله فيها ولم ينصب على النعت وقد اختلف في جواز النصب في ذلك في الكلام وكان بعض نحويي البصرة يقول اذا لم يضف كل لم يجز الاتباع وكان بعض نحويي الكوفة يقول ذلك جائز في الحذف وغير الحذف لان أسماءها اذا حذفت اكتفى بها منها وقد بينا الصواب من القول في ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال﴾ يقول تعالى ذكره وقال أهل جهنم لخزنتها وقوامها استغاثة بهم من عظيم ما هم فيه من البلاء ورجاء أن يجدوا من عندهم فرجا ادعوا ربكم لنا يخفف عنا يوما واحدا يعني قدر يوم واحد من أيام الدنيا من العذاب الذي نحن فيه وانما قلنا معنى ذلك قدر يوم من أيام الدنيا لأن الآخرة يوم لا ليل فيه فيقال خفف عنهم يوما واحدا وقوله قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات يقول تعالى ذكره قالت خزنة جهنم لهم أولم تك تأتيكم في الدنيا رسلكم بالبينات من الحجج على توحيد الله فتوحدوه وتؤمنوا به وتتبرؤا مما دونه من الآلهة قالوا بلى قد أتتنا رسلنا بذلك وقوله قالوا فادعوا يقول جل ثناؤه قالت الخزنة لهم فادعوا اذا ربكم الذي أتتكم الرسل بالدعاء الى الايمان به وقوله وما دعاء الكافرين الا في ضلال يقول قد دعوا وما دعاؤهم الا في ضلال لانه دعاء لا ينفعهم ولا يستجاب لهم بل يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ يقول القائل وما معنى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا وقد علمنا أن منهم من قتله أعداؤه ومثلوا به كشعياء ويحيى بن زكريا وأشباههما ومنهم من هم بقتله قومه فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم حتى فارقهم ناجيا بنفسه كابراهيم الذي هاجر الى الشأم من أرضه مفارقا لقومه وعيسى الذي رفع الى السماء اذ أراد قومه قتله فأين النصرة التي أخبرنا أنه ينصرها رسله والمؤمنين به في الحياة الدنيا وهؤلاء أنبياؤه قد نالهم من قومهم ما قد علمت وما نصروا على من نالهم بما نالهم به قيل ان لقوله انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا وجهين كلاهما صحيح معناه أحدهما أن يكون معناه انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا اما باعلائناهم على من كذبنا واظفارناهم بهم حتى يقهروهم غلبة ويذلوهم بالظفر ذلة كالذي فعل من ذلك بداود وسليمن فأعطاهما من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر وكالذي فعل بمحمد صلى الله عليه وسلم باظهاره على من كذبه من قومه واما بانتقامنا ممن حادّهم وشاقهم

واذا ان يعذبوا بنوع آخر من العذاب الله اعلم بحالهم وفي الآية دلالة ظاهرة على اثبات عذاب القبر لان تعذيب يوم القيامة يجيء في قوله ويوم تقوم الساعة قيل لم لا يجوز أن يكون المراد (٤٨) بعرض النار عرض النصائح عليهم في الدنيا لان سماع الحق مر طعمه قلنا عدول عن الظاهر من غير دليل ولما انجر الكلام الى شرح أحوال أهل النار عقبه بذكر المناظرات التي تجري فيما بين الرؤساء والأتباع والمعنى اذكر يا محمد وقت تحاجهم وقد مر نظير ذلك مرارا وفي قولهم (ان الله قد حكم بين العباد) أي قضى لكل فريق بما يستحقه اشارة الى الاقناط الكلي ولهذا رجعوا عن محاجة المتبوعين الى الالتماس من خزنة النار أن يدعوا الله بتخفيف العذاب عنهم زعما قال المفسرون انما لم يقل لخزنتها لان جهنم اسم قعر النار فكأن لخزنتها قربا من الله وهم أعظم درجة من سائر الخزنة فلذلك خصوهم بالخطاب أما قول الخزنة لهم (فادعوا) ودعاء الكافر لا يسمع فالمراد به التوبيخ والتنبيه على اليأس كأنهم قالوا الشفاعة مشروطة بشيئين كون المشفوع له مؤمنا والشافع مأذونا له فيها والأمران ههنا مفقودان على أن الحجة قد لزمتهم والبينة أبطلتهم ثم أكدوا ذلك بقولهم (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) أي لا أثر له البتة ﴿انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم الا كبر ماهم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون ان الساعة لآتية لا ريب فيها

ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين الله الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن (٤٩) أكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق
كل شئ لا اله الا هو فأنى تؤفكون
كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله
يجحدون الله الذي جعل لكم
الارض قرارا والسماء بناء وصوركم
فأحسن صوركم ورزقكم من
الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله
رب العالمين هو الحي لا اله الا هو
فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله
رب العالمين قل اني نهيت أن أعبد
الذين تدعون من دون الله لما جاءني
البينات من ربي وأمرت أن أسلم
لرب العالمين هو الذي خلقكم
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة
ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم
ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى
من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم
تعقلون هو الذي يحيي ويميت
فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن
فيكون ألم تر الى الذين يجادلون
في آيات الله أنى يصرفون الذين
كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا
فسوف يعلمون اذ الاغلال
في أعناقهم والسلاسل يسحبون
في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل
لهم أينما كنتم تشركون من دون الله
قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من
قبل شيأ كذلك يضل الله الكافرين
ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض
بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا
أبواب جهنم خالدين فيها فبئس
مثوى المتكبرين فاصبر ان وعد الله
حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم
أو نتوفينك فالينا يرجعون ولقد
أرسلنا رسلا من قبلك منهم من
قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص
عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضى بالحق وخسر هنالك
المبطلون الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون

وشاقهم باهلاكهم وانجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم كالذي فعل تعالى ذكره بنوح وقومه من تغريق قومه وانجائه منهم وكالذي فعل بموسى وفرعون وقومه اذ أهلكهم غرقا ونجى موسى ومن آمن به من بني اسرائيل وغيرهم ونحو ذلك أو بانتقامنا في الحياة الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم كالذي فعلنا من نصرتنا شعياء بعد مهلكه بتسليطنا على قتلته من سلطنا حتى انتصرنا بهم من قتلته وكفعلنا بقتلة يحيى من تسليطنا بختنصر عليهم حتى انتصرنا به من قتلته له وكانتصارنا لعيسى من مريدي قتله بالروم حتى أهلكناهم بهم فهذا أحد وجهيه وقد كان بعض أهل التأويل يوجه معنى ذلك الى هذا الوجه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قول الله انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا قد كانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون وذلك أن تلك الأمة التي تفعل ذلك بالانبياء والمؤمنين لا تذهب حتى يبعث الله قوما فينتصر بهم لأولئك الذين قتلوا منهم والوجه الآخر أن يكون هذا الكلام على وجه الخبر عن الجميع من الرسل والمؤمنين والمراد واحد فيكون تأويل الكلام حينئذ انا لننصر رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد كما بينا فيما مضى أن العرب تخرج الخبر بلفظ الجميع والمراد واحد اذا لم تنصب للخبر شخصا بعينه واختلفت القراء في قراءة قوله ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة ويوم يقوم بالياء وينفع أيضا بالياء وقرأ ذلك بعض أهل مكة وبعض قراء البصرة تقوم بالتاء وتنفع بالتاء * والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقد بينا فيما مضى أن العرب تذكر فعل جمع الرجال وتؤنث اذا تقدم بما أغنى عن اعادته وعنى بقوله ويوم يقوم الأشهاد يوم يقوم الأشهاد من الملائكة والانبياء والمؤمنين على الامم المكذبة رسلها بالشهادة بأن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وأن الامم كذبتهم والأشهاد جمع شهيد كما الأشراف جمع شريف * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويوم يقوم الاشهاد من ملائكة الله وأنبيائه والمؤمنين به حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ويوم يقوم الاشهاد يوم القيامة حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الأعمش عن مجاهد في قول الله ويوم يقوم الاشهاد قال الملائكة وقوله لا ينفع الظالمين معذرتهم يقول تعالى ذكره ذلك يوم لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم لأنهم لا يعتذرون ان اعتذروا الا بباطل وذلك أن الله قد أعذر اليهم في الدنيا وتابع عليهم الحجج فيها فلا حجة لهم في الآخرة الا الاعتصام بالكذب بأن يقولوا والله ربنا ما كنا مشركين وقوله ولهم اللعنة يقول وللظالمين اللعنة وهي البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار يقول ولهم مع اللعنة من الله شر ما في الدار الآخرة وهو العذاب الأليم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا موسى البيان للحق الذي بعثناه به كما آتينا ذلك محمدا فكذب به فرعون وقومه كما كذبت قريش محمدا وأورثنا

ويريكم آياته فأيّ آيات الله تنكرون أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشدّ قوة وآثارا في الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٥٠) فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون

بنى اسرائيل الكتاب يقول وأورثنا بنى اسرائيل التوراة فعلمناهموها وأنزلناها اليهم هدى يعنى بيانا لأمر دينهم وما ألزمناهم من فرائضها وذكرى لأولى الألباب يقول وتذكيرا منا لأهل الحجا والعقول منهم بها وقوله فاصبر ان وعد الله حق يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر يا محمد لأمر ربك وانفذ لما أرسلك به من الرسالة وبلغ قومك ومن أمرت بابلاغه ما أنزل اليك وأيقن بحقيقة وعد الله الذى وعدك من نصرتك ونصرة من صدقك وآمن بك على من كذبك وأنكر ما جئته به من عند ربك ان وعد الله حق لا خلف له وهو منجز له واستغفر لذنبك يقول وسله غفران ذنبك وعفوه لك عنه وسبح بحمد ربك يقول وصل بالشكر منك لربك بالعشى وذلك من زوال الشمس الى الليل والابكار وذلك من طلوع الفجر الثانى الى طلوع الشمس وقد وجه قوم الابكار الى أنه من طلوع الشمس الى ارتفاع الضحى وخروج وقت الضحى والمعروف عند العرب القول الاول واختلف أهل العربية في وجه عطف الابكار والباء غير حسن دخولها فيه على العشى والباء تحسن فيه فقال بعض نحويى البصرة معنى ذلك وسبح بحمد ربك بالعشى وفى الابكار وقال قد يقال بالدار زيد يراد في الدار زيد وقال غيره انما قيل ذلك كذلك لان معنى الكلام صل بالحمد بهذين الوقتين وفى هذين الوقتين فادخال الباء وفى واحد فيهما * القول في تأويل قوله تعالى (ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير) يقول تعالى ذكره ان الذين يخاصمونك يا محمد فيما أتيتهم به من عند ربك من الآيات بغير سلطان أتاهم يقول بغير حجة جاءتهم من عند الله بمخاصمتك فيها ان في صدورهم إلا كبر يقول ما في صدورهم إلا كبر يتكبرون من أجله عن اتباعك وقبول الحق الذى أتيتهم به حسدا منهم على الفضل الذى آتاك الله والكرامة التى أكرمك بها من النبوة ما هم ببالغيه يقول الذى حسدوك عليه أمر ليسوا بمدركيه ولا نائليه لان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وليس بالأمر الذى يدرك بالأمانى وقد قيل ان معناه ان في صدورهم إلا عظمة ما هم ببالغى تلك العظمة لان الله مذلهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ان في صدورهم إلا كبر قال عظمة * ونحو الذى قلنا في تأويل قوله ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم لم يأتهم بذلك سلطان وقوله فاستعذ بالله انه هو السميع البصير يقول تعالى ذكره فاستجر بالله يا محمد من شر هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان ومن الكبر أن يعرض في قلبك منه شئ انه هو السميع البصير يقول ان الله هو السميع لما يقول هؤلاء المجادلون في آيات الله وغيرهم من قول البصير بما تعمله جوارحهم لا يخفى عليه شئ من ذلك * القول في تأويل قوله تعالى (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يقول تعالى ذكره لابتداع السموات والارض وانشاؤها من غير شئ أعظم أيها الناس عندكم ان كنتم مستعظمى خلق الناس وانشائهم من غير شئ من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن خلق جميع ذلك هين على الله * القول في تأويل قوله تعالى (وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات

(القراآت) لا ينفع على التذكير نافع وحمزة وعلى وخلف وعاصم تتذكرون بتاء الخطاب عاصم وحمزة وعلى وخلف ادعونى أستجب بفتح الياء ابن كثير سيدخلون من الادخال مجهولا ابن كثير ويزيد وعباس ورويس وحماد وأبو بكر غير الشموني شيوخا بكسر الشين ابن كثير وابن عامر وحمزة وعلى وهبيرة والأعشى ويحيى وحماد (الوقوف) الأشهاد ه لا لأن يوم بدل من الاول الدار ه الكتاب ه لا الألباب ه والابكار ه أتاهم لا لأن ما بعده خبر ان ما هم ببالغيه ج لاختلاف الجملتين بالله ط البصير ه لا يعلمون ه ولا المسئ ط تتذكرون ه لا يؤمنون ه أستجب لكم ط داخرين ه مبصرا ط لا يشكرون ه شئ لا لئلا يوهم أن ما بعده صفة شئ وخطؤه ظاهر الا هو ز لابتداء الاستفهام ورجحان الوصل لفاء التعقيب وتمام مقصود الكلام تؤفكون ه يجحدون ه الطيبات ط العالمين ه الدين ه العالمين ه شيوخا ج لاختلاف الجملتين تعقلون ه ويميت ج لأجل الفاء مع الشرط فيكون ه في آيات الله ط لانتهاء الاستفهام وابتداء آخر يصرفون ه ج لاحتمال كون الذين بدلا من الضمير في يصرفون رسلنا قف ان لم تقف على يصرفون يعلمون ه لا لتعلق الظرف والسلاسل ط لأن ما بعده مستأنف وقيل والسلاسل مبتدأ والعائد محذوف أي والسلاسل يجرون بها في الحميم يسجرون ه ج للآية مع العطف

من دون الله ط شيئا ط الكافرين ٥ تمرحون ٥ خالدين فيها ج المتكبرين ٥ حق ٥ للشرط مع الفاء يرجعون ٥ نقصص عليك ط باذن الله ج المبطلون ٥ تأكلون ٥ ز للآية مع العطف (٥١) وشدة اتصال المعنى تحملون ٥ ط لأن

الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون ﴾ وما يستوى الاعمى الذى لا يبصر شيئا وهو مثل الكافر الذى لا يتأمل حجج الله بعينيه فيتدبرها ويعتبر بها فيعلم وحدانيته وقدرته على خلق ما شاء من شئ ويؤمن به ويصدق والبصير الذى يرى بعينيه ما شخص لهما ويبصره وذلك مثل للمؤمن الذى يرى بعينيه حجج الله فيتفكر فيها ويتعظ ويعلم ما دلت عليه من توحيد صانعه وعظيم سلطانه وقدرته على خلق ما يشاء يقول جل ثناؤه كذلك لا يستوى الكافر والمؤمن والذين آمنوا وعملوا الصالحات يقول جل ثناؤه ولا يستوى أيضا كذلك المؤمنون بالله ورسوله المطيعون لربهم ولا المسيء وهو الكافر بربه العاصى له المخالف أمره قليلا ما تتذكرون يقول جل ثناؤه قليلا ما تتذكرون أيها الناس حجج الله فتعتبرون وتتعظون يقول لو تذكرتم آياته واعتبرتم لعرفتم خطأ ما أنتم عليه مقيمون من انكاركم قدرة الله على احيائه من فنى من خلقه من بعد الفناء واعادتهم لحياتهم من بعد وفاتهم وعلمتم قبح شرككم من تشركون فى عبادة ربكم واختلفت القراء فى قراءة قوله تتذكرون فقرأت ذلك عامة قراء المدينة والبصرة يتذكرون بالياء على وجه الخبر وقرأته عامة قراء الكوفة تتذكرون بالتاء على وجه الخطاب والقول فى ذلك أن القراءتين صواب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ﴾ يقول تعالى ذكره ان الساعة التى يحيى الله فيها الموتى للثواب والعقاب لجائية أيها الناس لا شك فى مجيئها يقول فأيقنوا بمجيئها وأنكم مبعوثون من بعد مماتكم ومجازون بأعمالكم فتوبوا الى ربكم ولكن أكثر الناس لا يؤمنون يقول ولكن أكثر قريش لا يصدقون بمجيئها وقوله وقال ربكم ادعونى أستجب لكم يقول تعالى ذكره ويقول ربكم أيها الناس لكم ادعونى يقول اعبدونى وأخلصوا لى العبادة دون من تعبدون من دونى من الأوثان والأصنام وغير ذلك أستجب لكم يقول أجب دعاءكم فأعفو عنكم وأرحمكم ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ادعونى أستجب لكم يقول وحدونى أغفر لكم حدثنا عمرو بن على قال ثنا عبد الله بن داود عن الأعمش عن زر عن يسيع الحضرمى عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور والأعمش عن زر عن يسيع الحضرمى عن النعمان بن بشير قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول الدعاء هو العبادة وقال ربكم ادعونى أستجب لكم الآية حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن زر عن يسيع قال أبو موسى هكذا قال غندر عن سعيد عن منصور عن زر عن يسيع عن النعمان بن بشير قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الدعاء هو العبادة وقال ربكم ادعونى أستجب لكم حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا شعبة عن منصور عن زر عن يسيع عن النعمان ابن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا يوسف بن العرف الباهلى عن الحسن بن أبى جعفر عن محمد بن جحادة عن يسيع الحضرمى عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عبادتى دعائى ثم تلا هذه الآية وقال ربكم ادعونى

ما بعده مستأنف ولا وجه للعطف تكون ٥ من قبلهم ط للفصل بين الاستخبار والاخبار يكسبون ٥ يستهزؤن ٥ مشركين ٥ بأسنا الثانى ط فى عباده ج لان الفعل المعطوف عليه مضمر وهو سن الكافرون ٥ ۞ التفسير هذا من تمام قصة موسى وعود الى مقام انجر الكلام منه وذلك انه لما قيل فوقاه الله وكان المؤمن من أمة موسى علم منه ومما سلف مرارا أن موسى وسائر قومه قد نجوا وغلبوا على فرعون وقومه فلا جرم صرح بذلك فقال (انا لننصر رسلنا) الآية ونصرتهم فى الدنيا باظهار كلمة الحق وحصول الذكر الجميل واقتداء الناس بسيرتهم الى مدة ما شاء الله وقد ينصرون بعد موتهم كما أن يحيى بن زكريا لما قتل قتل به سبعون ألفا وأما نصرهم فى الآخرة فمن رفع الدرجات والتعظيم على رؤس الأشهاد من الحفظة والانبياء والمؤمنين وقد مر باقى تفسير الأشهاد فى أوائل هود ثم بين أن يوم القيامة لا اعتذار فيه لأهل الظلم والغواية وان فرض اعتذار فلا يقبل وسوء الدار عذاب الآخرة ثم أخبر عن اعطاء موسى التوراة وايراثها قومه بعده والمراد بكون الكتاب هدى أنه دليل فى نفسه وبكونه ذكرى أن يكون مذكرا للشئ المنسى وحين فرغ من قصة موسى وما تعلق بها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم مسليا له بقوله (فاصبر ان وعد الله) بالنصر واعلاء كلمة الحق (حق) كما قص عليك من حال موسى وغيره ثم أمره باستغفار لذنبه وقد سبق البحث فى مثله مرارا والعشى والابكار صلاتا العصر والفجر أو المراد المداوم قوله (ان الذين يجادلون) عود الى ما انجر الكلام اليه من أول السورة الى ههنا وفيه بيان السبب الباعث للكفار

قريش على هـذا الجدال وهو الكبر والحسد وحب الرياسة وأن يكون الناس تحت تصرفهم وتسخيرهم لا أن يكونوا تحت تصرف غيرهم فان النبي صلى الله عليه وسلم لابد أن تكون الامة تحت أمره ونهيه وذلك تخيل فاسد لان الغلبة لدين الاسلام ولهذا قال (ماهم ببالغيه) ثم أمره أن يستعيذ في دفع شرورهم بالله السميع لأقوالهم البصير بأحوالهم فيجازيهم على حسب ذلك ثم انهم كانوا أكثر مايجادلون في أمر البعث فاحتج الله تعالى عليهم بقوله (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) ومن قدر على الأصعب في نظر المخالف وقياسه كان على الأسهل أقدر فظاهر أن هؤلاء الكفار يجادلون في آيات الله بغير سلطان ولا برهان بل لمجرد الحسد والكبر بل لا يعرفون ماالبرهان وكيف طريق النظر والاستدلال ولهذا قال (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ثم نبه على الفرق بين الجدال المستند على العناد والتقليد وبين الجدال المستند الى الحجة والدليل قائلا (ومايستوي الاعمى والبصير) وحين بين التفاوت بين الجاهل والعالم أراد أن يبين التفاوت بين المحسن والمسيء ثم قال (قليلا ماتتذكرون) وفيه مزيد توبيخ وتقريع وفيه أن هذا التفاوت مما يعثر عليه المكلف بأدنى تأمل لو لم يكن معاندا مصرا ثم صرح بوجود القيامة قائلا (ان الساعة لآتية) أدخل اللام في الخبر بخلاف ما في طه لأن المخاطبين ههنا شاكون بخلاف المخاطب هنالك وهو موسى وهذه الآية كالنتيجة لما قبلها ومعنى (لا يؤمنون) لا يصدقون بالبعث ثم انه كان من المعلوم أن الانسان لا ينتفع في يوم القيامة الا بالطاعة فلا جرم أشار اليها بقوله (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) أكثر المفسرين على أن الدعاء ههنا بمعنى العبادة والاستجابة بمعنى الاثابة بقوله سبحانه (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن كقوله أن يدعون من

أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي قال عن دعائي حدثنا علي بن سهل قال ثنا مؤمل قال ثنا عمارة عن ثابت قال قلت لأنس يا أبا حمزة أبلغك أن الدعاء نصف العبادة قال لا بل هي العبادة كلها حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال أخبرنا منصور عن ذر عن يسيع الحضرمي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ثم قرأ هذه الآية وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هاشم بن القاسم عن الأشجعي قال قيل لسفيان ادع الله قال ان ترك الذنوب هو الدعاء وقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي يقول ان الذين يتعظمون عن افرادي بالعبادة وافراد الالوهة لي سيدخلون جهنم داخرين بمعنى صاغرين وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى الدخر بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقد قيل ان معنى قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي ان الذين يستكبرون عن دعائي ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان الذين يستكبرون عن عبادتي قال عن دعائي حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي داخرين قال صاغرين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يقول تعالى ذكره الله الذي لا تصلح الألوهة الا له ولا تنبغي العبادة لغيره الذي صفته أنه جعل لكم أيها الناس الليل سكنا لتسكنوا فيه فتهدؤا من التصرف والاضطراب للمعاش والأسباب التي كنتم تتصرفون فيها في نهاركم والنهار مبصرا يقول وجعل النهار مبصرا من اضطرب فيه لمعاشه وطلب حاجاته نعمة منه بذلك عليكم ان الله لذو فضل على الناس يقول ان الله لمتفضل عليكم أيها الناس بما لا كفء له من الفضل ولكن أكثر الناس لا يشكرون يقول ولكن أكثرهم لا يشكرونه بالطاعة له واخلاص الالوهة والعبادة له ولا يد تقدمت له عنده استوجب بها منه الشكر عليها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ذلكم الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو فأنى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) يقول تعالى ذكره الذي فعل هذه الأفعال وأنعم عليكم هذه النعم أيها الناس الله مالككم ومصلح أموركم وهو خالقكم وخالق كل شئ لا اله الا هو يقول لا معبود تصلح له العبادة غيره فأنى تؤفكون يقول فأي وجه تأخذون والى أين تذهبون عنه فتعبدون سواه وقوله كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون يقول كذهابكم عنه أيها القوم وانصرافكم عن الحق الى الباطل والرشد الى الضلال ذهب عنه الذين كانوا من قبلكم من الامم بآيات الله يعني بحجج الله وأدلته يكذبون فلا يؤمنون يقول فسلكتم أنتم معشر قريش مسلكهم وركبتم محجتهم في الضلال ۞ القول في تأويل قوله تعالى (الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) يقول تعالى ذكره الله الذي له الالوهة خالصة أيها الناس الذي جعل لكم الارض التي أنتم على ظهرها سكان قرارا تستقرون عليها وتسكنون فوقها والسماء بناء بناها فرفعها فوقكم بغير عمد ترونها لمصالحكم وقوام دنياكم الى بلوغ آجالكم وصوركم فأحسن صوركم يقول وخلقكم فأحسن خلقكم ورزقكم من الطيبات يقول ورزقكم من حلال الرزق ولذيذات المطاعم والمشارب وقوله ذلكم الله ربكم

يقول

يقول تعالى ذكره فالذى فعل هذه الافعال وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم هو الله الذى لا تنبغى الألوهة الا له وربكم الذى لا تصلح الربوبية لغيره لا الذى لا ينفع ولا يضر ولا يخلق ولا يرزق فتبارك الله رب العالمين يقول فتبارك الله مالك جميع الخلق جنهم وانسهم وسائر أجناس الخلق غيرهم هو الحى يقول هو الحى الذى لا يموت الدائم الحياة وكل شئ سواه فمنقطع الحياة غير دائمها لا اله الا هو يقول لا معبود بحق تجوز عبادته وتصلح الالوهة له الا الله الذى هذه الصفات صفاته فادعوه أيها الناس مخلصين له الدين مخلصين له الطاعة مفردين له الالوهة لا تشركوا فى عبادته شيأ سواه من وثن وصنم ولا تجعلوا له ندا ولا عدلا الحمد لله رب العالمين يقول الشكر لله الذى هو مالك جميع أجناس الخلق من ملك وجن وانس وغيرهم لا للآلهة والأوثان التى لا تملك شيأ ولا تقدر على ضر ولا نفع بل هو مملوك ان ناله نائل بسوء لم يقدر له عن نفسه دفعا وكان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال لا اله الا الله أن يتبع ذلك الحمد لله رب العالمين تأولا منهم هذه الآية بأنها أمر من الله بقيل ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن على بن الحسن ابن شقيق قال سمعت أبى قال أخبرنا الحسين بن واقد قال ثنا الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين فذلك قوله فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين حدثنى عبد الحميد بن بيان السكرى قال ثنا محمد بن يزيد عن اسمعيل عن سعيد بن جبير قال اذا قال أحدكم لا اله الا الله وحده لا شريك له فليقل الحمد لله رب العالمين ثم قرأ فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين حدثنى محمد بن عبد الرحمن قال ثنا محمد ابن بشر قال ثنا اسمعيل بن أبى خالد عن سعيد بن جبير أنه كان يستحب اذا قال لا اله الا الله يتبعها الحمد لله ثم قرأ هذه الآية هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن عامر عن سعيد بن جبير قال اذا قال أحدكم لا اله الا الله وحده فليقل باثرها الحمد لله رب العالمين ثم قرأ فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ۞ القول فى قوله تعالى (قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وأمرت أن أسلم لرب العالمين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك من قريش انى نهيت أيها القوم أن أعبد الذين تدعون من دون الله من الآلهة والأوثان لما جاءنى البينات من ربى يقول لما جاءنى الآيات الواضحات من عند ربى وذلك آيات كتاب الله الذى أنزله وأمرت أن أسلم لرب العالمين يقول وأمرنى ربى أن أذل لرب كل شئ ومالك كل خلق بالخضوع وأخضع له بالطاعة دون غيره من الاشياء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون) يقول تعالى ذكره آمرا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتنبيه مشركى قومه على حججه عليهم فى وحدانيته قل يا محمد لقومك أمرت أن أسلم لرب العالمين الذى صفته هذه الصفات وهى أنه خالق أبيكم آدم من تراب ثم خلقكم من نطفة ثم من علقة بعد أن كنتم نطفا ثم يخرجكم طفلا من بطون أمهاتكم صغارا ثم لتبلغوا أشدكم فتتكامل قواكم ويتناهى شبابكم وتمام خلقكم شيوخا ومنكم من يتوفى من

دونه الا انا نا روى النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعاء العبادة وقرأ هذه الآية وجوز آخرون أن يكون الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويراد بعبادتى دعائى لأن الدعاء باب من العبادة يصدقه قول ابن عباس أفضل العبادة الدعاء وقد مر تحقيق الدعاء فى سورة البقرة فى قوله أجيب دعوة الداع اذا دعان وقد فسره ابن عباس بمعنى آخر قال وحدونى أغفر لكم وفى الدعاء قال جار الله وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد ومعنى (داخرين) صاغرين وقال أهل التحقيق كل من دعا الله وفى قلبه مثقال ذرة من المال والجاه وغير ذلك فدعاؤه لسانى لا قلبى ولهذا قد لا يستجاب لأنه اعتمد على غير الله وفيه بشارة هى أن دعاء المؤمن وقت حلول أجله يكون مستجابا البتة لانقطاع تعلقه وقتئذ عما سوى الله ثم انه تعالى ذكر نعمته على الخلائق بوجود الليل والنهار وقد مر نظير الآية مرارا ولاسيما فى أواخر يونس وأواسط البقرة وكرر ذكر الناس نعيا عليهم وتخصيصا لكفران النعمة بهم من بين سائر المخلوقات وأما وجه النظم فكأنه يقول انى أنعمت عليك بهذه النعم الجليلة قبل السؤال فكيف لا أنعم عليك بما هو أقل منه بعد السؤال ففيه تحريض على الدعاء وأيضا الاشتغال بالدعاء مسبوق بمعرفة المدعو فلذلك ذكر فى عدة آيات دلائل باهرة من الآفاق والأنفس على وحدانيته واتصافه بنعوت الكمال قوله (ذلكم الله) الى قوله الا هو قد مر فى الانعام قوله (كذلك يؤفك) أى كل من جحد بآيات الله ولم يكن طالبا للحق فانه مصروف عن الحق كما صرفوا قوله (فأحسن صوركم) كقوله ولقد كرمنا بنى آدم لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم قوله (الحمد لله رب العالمين) اما استئناف مدح من الله تعالى لنفسه واما بتقدير القول أى فادعوه مخلصين قائلين الحمد لله قوله (لما جاءنى البينات) شامل لأدلة العقل والنقل جميعا قوله (ثم لتبلغوا أشدكم) متعلق بمحذوف

أي ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا وأما قوله (ولتبلغوا أجلا مسمى) فتعلق بفعل آخر تقديره ونفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى هو الموت أو القيامة ورجاء منكم أن تعقلوا ما في ذلك (٥٤) من العبر وحيث انجر الكلام الى ذكر الأجل وصف نفسه بأن الاحياء والاماتة منه

قبل أن يبلغ الشيخوخة ولتبلغوا أجلا مسمى يقول ولتبلغوا ميقاتا مؤقتا لحياتكم وأجلا محدودا لا تجاوزونه ولا تتقدمون قبله ولعلكم تعقلون يقول وكى تعقلوا حجج الله عليكم بذلك وتتدبروا آياته فتعرفوا بها أنه لا اله غيره فعل ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿هو الذى يحيي ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد هو الذى يحيي ويميت يقول قل لهم ومن صفته جل ثناؤه أنه هو الذى يحيي من يشاء بعد مماته ويميت من يشاء من الأحياء بعد حياته واذا قضى أمرا يقول واذا قضى كون أمر من الامور التى يريد تكوينها فانما يقول له كن يعنى للذى يريد تكوينه كن فيكون ما أراد تكوينه موجودا بغير معاناة ولا كلفة مؤنة وقوله ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد هؤلاء المشركين من قومك الذين يخاصمونك في حجج الله وآياته أنى يصرفون يقول أى وجه يصرفون عن الحق ويعدلون عن الرشد كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أنى يصرفون أنى يكذبون ويعدلون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أنى يصرفون قال يصرفون عن الحق واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها أهل القدر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن داود بن أبى هند عن محمد بن سيرين قال ان لم تكن هذه الآية نزلت في القدرية فانى لا أدرى فيمن نزلت ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون الى قوله لم نكن ندعوا من قبل شيأ كذلك يضل الله الكافرين حدثنى على بن سهل قال ثنا زيد بن أبى الزرقاء عن سفيان عن داود بن أبى هند عن ابن سيرين قال ان لم يكن أهل القدر الذين يخوضون في آيات الله فلا علم لنا به حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى مالك بن أبى الخير الزيادى عن أبى قبيل قال أخبرنى عقبة بن عامر الجهنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيهلك من أمتى أهل الكتاب وأهل اللين فقال عقبة يا رسول الله وما أهل الكتاب قال قوم يتعلمون كتاب الله يجادلون الذين آمنوا فقال عقبة يا رسول الله وما أهل اللين قال قوم يتبعون الشهوات ويضيعون الصلوات قال أبو قبيل لا أحسب المكذبين بالقدر الا الذين يجادلون الذين آمنوا وأما أهل اللين فلا أحسبهم الا أهل العمود ليس عليهم امام جماعة ولا يعرفون شهر رمضان * وقال آخرون بل عنى به أهل الشرك ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون قال هؤلاء المشركون والصواب من القول في ذلك ما قاله ابن زيد وقد بين الله حقيقة ذلك بقوله الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ كذلك يضل الله الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون الذين كذبوا بكتاب الله وهو هذا القرآن والذين الثانية في موضع خفض ردا لها على الذين الاولى على وجه النعت وبما أرسلنا به رسلنا

ثم أشار بقوله (فاذا قضى) الخ الى نفاذ قدرته في الكائنات من غير افتقار في شيء ما الى آلة وعدة وأشار الى أن الاحياء والاماتة ليسا من الأشياء التدريجية ولكنهما من الأمور الدفعية المتوقفة على أمر كن فقط وذلك أن الحياة تحصل بتعلق النفس الناطقة بالبدن والموت يحدث من قطع ذلك التعلق وكل من الأمرين يحصل في آن واحد ويمكن أن يكون فيه اشارة الى خلق الانسان الاول وهو آدم كقوله خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ثم عاد الى ذم المجادلين وذكر وعيدهم قائلا ألم تر الآية والكتاب القرآن وما أرسل به الرسل سائر الكتب وقوله (فسوف يعلمون اذ الأغلال في أعناقهم) ليس كقول القائل سوف أصوم أمس بناء على أن سوف للاستقبال واذ للمضى لان اذ ههنا بمعنى اذا لأنه ورد على عادة أخبار الله نحو وسيق ونادى وقال المبرد اذ صارت زمانا قبل سوف لأن العلم وقع منهم بعد ثبوت الأغلال والمعنى علموا من الاغلال الذى كانوا أوعدوه بعد أن حق بالوجود ومعنى (يسجرون) قال جار الله هو من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومعناه أنهم في النار فهى محيطة بهم وهم مسجورون بها مملوءة أجوافهم منها والحاصل أنهم يعذبون مرة بالماء الشديد الحرارة ومرة بالنار وقال مقاتل في الحميم يعنى في حر النار (ثم قيل لهم) على سبيل التوبيخ (أينما كنتم) ما موصولة مبتدأ وأين خبرها ومعنى يقول (ضلوا) غابوا وضاعوا ولم يصل الينا ما كنا نرجوه من النفع والشفاعة وأكدوا هذا المعنى بقوله (بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ) يعتدبه

يقول وكذبوا أيضا مع تكذيبهم بكتاب الله بما أرسلنا به رسلنا من اخلاص العبادة لله والبراءة مما يعبد من دونه من الآلهة والأنداد والاقرار بالبعث بعد الممات للثواب والعقاب وقوله فسوف يعلمون اذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل وهذا تهديد من الله المشركين به يقول جل ثناؤه فسوف يعلم هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله المكذبون بالكتاب حقيقة ما تخبرهم به يا محمد وصحة ما هم به اليوم مكذبون من هذا الكتاب حين تجعل الأغلال والسلاسل في أعناقهم في جهنم وقرأت قراء الأمصار والسلاسل برفعها عطفا بها على الاغلال على المعنى الذي بينت وذكر عن ابن عباس أنه كان يقرؤه والسلاسل يسحبون بنصب السلاسل في الحميم وقد حكى أيضا عنه أنه كان يقول انما هو وهم في السلاسل يسحبون ولا يجيز أهل العلم بالعربية خفض الاسم والخافض مضمر وكان بعضهم يقول في ذلك لو أن متوهما قال انما المعنى اذ أعناقهم في الاغلال وفي السلاسل يسحبون جاز الخفض في السلاسل على هذا المذهب وقال مثله مما رد الى المعنى قول الشاعر

قد سالم الحيات منه القدما * الأفعوان والشجاع الأرقما

فنصب الشجاع والحيات قبل ذلك مرفوعة لان المعنى قد سالمت رجله الحيات وسالمتها فلما احتاج الى نصب القافية جعل الفعل من القدم واقعا على الحيات والصواب من القراءة عندنا في ذلك ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة عليه وهو رفع السلاسل عطفا بها على ما في قوله في أعناقهم من ذكر الاغلال وقوله يسحبون يقول يسحب هؤلاء الذين كذبوا في الدنيا بالكتاب زبانية العذاب يوم القيامة في الحميم وهو ما قد انتهى حره وبلغ غايته وقوله ثم في النار يسجرون يقول ثم في نار جهنم يحرقون يقول تسجر بهم جهنم أي توقد بهم * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله يسجرون قال يوقد بهم النار حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ثم في النار يسجرون قال يحرقون في النار حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم في النار يسجرون قال يسجرون في النار يوقد عليهم فيها وقوله ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله يقول ثم قيل أين الذين كنتم تشركون بعبادتكم اياها من دون الله من آلهتكم وأوثانكم حتى يغيثوكم فينقذوكم مما أنتم فيه من البلاء والعذاب فان المعبود يغيث من عبده وخدمه وانما يقال هذا لهم توبيخا وتقريعا على ما كان منهم في الدنيا من الكفر بالله وطاعة الشيطان فأجاب المساكين عند ذلك فقالوا ضلوا عنا يقول عدلوا عنا فأخذوا غير طريقنا وتركونا في هذا البلاء بل ما ضلوا عنا ولكنا لم نكن ندعو من قبل في الدنيا شيئا أي لم نكن نعبد شيئا يقول الله تعالى ذكره كذلك يضل الله الكافرين يقول كما أضل هؤلاء الذين ضل عنهم في جهنم ما كانوا يعبدون في الدنيا من دون الله من الآلهة والاوثان آلهتهم وأوثانهم كذلك يضل الله أهل الكفر به عنه وعن رحمته وعبادته فلا يرحمهم فينجيهم من النار ولا يغيثهم فيخفف عنهم ما هم فيه من البلاء ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) يعني تعالى ذكره

كما تقول حسبت أن فلانا شئ فاذا هو ليس بشئ أي ليس عنده خير ومن جوز الكذب على الكفار لم يحتج الى هذا التأويل وقال انهم أنكروا عبادة الاصنام ثم قال (كذلك يضل الله الكافرين) قالت الأشاعرة أي عن الحجة والايمان وقالت المعتزلة عن طريق الجنة بالخذلان وقال في الكشاف أي مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يجد أحدهما الآخر واعترض عليه بأنهم مقرونون بآلهتهم في النار لقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم والجواب أن كون الجميع في النار لا ينافي غيبة أحدهما عن الآخر وأجاب في الكشاف باختلاف الزمان وبتفسير الضلال بعدم النفع (ذلكم) العذاب بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح أي النشاط (بغير الحق) وهو الشرك وعبادة الصنم ويجوز أن يكون القول محذوفا أي يقال لهم ادخلوا أبواب جهنم السبعة المقسومة لكل طائفة مقدرين الخلود فيها (فبئس مثوى المتكبرين) يعني الذين مر ذكرهم في قوله ان في صدورهم الا كبر والمخصوص بالذم محذوف وهو مثواكم أو جهنم قال جار الله انما لم يقل فبئس مدخل المتكبرين حتى يكون مناسبا لقوله ادخلوا كقولك زر بيت الله فنعم المزار لان الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء وحين زيف طريقة المجادلين مرة بعد مرة أمر رسوله بالصبر على ايذائهم وايحاشهم الى انجاز الوعد بالنصرة قال (فاما نرينك بعض الذي نعدهم) من عذاب الدنيا فذاك (أو نتوفينك فالينا يرجعون) هذا التقدير ذكره جار الله وقد مر في يونس مثله وأقول لا بأس أن يعطف قوله أو نتوفينك على نرينك ويكون الرجوع الى الله جزاء لهما جميعا ومعناه انا نجازيهم على أعمالهم يوم القيامة سواء عذبوا في الدنيا أو لم يعذبوا ثم سلاه بحال الانبياء السابقة ليقتدى بهم في الصبر والتأسي فقال (ولقد أرسلنا) الآية

ذهب بعض المفسرين الى أن عدد الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وقيل ثمانية آلاف نصف ذلك من بنى اسرائيل والباقى من سائر الناس ولعل الأصح أن عددهم لا يعلمه (٥٦) الا الله لقوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله لكن الايمان بالجميع واجب عن على رضى الله عنه بعث الله نبيا أسود لم يقص علينا قصته ثم ان قريشا كانوا يقترحون آيات تعنتا كما مر فى أواخر سبحان وأول الفرقان وغيرهما فلا جرم قال الله تعالى (وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله فاذا جاء أمر الله) بعذاب الدنيا أو بالقيامة وقال ابن بحر أمر الله الآية التى اقترحوها وذلك أنه يقع الاضطرار عندها (وخسر هنالك) أى فى ذلك الوقت استعير المكان للزمان (المبطلون) وهم أهل الأديان الباطلة ثم عاد الى نوع آخر من دلائل التوحيد فقال (الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا) قال جار الله ظاهر النظم يقتضى ادخال لام الغرض فى القرائن الاربع أو خلو الكل عنها فيقال لتركبوا ولتأكلوا ولتصلوا الى منافع ولتبلغوا أو يقال منها تركبون ومنها تأكلون وتصلون وتبلغون الا أنه ورد على ما ورد لأن الركوب قد يجب كما فى الحج والغزو وكذلك السفر من بلد الى بلد لهجرة أو طلب علم لا أقل من الندب فصح أن يكونا غرضين وأما الأكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذى لا تتعلق به ارادته كثير تعلق شرعا وانما قال (وعلى الفلك) ولم يقل وفى الفلك مع صحته اذ هى كالوعاء ازدواجا لقوله وعليها والحمل محمول على الظاهر وقيل هو من قول العرب حملت فلانا على الفرس اذا وهب له فرسا ثم وبخهم بقوله (ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون) ثم حرضهم وزاد توبيخهم بقوله (أفلم يسيروا) الآية وقد سبق وقوله (فما أغنى عنهم) ما نافية أو استفهامية ومحلها النصب وقوله (ما كانوا) مصدرية أو موصولة

عبدا

بقوله ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق هذا الذى فعلنا بكم أيها القوم اليوم من تعذيبنا كم العذاب الذى أنتم فيه بفرحكم الذى كنتم تفرحونه فى الدنيا بغير ما أذن الله لكم به من الباطل والمعاصى وبمرحكم فيها والمرح هو الأشر والبطر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق الى فبئس مثوى المتكبرين قال الفرح والمرح الفخر والخيلاء والعمل فى الارض بالخطيئة وكان ذلك فى الشرك وهو مثل قوله لقارون اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وذلك فى الشرك حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون قال تبطرون وتأشرون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله تمرحون قال تبطرون وقوله ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها يقول تعالى ذكره لهم ادخلوا أبواب جهنم السبعة من كل باب منها جزء مقسوم منكم فبئس مثوى المتكبرين يقول فبئس منزل المتكبرين فى الدنيا على الله أن يوحدوه ويؤمنوا برسله اليوم جهنم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر يا محمد على ما يجادلك به هؤلاء المشركون فى آيات الله التى أنزلناها عليك وعلى تكذيبهم اياك فان الله منجز لك فيهم ما وعدك من الظفر عليهم والعلو عليهم واحلال العقاب بهم كسنتنا فى موسى بن عمران ومن كذبه فاما نرينك بعض الذى نعدهم يقول جل ثناؤه فاما نرينك يا محمد فى حياتك بعض الذى نعد هؤلاء المشركين من العذاب والنقمة أن يحل بهم أو نتوفينك قبل أن يحل ذلك بهم فالينا يرجعون يقول فالينا مصيرك ومصيرهم فنحكم عند ذلك بينك وبينهم بالحق بتخليدناهم فى النار واكرامناك بجوارنا فى جنات النعيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولقد أرسلنا يا محمد رسلا من قبلك الى أممها منهم من قصصنا عليك يقول من أولئك الذين أرسلنا الى أممهم من قصصنا عليك نبأهم ومنهم من لم نقصص عليك نبأهم وذكر عن أنس أنهم ثمانية آلاف ذكر الرواية بذلك حدثنا على بن شعيب السمسار قال ثنا معن بن عيسى قال ثنا ابراهيم بن المهاجر بن مسمار عن محمد ابن المنكدر عن يزيد بن أبان عن أنس بن مالك قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم بعد ثمانية آلاف من الانبياء منهم أربعة آلاف من بنى اسرائيل حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس عن عتبة بن عتيبة البصرى العبدى عن أبى سهل عن وهب بن عبد الله بن كعب بن سور الازدى عن سلمان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال بعث الله أربعة آلاف نبى حدثنى أحمد بن الحسين الترمذى قال ثنا آدم بن أبى اياس قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عبد الله بن يحيى عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قال بعث الله

عبدا حبشيا نبيا فهو الذى لم نقصص عليك وقوله وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله يقول تعالى ذكره وما جعلنا لرسول ممن أرسلناه من قبلك الذين قصصناهم عليك والذين لم نقصصهم عليك الى أممها أن يأتى قومه بآية فاصلة بينه و بينهم الا باذن الله له بذلك فيأتيهم بها يقول جل ثناؤه لنبيه فلذلك لم يجعل لك أن تأتى قومك بما يسألونك من الآيات دون اذننا لك بذلك كما لم نجعل لمن قبلك من رسلنا الا أن نأذن له به فاذا جاء أمر الله قضى بالحق يعني بالعدل وهو أن ينجى رسله والذين آمنوا معهم وخسر هنالك المبطلون يقول وهلك هنالك الذين أبطلوا فى قيلهم الكذب وافترائهم على الله وادّعائهم له شريكا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم آياته فأىّ آيات الله تنكرون ﴾ يقول تعالى ذكره الله الذى لا تصلح الألوهة الا له أيها المشركون به من قريش الذى جعل لكم الانعام من الابل والبقر والغنم والخيل وغير ذلك من البهائم التى يقتنيها أهل الاسلام لمركب أو لمطعم لتركبوا منها يعني الخيل والحمير ومنها تأكلون يعني الابل والبقر والغنم وقال لتركبوا منها ومعناه لتركبوا منها بعضا ومنها بعضا تأكلون فحذف استغناء بدلالة الكلام على ما حذف وقوله ولكم فيها منافع وذلك أن جعل لكم من جلودها بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين وقوله ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم يقول ولتبلغوا بالحمولة على بعضها وذلك الابل حاجة فى صدوركم لم تكونوا بالغيها لولا هى الا بشق أنفسكم كما قال جل ثناؤه وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم يعني الابل تحمل أثقالكم الى بلد **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم لحاجتكم ما كانت وقوله وعليها يعني وعلى هذه الابل وما جانسها من الانعام المركوبة وعلى الفلك يعني وعلى السفن تحملون يقول نحملكم على هذه فى البر وعلى هذه فى البحر ويريكم آياته يقول ويريكم حججه فأىّ آيات الله تنكرون يقول فأىّ حجج الله التى يريكم أيها الناس فى السماء والارض تنكرون صحتها فتكذبون من أجل فسادها بتوحيد الله وتدعون من دونه الها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ يقول تعالى ذكره أفلم يسر يا محمد هؤلاء المجادلون فى آيات الله من مشركى قومك فى البلاد فانهم أهل سفر الى الشأم واليمن رحلتهم فى الشتاء والصيف فينظروا فيما وطئوا من البلاد الى وقائعنا بمن أوقعنا به من الامم قبلهم ويروا ما أحللنا بهم من بأسنا بتكذيبهم رسلنا وجحودهم آياتنا كيف كان عقبى تكذيبهم كانوا أكثر منهم يقول كان أولئك الذين من قبل هؤلاء المكذبيك من قريش أكثر عددا من هؤلاء وأشد بطشا وأقوى قوة وأبقى فى الارض آثارا لانهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا ويتخذون مصانع وكان مجاهد يقول فى ذلك ما **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآثارا فى الارض المشى بأرجلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون يقول فلما جاءهم بأسنا وسطوتنا لم يغن عنهم ما كانوا يعملون من البيوت فى الجبال ولم يدفع عنهم ذلك شيأ ولكنهم بادوا جميعا فهلكوا وقد قيل ان معنى قوله فما أغنى عنهم فأىّ شئ أغنى عنهم وعلى هذا التأويل يجب أن يكون ما الاولى فى موضع نصب والثانية فى موضع رفع

أى كسبهم أو الذى كسبوا قوله (فرحوا) لا يخلو اما أن يكون الضمير عائدا الى الكفار أو الى الرسل وعلى الاول فيه وجوه منها أنه تهكم بعلمهم الذى يزعمون كقولهم وما أظن الساعة قائمة أئذا كنا ترابا وعظاما أئنا لفى خلق جديد ومنها أنه أراد بذلك شبهات الدهرية وبعض الفلاسفة كقولهم وما يهلكنا الا الدهر وكانوا اذا سمعوا بوحى الله دفعوه وحقروا علم الأنبياء بالنسبة الى علمهم كما يحكى عن سقراط أنه سمع بموسى عليه السلام فقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا ويروى أن جالينوس قال لعيسى عليه السلام بعثت لغيرنا ومنها أن يراد علمهم بظاهر المعاش كقوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرحوا به وأعرضوا عن علم الديانات وعلى الثانى يكون معناه أن الرسل لما رأوا جهل قومهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ووجه آخر وهو أن يكون ضمير فرحوا للكفار وضمير عندهم للرسل أى فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك واستهزاء ثم بين أن ايمان البأس وهو حالة عيان العذاب أو أمارات نزول سلطان الموت غير نافع وقد مر مرارا ومعنى (فلم يك ينفعهم) لم يصح ولم يستقم لأن الالجاء ينافى التكليف وترادف الفاآت فى قوله فما أغنى فلما جاءتهم فلما رأوا فلم يك لترتيب الأخبار ولتعاقب المعانى من غير تراخ وقال جار الله

يقول فلهؤلاء المجادليك من قومك يا محمد في أولئك معتبر ان اعتبروا ومتعظ ان اتعظوا وان بأسنا اذا حل بالقوم المجرمين لم يدفعه دافع ولم يمنعه مانع وهو بهم ان لم ينيبوا الى تصديقك واقع ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاءت هؤلاء الامم الذين من قبل قريش المكذبة رسلها رسلهم الذين أرسلهم الله اليهم بالبينات يعني بالواضحات من حجج الله عز وجل فرحوا بما عندهم من العلم يقول فرحوا جهلا منهم بما عندهم من العلم وقالوا لن نبعث ولن يعذبنا الله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله فرحوا بما عندهم من العلم قال قولهم نحن أعلم منهم لن نعذب ولن نبعث حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي فرحوا بما عندهم من العلم بجهالتهم وقوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن يقول وحاق بهم من عذاب الله ما كانوا يستعجلون رسلهم به استهزاء به وسخرية * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ما جاءتهم به رسلهم من الحق ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ﴾ يقول تعالى ذكره فلما رأت هذه الامم المكذبة رسلها بأسنا يعني عقاب الله الذي وعدتهم به رسلهم قد حل بهم كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي فلما رأوا بأسنا قال النقمات التي نزلت بهم وقوله قالوا آمنا بالله وحده يقول قالوا أقررنا بتوحيد الله وصدقنا أنه لا اله غيره وكفرنا بما كنا به مشركين يقول وجحدنا الآلهة التي كنا قبل وقتنا هذا نشركها في عبادتنا الله ونعبدها معه ونتخذها آلهة فبرئنا منها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ﴾ يقول تعالى ذكره فلم يك ينفعهم تصديقهم في الدنيا بتوحيد الله عند معاينة عقابه قد نزل وعذابه قد حل لانهم صدقوا حين لا ينفع التصديق مصدقا اذ كان قد مضى حكم الله في السابق من علمه أن من تاب بعد نزول العذاب من الله على تكذيبه لم تنفعه توبته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا لما رأوا عذاب الله في الدنيا لم ينفعهم الايمان عند ذلك وقوله سنة الله التي قد خلت في عباده يقول ترك الله تبارك وتعالى اقالتهم وقبول التوبة منهم ومراجعتهم الايمان بالله وتصديق رسلهم بعد معاينتهم بأسه قد نزل بهم سنته التي قد مضت في خلقه فلذلك لم يقلهم ولم يقبل توبتهم في تلك الحال كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سنة الله التي قد خلت في عباده يقول كذلك كانت سنة الله في الذين خلوا من قبل اذا عاينوا عذاب الله لم ينفعهم ايمانهم عند ذلك وقوله وخسر هنالك الكافرون يقول وهلك عند مجيء بأس الله فغبنت صفقته ووضع في بيعه الآخرة بالدنيا والمغفرة بالعذاب والايمان بالكفر الكافرون بربهم الجاحدون توحيد خالقهم المتخذون من دونه آلهة يعبدونهم من دون بارئهم

آخر تفسير سورة حم المؤمن

فما أغنى نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وقوله فلما جاءتهم جار مجرى البيان والتفسير لقوله فما أغنى وقوله فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك تابع لايمانهم بعد البأس قال اهل البرهان وانما قال ههنا (وخسر هنالك الكافرون) وفيما قبل المبطلون لانه قال هنالك قضي بالحق ونقيض الحق الباطل وههنا ذكر أن ايمان البأس غير مجد ونقيضه الكفر والله أعلم

* (سورة السجدة وهي مكية حروفها ثلاثة آلاف وثلثمائة وخمسون كلمها سبعمائة وأربع وتسعون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء

﴿ تفسير سورة حم السجدة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾ قال أبو جعفر قد تقدم القول منا فيما مضى قبل فى معنى حم والقول فى هذا الموضع كالقول فى ذلك وقوله تنزيل من الرحمن الرحيم يقول تعالى ذكره هذا القرآن تنزيل من عند الرحمن الرحيم نزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كتاب فصلت آياته يقول كتاب بينت آياته كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله فصلت آياته قال بينت آياته وقوله قرآنا عربيا يقول تعالى ذكره فصلت آياته هكذا وقد اختلف أهل العربية فى وجه نصب القرآن فقال بعض نحويى البصرة قوله كتاب فصلت الكتاب خبر المبتدا أخبر أن التنزيل كتاب ثم قال فصلت آياته قرآنا عربيا شغل الفعل بالآيات حتى صارت بمنزلة الفاعل فنصب القرآن وقال بشيرا ونذيرا على أنه صفة وان شئت جعلت نصبه على المدح كأنه حين ذكره أقبل فى مدحته فقال ذكرنا قرآنا عربيا بشيرا ونذيرا وذكرناه قرآنا عربيا وكان فيما مضى من ذكره دليل على ما أضمر وقال بعض نحويى الكوفة نصب قرآنا على الفعل أى فصلت آياته كذلك قال وقد يكون النصب فيه على القطع لان الكلام تام عند قوله آياته قال ولو كان رفعا على أنه من نعت الكتاب كان صوابا كما قال فى موضع آخر كتاب أنزلناه اليك مبارك وقال وكذلك قوله بشيرا ونذيرا فيه ما فى قرآنا عربيا وقوله لقوم يعلمون يقول فصلت آيات هذا الكتاب قرآنا عربيا لقوم يعلمون اللسان العربى بشيرا لهم يبشرهم ان هم آمنوا به وعملوا بما أنزل فيه من حدود الله وفرائضه بالجنة ونذيرا يقول ومنذرا من كذب به ولم يعمل بما فيه بأمر الله فى عاجل الدنيا وخلود الأبد فى نار جهنم فى آجل الآخرة وقوله فأعرض أكثرهم يقول تعالى ذكره فاستكبر عن الاصغاء له وتدبر ما فيه من حجج الله وأعرض عنه أكثر هؤلاء القوم الذين أنزل هذا القرآن بشيرا لهم ونذيرا وهم قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم لا يسمعون يقول فهم لا يصغون له فيسمعوه اعراضا عنه واستكبارا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون المعرضون عن آيات الله من مشركى قريش اذ دعاهم محمد نبى الله الى الاقرار بتوحيد الله وتصديق ما فى هذا القرآن من أمر الله ونهيه وسائر ما أنزل فيه قلوبنا فى أكنة يقول فى أغطية مما تدعونا يا محمد اليه من توحيد الله وتصديقك فيما جئتنا به لا نفقه ما تقول وفى آذاننا وقر وهو الثقل لا نسمع ما تدعونا اليه استثقالا لما يدعوا اليه وكراهة له وقد مضى البيان قبل عن معانى هذه الأحرف بشواهده وذكر ما قال أهل التأويل فيه فكرهنا اعادة ذلك فى هذا الموضع وقد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله قلوبنا فى أكنة قال عليها أغطية كالجعبة للنبل حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله وقالوا قلوبنا فى أكنة قال عليها أغطية وفى آذاننا وقر قال صمم وقوله ومن بيننا وبينك حجاب يقولون ومن بيننا وبينك يا محمد ساتر لا نجتمع من أجله نحن وأنت فيرى بعضنا بعضا وذلك الحجاب هو اختلافهم فى الدين لان دينهم كان عبادة الاوثان ودين محمد صلى الله عليه وسلم عبادة الله وحده لا شريك له فذلك هو

وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون فأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين﴾ ۞ القراآت سواء بالرفع يزيد وقرأ يعقوب بالجر الباقون بالنصب نحسات بسكون الحاء

الحجاب الذي زعموا أنه بينهم و بين نبي الله وذلك هو خلاف بعضهم بعضا في الدين وقوله فاعمل
اننا عاملون يقول قالوا له صلى الله عليه وسلم فاعمل يا محمد بدينك وما تقول انه الحق اننا عاملون
بديننا وما نقول انه الحق ودع دعاءنا الى ما تدعونا اليه من دينك فانا ندع دعاءك الى ديننا وأدخلت
من في قوله ومن بيننا و بينك حجاب والمعنى و بيننا و بينك حجاب توكيدا للكلام ﴿ القول
في تأويل قوله تعالى ﴿ قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه
واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ يقول تعالى ذكره قل
يا محمد لهؤلاء المعرضين عن آيات الله من قومك أيها القوم ما أنا الا بشر من بني آدم مثلكم في الجنس
والصورة والهيئة لست بملك يوحى الي يقول يوحي الله الي أن لا معبود لكم تصلح عبادته الا
معبود واحد فاستقيموا اليه يقول فاستقيموا اليه بالطاعة ووجهوا اليه وجوهكم بالرغبة والعبادة
دون الآلهة والأوثان واستغفروه يقول وسلوه العفو لكم عن ذنوبكم التي سلفت منكم بالتوبة من
شرككم يتب عليكم و يغفر لكم وقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم
كافرون يقول تعالى ذكره وصديد أهل النار وما يسيل منهم للمدعين لله شريكا العابدين الاوثان
دونه الذين لا يؤتون الزكاة اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم معناه الذين لا يعطون الله
الطاعة التي تطهرهم وتزكي أبدانهم ولا يوحدونه وذلك قول يذكر عن ابن عباس ذكر الرواية
بذلك **حدثني** علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله
وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة قال هم الذين لا يشهدون أن لا اله الا الله **حدثني** سعد
ابن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا حفص قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قوله وويل
للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة الذين لا يقولون لا اله الا الله * وقال آخرون بل معنى ذلك الذين
لا يقرون بزكاة أموالهم التي فرضها الله فيها ولا يعطونها أهلها وقد ذكرنا أيضا قائلي ذلك قبل وقد
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة
قال لا يقرون بها ولا يؤمنون بها وكان يقال ان الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف
عنها هلك وقد كان أهل الردة بعد نبي الله قالوا أما الصلاة فنصلي وأما الزكاة فوالله لا تغصب
أموالنا قال فقال أبو بكر والله لا أفرق بين شيء جمع الله بينه والله لو منعوني عقالا مما فرض الله
ورسوله لقاتلناهم عليه **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وويل
للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة قال لو زكوا وهم مشركون لم ينفعهم * والصواب من القول
في ذلك ما قاله الذين قالوا معناه لا يؤدون زكاة أموالهم وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى
الزكاة وأن في قوله وهم بالآخرة هم كافرون دليلا على أن ذلك كذلك لأن الكفار الذين عنوا
بهذه الآية كانوا لا يشهدون أن لا اله الا الله فلو كان قوله الذين لا يؤتون الزكاة مرادا به الذين
لا يشهدون أن لا اله الا الله لم يكن لقوله وهم بالآخرة هم كافرون معنى لانه معلوم أن من لا يشهد أن
لا اله الا الله لا يؤمن بالآخرة وفي اتباع الله قوله وهم بالآخرة هم كافرون قوله الذين لا يؤتون الزكاة
ما ينبئ عن أن الزكاة في هذا الموضع معني بها زكاة الاموال وقوله وهم بالآخرة هم كافرون يقول
وهم بقيام الساعة و بعث الله خلقه أحياء من قبورهم من بعد بلائهم وفنائهم منكرون ﴿ القول
في تأويل قوله تعالى ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون قل أئنكم لتكفرون بالذي
خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين صدقوا
الله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله به ورسوله وانتهوا عما نهاهم عنه وذلك هو الصالحات من

ابن كثير وابو عمرو ونافع وسهل
و يعقوب وأما ثمود بالنصب
المفضل نحشر بالنون أعداء
بالنصب نافع و يعقوب الآخرون
بالياء مجهولا أعداء مرفوعا
﴿ الوقوف حم كوفي الرحيم ه ج
لأن قوله كتاب يصلح أن يكون
بدلا من تنزيل وأن يكون خبر مبتدإ
محذوف أي هو كتاب و يجوز أن
يكون تنزيل هو مع وصفه مبتدأ
وكتاب خبره يعلمون ه ج لأن بشيرا
صفة أخرى لقرآنا ونذيرا ه ج
لاختلاف الجملتين لا يسمعون ه
عاملون ه واستغفروه ج للمشركين
ه لا كافرون ه ممنون ه وأندادا
ط العالمين ه لا للآية مع العطف
أيام ط لمن نصب سواء أو رفع
ومن خفض لم يقف للسائلين ه
كرها ط طائعين ه أمرها ج
للعدول بمصابيح ج لحق المحذوف
أي وحفظناها حفظا ولعل الوصل
أولى لمجيء وحفظا ه العليم ه
وثمود ه بناء على أن اذ يتعلق
بمحذوف هو اذكر أو بمعنى الفعل
في الصاعقة أي يصعقون اذ ذاك
ولا يجوز أن يتعلق بأنذرتكم الا الله ط
كافرون ه منا قوة ط منهم قوة ط
للفصل بين الاخبار والاستخبار
يجحدون ه الدنيا ج لا ينصرون
ه يكسبون ه يتقون ه يوزعون
ه يعملون ه علينا ط ترجعون
ه تعملون ه الخاسرين ه مثوى
لهم ط المعتبين ه ﴿ التفسير حم
قال بعضهم الحاء من الحكمة والميم
من المنة أي من على عباده بتنزيل
الحكمة من الرحمن في الأزل الرحيم
في الأبد وهي (كتاب فصلت آياته)
أي ميزت أمثالا ومواعظ
وأحكاما وقصصا الى غير ذلك

الاعمال لهم أجر غير ممنون يقول لمن فعل ذلك أجر غير منقوص عما وعدهم أن يأجرهم عليه وقد اختلف فى تأويل ذلك اهل التأويل وقد بيناه فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لهم أجر غير ممنون قال بعضهم غير منقوص وقال بعضهم غير ممنون عليهم حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أجر غير ممنون يقول غير منقوص حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لهم أجر غير ممنون قال محسوب وقوله أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وذلك يوم الأحد ويوم الاثنين وبذلك جاءت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالته العلماء وقد ذكرنا كثيرا من ذلك فيما مضى قبل ونذكر بعض ما لم نذكره قبل ان شاء الله ذكر بعض ما لم نذكره فيما مضى من الاخبار بذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبى سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال هناد قرأت سائر الحديث على أبى بكر ان اليهود أتت النبى صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والارض قال خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة ثم قال ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين لمن سأل قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقيت منه فخلق فى أول ساعة من هذه الثلاثة الآجال حين يموت من مات وفى الثانية ألقى الآفة على كل شئ مما ينتفع به الناس وفى الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له وأخرجه منها فى آخر ساعة قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد أصبت لو أتممت قالوا ثم استراح فغضب النبى صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون حدثنا تميم بن المنتصر قال أخبرنا اسحق عن شريك عن غالب بن غلاب عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال ان الله خلق يوما واحدا فسماه الاحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس قال فخلق الارض فى يومين الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء فلذلك قول الناس هو يوم ثقيل وخلق مواضع الانهار والاشجار يوم الاربعاء وخلق الطير والوحوش والهوام والسباع يوم الخميس وخلق الانسان يوم الجمعة ففرغ من خلق كل شئ يوم الجمعة حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى خلق الارض فى يومين فى الأحد والاثنين وقد قيل غير ذلك وذلك ما حدثنى القاسم بن بشر بن معروف والحسين بن على قالا ثنا حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى اسمعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبى هريرة قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر خلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل وقوله وتجعلون له أندادا يقول وتجعلون لمن خلق ذلك كذلك أندادا وهم الأكفاء من الرجال تطيعونهم فى معاصى الله وقد بينا معنى الند بشواهده فيما مضى قبل وقوله ذلك رب العالمين يقول الذى فعل هذا الفعل وخلق

وقد مر فى أول هود وانتصب قرآنا على المدح والاختصاص أو على الحال الموطئة (لقوم يعلمون) أى لقوم عرب يفهمون معانيه يعنى بالاصالة وللباقين بعدهم وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم منهم فالدعوة تحصل أولا لهم والأظهر عندى انه كقوله هدى للمتقين وذلك أنه لا ينتفع بالقرآن الا أهل العلم به قال أهل السنة الصفات المذكورة ههنا للقرآن توجب شدة الاهتمام بمعرفته والوقوف على معانيه بيانه أن كونه نازلا من الرحمن الرحيم دليل على أن تنزيله رحمة للعالمين وفيه شفاء لأمراض القلوب وكونه كتابا والتركيب يدور على الجمع كما سبق فى أول الكتاب يدل على أن فيه علوم الاولين والآخرين وقوله فصلت آياته دليل على أنه فى غاية الكشف والبيان وكونه قرآنا عربيا ولغة العرب أفصح اللغات مما يوجب أن تتوفر عليه الرغبات ولاسيما للعرب ومن داناهم وكونه بشيرا ونذيرا يدل على أن الاحتياج اليه من أهم المهمات لأنه سعى فى معرفة ما يوصل الى الثواب الابدى ويخلص من العقاب السرمدى فاذا علم المخاطبون هذه الفوائد ثم أعرض أكثرهم عن القرآن ولم يسمعوه سماع قبول دل ذلك على أن المهدى من هداه الله ومن يضلله فلا هادى له ثم أكد بيان اعراضهم بقوله (وقالوا قلوبنا فى أكنة) ولا يخفى أنه سبحانه ذكر هذا فى معرض الذم فوجه الجمع بينه وبين قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا هو أن الذم انما يتوجه على اعتقادهم أنهم اذا كانوا كذلك لم يجز تكليفهم

الارض فى يومين مالك جميع الجن والانس وسائر أجناس الخلق وكل مادونه مملوك له فكيف
يجوز أن يكون له ند وهل يكون المملوك العاجز الذى لايقدر على شئ ندا لمالكه القادر عليه

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها
فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا
اوكرها قالتا أتينا طائعين ﴾ يقول تعالى ذكره وجعل فى الارض التى خلق فى يومين جبالا رواسى
وهى الثوابت فى الارض من فوقها يعنى من فوق الأرض على ظهرها وقوله وبارك فيها يقول
وبارك فى الارض فجعلها دائمة الخير لأهلها وقد ذكر عن السدى فى ذلك ما حدثنا موسى
قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وبارك فيها قال أنبت شجرها وقدر فيها أقواتها
اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم وقدر فيها أقوات أهلها بمعنى أرزاقهم ومعايشهم
ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن وقدر فيها
أقواتها قال أرزاقها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله وقدر
فيها أقواتها قال قدر فيها أرزاق العباد ذلك الأقوات حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا
أسباط عن السدى وقدر فيها أقواتها يقول أقواتها لأهلها * وقال آخرون بل معناه وقدر فيها
مايصلحها ذكر من قال ذلك حدثنى على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم عن خليد بن
دعلج عن قتادة قوله وقدر فيها أقواتها قال صلاحها * وقال آخرون بل معنى ذلك وقدر فيها
جبالها وأنهارها وأشجارها ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة وقدر فيها أقواتها خلق فيها جبالها وأنهارها وبحارها وشجرها وساكنها من الدواب
كلها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وقدر فيها أقواتها قال
جبالها ودوابها وأنهارها وبحارها * وقال آخرون بل معنى ذلك وقدر فيها أقواتها من المطر
ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى
الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وقدر
فيها أقواتها قال من المطر * وقال آخرون بل معنى ذلك وقدر فى كل بلدة منها مالم يجعله فى الآخر
منها لمعاش بعضهم من بعض بالتجارة من بلدة الى بلدة ذكر من قال ذلك حدثنى الحسين
ابن محمد الذارع قال ثنا أبو محصن قال ثنا حصين عن عكرمة فى قوله وقدر فيها أقواتها
قال اليمانى باليمن والسابرى بسابور حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا أبو محصن عن
حصين قال قال عكرمة وقدر فيها أقواتها اليمانية باليمن والسابرية بسابور وأشباه هذا حدثنا
أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت حصينا عن عكرمة فى قوله وقدر فيها اقواتها قال
فى كل أرض قوت لا يصلح فى غيرها اليمانى باليمن والسابرى بسابور حدثنى يعقوب بن ابراهيم
قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عكرمة فى قوله وقدر فيها أقواتها قال البلد يكون فيه القوت
أو الشئ لا يكون لغيره ألا ترى أن السابرى انما يكون بسابور وأن العصب انما يكون باليمن
ونحو ذلك حدثنى اسمعيل بن سيف قال ثنا ابن عبد الواحد بن زياد عن خصيف عن
مجاهد فى قوله وقدر فيها أقواتها قال السابرى بسابور والطيالسة من الرى حدثنى اسمعيل قال
ثنا أبو النضر صاحب البصرى قال ثنا أبو عوانة عن مطرف عن الضحاك فى قوله وقدر
فيها أقواتها قال السابرى من سابور والطيالسة من الرى والحبر من اليمن * والصواب من القول
فى ذلك أن يقال ان الله تعالى أخبر أنه قدر فى الارض أقوات أهلها وذلك مايقوتهم من الغذاء

ويصلحهم

ولاخطابهم بالامر والنهى اوانهم
قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء
قال جار الله فائدة من فى قوله (ومن
بيننا وبينك حجاب) دون أن يقول
وبيننا هو أن العبارة الثانية تدل
على مطلق الحجاب ولكن العبارة
الواردة فى القرآن تفيد أن المسافة
التى بينهم وبين رسول الله مملوءة
من الحجاب لافراغ فيها كأنه قيل
انا الحجاب ابتدأ منا ومنك ثم حكى
عنهم ماقالوا على سبيل التهديد أو
التحلية (فاعمل) أى على دينك او
فى ابطال ديننا (اننا عاملون) على ديننا
أو فى ابطال أمرك ثم أمر رسوله
صلى الله عليه وسلم أن يجيب عن
شبههم بقوله (انما أنا بشر مثلكم)
وتوجيه النظم انى لا أقدر أن
أحملكم على الايمان جبرا فانى بشر
مثلكم ولا امتياز الا انى أوحى الى
التوحيد والأمر به فعلى البلاغ
وحده ثم ان قبلتم قولى أثابكم الله
والا عاقبكم قال فى الكشاف أراد
انى نبوتى صحت بالوحى واذا صحت
وجب اتباعى ومن جملة ذلك القول
بالتوحيد ثم بين أن خلاصة
الوحى ترجع الى أمرين الاستقامة
والاقامة على التوحيد المتوجهين
الى الله والاستغفار من تقصير قد
يقع فى الطاعة ثم هدد أهل الشرك
بقوله (وويل للمشركين) وقرن منع
الزكاة بالكفر بالله أولا وبالآخرة
ثانيا لأن المال شقيق الروح وبه
وببذله فى سبيل الله يعرف الموافق
من المنافق ففيه بعث شديد لأهل
الايمان على أداء الزكاة وفيه أن
الشفقة على خلق الله قرينة التعظيم
لأمر الله وقيل كانت قريش
يطعمون الحاج ولا يطعمون
المؤمنين فنزلت قاله الفراء وقيل

و يصلحهم من المعاش ولم يخصص جل ثناؤه بقوله وقدر فيها أقواتها أنه قدر فيها قوتا دون قوت بل عم الخبر عن تقديره فيها جميع الاقوات ومما يقوت أهلها مالا يصلحهم غيره من الغذاء وذلك لا يكون الا بالمطر والتصرف فى البلاد لما خص به بعضا دون بعض ومما أخرج من الجبال من الجواهر ومن البحر من المآكل والحلى ولا قول فى ذلك أصح مما قال جل ثناؤه وقدر فى الارض أقوات أهلها لما وصفنا من العلة وقال جل ثناؤه فى أربعة أيام لما ذكرنا قبل من الخبر الذى رويناه عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فرغ من خلق الارض وجميع أسبابها ومنافعها من الاشجار والماء والمدائن والعمران والخراب فى أربعة أيام أولهن يوم الاحد وآخرهن يوم الاربعاء حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال خلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغى لها فى يومين فى الثلاثاء والاربعاء وقال بعض نحويى البصرة قال خلق الارض فى يومين ثم قال فى أربعة أيام لانه يعنى أن هذا مع الاول أربعة أيام كما تقول تزوجت أمس امرأة واليوم ثنتين واحداهما التى تزوجتها أمس وقوله سواء للسائلين اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم تأويله سواء لمن سأل عن مبلغ الأجل الذى خلق الله فيه الأرض وجعل فيها الرواسى من فوقها والبركة وقدر فيها الأقوت بأهلها وجده كما أخبر الله أربعة أيام لا يزدن على ذلك ولا ينقصن منه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سواء للسائلين من سأل عن ذلك وجده كما قال الله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة سواء للسائلين قال من سأل فهو كما قال الله حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فى أربعة أيام سواء للسائلين يقول من سأل فهكذا الامر * وقال آخرون بل معنى ذلك سواء لمن سأل ربه شيئا مما به الحاجة اليه من الرزق فان الله قد قدر له من الاقوات فى الارض على قدر مسألة كل سائل منهم لو سأله لما نفذ من علمه فيهم قبل أن يخلقهم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سواء للسائلين قال قدر ذلك على قدر مسائلهم يعلم ذلك أنه لا يكون من مسائلهم شئ الا شئ قد علمه قبل أن يكون واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار غير أبى جعفر والحسن البصرى سواء بالنصب وقرأه أبو جعفر القارئ سواء بالرفع وقرأ الحسن سواء بالجر والصواب من القراءة فى ذلك ما عليه قراء الامصار وذلك قراءته بالنصب لاجماع الحجة من القراء عليه ولصحة معناه وذلك أن معنى الكلام وقدر فيها أقواتها سواء لسائليها على ما بهم اليه الحاجة وعلى ما يصلحهم وقد ذكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك وقسم فيها أقواتها وقد اختلف أهل العربية فى وجه نصب سواء فقال بعض نحويى البصرة من نصبه جعله مصدرا كأنه قال استواء قال وقد قرئ بالجر وجعل اسما للمستويات أى فى أربعة أيام تامة وقال بعض نحويى الكوفة من خفض سواء جعلها من نعت الايام وان شئت من نعت الاربعة ومن نصبها جعلها متصلة بالاقوات قال وقد ترفع كأنه ابتداء كأنه قال ذلك سواء للسائلين يقول لمن أراد علمه * والصواب من القول فى ذلك أن يكون نصبه اذا نصب حالا من الاقوات اذ كانت سواء قد شبهت بالاسماء النكرة فقيل مررت بقوم سواء فصارت تتبع النكرات واذا تبعت النكرات انقطعت من المعارف فنصبت فقيل مررت باخوتك سواء وقد يجوز أن يكون اذا لم يدخلها تثنية ولا جمع أن تشبه بالمصادر وأما اذا رفعت فانما ترفع ابتداء بضمير ذلك ونحوه واذا جرت فعلى الاتباع للايام أو للاربعة وقوله ثم استوى الى السماء وهى

أراد بالزكاة ههنا الايمان لانه يزكى النفس من درن الشرك ثم ذكر جزاء المطيعين وهو ظاهر والممنون المقطوع وقيل هو من المنة قال جمع من المفسرين نزلت فى المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون لما حكى بعض قبائح المشركين وسائر الكفرة أراد أن يورد دليلا على التوحيد فأمر رسوله أن يوبخهم بقوله (أئنكم لتكفرون بالذى) سمعتم ممن تصدقونهم من أهل الكتاب غيركم أنه (خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا) عمم الكفر أولا ثم خصص بنوع الشرك (وجعل فيها رواسى) ومعنى (من فوقها) أى بالنسبة الى سكان المعمور تذكيرا لنعمة فوق نعمة فان الجبال منافعها أكثر من أن تحصى يعرف بعضها أهلها ولعلنا قد عددنا فى أول البقرة طرفا منها (وبارك فيها) بوضع الخيرات الكثيرة فيها قال ابن عباس يريد شق الأنهار وخلق الجبال والاشجار والحيوانات وكل ما يحتاج اليه (وقدر فيها أقواتها) عن مجاهد يعنى المطر فانه بمنزلة الغذاء للارض به حياتها وعن محمد ابن كعب أراد أقوات أهلها ومعايشهم وما يصلحهم وقيل لا حاجة الى الاضمار فان الاضافة تحسن لأدنى ملابسة أى وقدر فيها أقواتها التى يختص حدوثها بها (فى أربعة أيام) يعنى مع اليومين الاولين فيكون ايجاد نفس الارض فى يومين وايجاد هذه الأشياء فى يومين آخرين والمجموع أربعة أيام وخلق السماء فى تمة ستة فتكون هذه الآية موافقة لسائر الآيات وقد سبق هذا المعنى فى أول سورة البقرة

دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين يعني تعالى ذكره ثم استوى الى
السماء ثم ارتفع الى السماء وقد بينا أقوال أهل العلم في ذلك فيما مضى قبل وقوله فقال لها وللارض
ائتيا طوعا أو كرها يقول جل ثناؤه فقال الله للسماء والارض جيئا بما خلقت فيكما أما أنت يا سماء
فأطلعي ما خلقت فيك من الشمس والقمر والنجوم وأما أنت يا أرض فأخرجي ما خلقت فيك
من الأشجار والثمار والنبات وتشقق عن الانهار قالتا أتينا طائعين جئنا بما أحدثت فينا من
خلقك مستجيبين لأمرك لا نعصي أمرك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر
من قال ذلك حدثنا أبو هشام قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن
سليمن بن موسى عن مجاهد عن ابن عباس فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا
طائعين قال قال الله للسموات أطلعي شمسي وقمري وأطلعي نجومي وقال للارض شققي أنهارك
وأخرجي ثمارك فقالتا أعطينا طائعين حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن
ابن جريج عن سليمن الاحول عن طاوس عن ابن عباس في قوله ائتيا أعطيا وفي قوله قالتا
أتينا قالتا أعطينا وقيل قالتا أتينا طائعين ولم يقل طائعتين والسماء والارض مؤنثتان لان النون
والالف اللتين هما كناية أسمائهما في قوله أتينا نظيرة كناية أسماء المخبرين من الرجال عن أنفسهم
فأجرى قوله طائعين على ما جرى به الخبر عن الرجال كذلك وقد كان بعض أهل العربية يقول
ذهب به الى السموات والارض ومن فيهن * وقال آخرون منهم قيل ذلك كذلك لأنهما
لما تكلمتا أشبهتا الذكور من بني آدم ✿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فقضاهن سبع سموات
في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾
يقول تعالى ذكره ففرغ من خلقهن سبع سموات في يومين وذلك يوم الخميس ويوم الجمعة
كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال استوى الى السماء
وهي دخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات في يومين
في الخميس والجمعة وانما سمي يوم الجمعة لانه جمع فيه خلق السموات والارض وقوله وأوحى
في كل سماء أمرها يقول وألقى في كل سماء من السموات السبع ما أراد من الخلق * وبنحو
الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا
أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا
عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وأوحى في كل سماء أمرها قال ما أمر الله به وأراده حدثنا
موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي وأوحى في كل سماء أمرها قال خلق
في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد ومالا يعلم حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأوحى في كل سماء أمرها خلق فيها شمسها
وقمرها ونجومها وصلاحها وقوله وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا يقول تعالى ذكره وزينا
السماء الدنيا اليكم أيها الناس بالكواكب وهي المصابيح كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو
قال ثنا أسباط عن السدي زينا السماء الدنيا بمصابيح قال ثم زين السماء بالكواكب فجعلها زينة
وحفظا من الشياطين واختلف أهل العربية في وجه نصبه قوله وحفظا فقال بعض نحويي
البصرة نصب بمعنى وحفظناها حفظا كأنه قال ونحفظها حفظا لأنه حين قال زيناها بمصابيح
قد أخبر أنه قد نظر في أمرها وتعهدها فهذا يدل على الحفظ كأنه قال وحفظناها حفظا وكان
بعض نحويي الكوفة يقول نصب ذلك على معنى وحفظا زيناها لأن الواو لو سقطت لكان

من قرأ سواء بالرفع فعلى انه خبر
مبتدا محذوف أي هي سواء ثم ان
كان الضمير للاربعة فمعناه أن تلك
الايام مستوية في الطول والقصر
كأيام خط الاستواء أو هي تامة
غير ناقصة بشيء فقد يطلق لفظ
الكل على الأكثر وهذه احدى
فوائد العدول عن العبارة الصريحة
وهي أن لو قال في يومين آخرين
وقال بعضهم من فوائده أنه لا يجوز
عطف قوله وجعل على خلق لان
قوله وتجعلون معطوف على
لتكفرون ولا يجوز أن يحال بين
صلة الموصول وما يعطف عليه
بأجنبي لا يقال جاءني الذي يكتب
وجالس ويقرأ فلابد من اضمار فعل
مثل الاول فتقدير الكلام ذلك أن
رب العالمين خالق الارض وجعل
فيها رواسي من فوقها وبارك فيها
وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام وهو
كلام لا يرد عليه سؤال أصلا ومن
قرأ بالجر فعلى وصف الاربعة
بالاستواء والمعنى كما مر ومن قرأ
بالنصب فعلى المصدر أي
استوت استواء ثم ان كان الضمير
للاربعة فالمعنى كما قلنا وان كان
للاقوات وكذا في قراءة الرفع احتمل
أن يكون للسائلين متعلقا به أي
الاقوات والارزاق سواء لمن سأل
ولمن لم يسأل لما روي عن ابن عباس
قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
وأنا رديفه يقول خلق الله الأرواح
قبل الاجساد بأربعة آلاف سنة
وخلق الارزاق قبل الارواح
بأربعة آلاف سنة سواء لمن سأل
ولمن لم يسأل وأنا من الذين لم يسألوا
الله الرزق ومن سأل فهو جهل منه
واحتمل أن يكون قوله للسائلين
متعلقا بقوله وقدر أي قدر فيها الاقوات

انا زينا السماء الدنيا حفظا وهذا القول الثانى أقرب عندنا للصحة من الاول وقد بينا العلة فى نظير ذلك فى غير موضع من هذا الكتاب فأغنى ذلك عن اعادته وقوله ذلك تقدير العزيز العليم يقول تعالى ذكره هذا الذى وصفت لكم من خلق السماء والأرض وما فيهما وتزيينى السماء الدنيا بزينة الكواكب على ما بينت تقدير العزيز فى نقمته من أعدائه العليم بسرائر عباده وعلانيتهم وتدبيرهم على ما فيه صلاحهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون﴾ يقول تعالى ذكره فان أعرض هؤلاء المشركون عن هذه الحجة التى بينتها لهم يا محمد ونبهتهم عليها فلم يؤمنوا بها ولم يقروا أن فاعل ذلك هو الله الذى لا اله غيره فقل لهم أنذرتكم أيها الناس صاعقة تهلككم مثل صاعقة عاد وثمود وقد بينا فيما مضى أن معنى الصاعقة كل ما أفسد الشئ وغيره عن هيئته وقيل فى هذا الموضع عنى بها وقيعة من الله وعذاب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود قال يقول أنذرتكم وقيعة مثل وقيعة عاد وثمود قال عذاب مثل عذاب عاد وثمود وقوله اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم يقول فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود التى أهلكتهم اذ جاءت عادا وثمود الرسل من بين أيديهم فقوله اذ من صلة صاعقة وعنى بقوله من بين أيديهم الرسل التى أتت آباء الذين هلكوا بالصاعقة من هاتين الأمتين وعنى بقوله ومن خلفهم من خلف الرسل الذين بعثوا الى آبائهم رسلا اليهم وذلك أن الله بعث الى عاد هودا فكذبوه من بعد رسل قد كانت تقدمته الى آبائهم أيضا فكذبوهم فأهلكوا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فان أعرضوا الى قوله ومن خلفهم قال الرسل التى كانت قبل هود والرسل الذين كانوا بعده بعث الله قبله رسلا وبعث من بعده رسلا وقوله ألا تعبدوا الا الله يقول تعالى ذكره جاءتهم الرسل بأن لا تعبدوا الا الله وحده لا شريك له قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة يقول جل ثناؤه فقالوا لرسلهم اذ دعوهم الى الاقرار بتوحيد الله لو شاء ربنا أن نوحده ولا نعبد من دونه شيأ غيره لأنزل الينا ملائكة من السماء رسلا بما تدعوننا أنتم اليه ولم يرسلكم وأنتم بشر مثلنا ولكنه رضى عبادتنا ما نعبد فلذلك لم يرسل الينا بالنهى عن ذلك ملائكة وقوله فانا بما أرسلتم به كافرون يقول قالوا لرسلهم فانا بالذى أرسلكم به ربكم الينا جاحدون غير مصدقين به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون﴾ يقول تعالى ذكره فأما عاد قوم هود فاستكبروا على ربهم وتجبروا فى الارض تكبرا وعتوا بغير ما أذن الله لهم به وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذى خلقهم وأعطاهم ما أعطاهم من عظم الخلق وشدة البطش هو أشد منهم قوة فيحذروا عقابه ويتقوا سطوته لكفرهم به وتكذيبهم رسله وكانوا بآياتنا يجحدون يقول وكانوا بأدلتنا وحججنا عليهم يجحدون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون﴾ يقول تعالى ذكره فأرسلنا على عاد ريحا صرصرا واختلف أهل التأويل فى معنى الصرصر فقال بعضهم عنى بذلك أنها ريح شديدة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح

لأجل الطالبين لها المحتاجين اليها وهم فى الاحتياج سواء وقيل انه متعلق بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر والبيان لأجل من سأل فى كم خلقت الأرض وما فيها لأن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قوله (ثم استوى الى السماء) أى توجه بداعى الحكمة بعد خلق الارض لا دحوها الى خلق السماء وقدمر فى أول البقرة قوله وهى (دخان) ذكر أصحاب الأثر وجاء فى أول توراة اليهود أن عرش الله قبل خلق السموات والارض كان على الماء فأحدث فى ذلك الماء سخونة فارتفع زبد ودخان أما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق الله منه الأرض واما الدخان فارتفع وعلا فخلق الله منه السموات وزعم المتكلمون أن الله سبحانه خلق الأجزاء التى لا تتجزأ

عن مجاهد قوله ريحا صرصرا قال شديدة حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ريحا صرصرا شديدة السموم عليهم * وقال آخرون بل عنى بها أنها باردة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا قال الصرصر الباردة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله ريحا صرصرا قال باردة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا احمد قال ثنا أسباط عن السدى ريحا صرصرا قال باردة ذات الصوت حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ريحا صرصرا يقول ريحا فيها برد شديد * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول مجاهد وذلك أن قوله صرصرا انما هو صوت الريح اذا هبت بشدة فسمع لها كقول القائل صرر ثم جعل ذلك من أجل التضعيف الذى فى الراء فقال ثم أبدلت احدى الراآت صادا لكثرة الراآت كما قيل فى ردده ردرده وفى نههه نهنهه كما قال رؤبة

فاليوم قد نهنهنى تنهنهى * وأول حلم ليس بالمسفه

وكما قيل فى كففه كفكفه كما قال النابغة

أكفكف عبرة غلبت عداتى * اذا نهنهتها عادت ذباحا

وقد قيل ان النهر الذى يسمى صرصرا انما سمى بذلك لصوت الماء الجارى فيه وانه (١) فعلل من صرر نظير الريح الصرصر وقوله فى أيام نحسات اختلف أهل التأويل فى تأويل النحسات فقال بعضهم عنى بها المتتابعات ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فى أيام نحسات قال أيام متتابعات أنزل الله فيهن العذاب * وقال آخرون عنى بذلك المشائيم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أيام نحسات قال مشائيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى أيام نحسات أيام والله كانت مشؤمات على القوم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال النحسات المشؤمات النكدات حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى أيام نحسات قال أيام مشؤمات عليهم * وقال آخرون معنى ذلك أيام ذات شر ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أيام نحسات قال النحس الشر أرسل عليهم ريح شر ليس فيها من الخير شئ * وقال آخرون النحسات الشداد ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى أيام نحسات قال شداد * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال عنى بها أيام مشائيم ذات نحوس لأن ذلك هو المعروف من معنى النحس فى كلام العرب وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار غير نافع وأبى عمرو فى أيام نحسات بكسر الحاء وقرأه نافع وأبو عمرو نحسات بسكون الحاء وكان أبو عمرو فيما ذكر لنا عنه يحتج لتسكينه الحاء بقوله يوم نحس مستمر وأن الحاء فيه ساكنة والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما قراء علماء مع اتفاق معنييهما وذلك أن تحريك الحاء وتسكينها فى ذلك لغتان معروفتان يقال هذا يوم نحس ويوم نحس بكسر الحاء وسكونها قال الفراء أنشدنى بعض العرب

أبلغ جذاما ولخما أن اخوتهم * طيا وبهراء قوم نصرهم نحس

واما ...

فكانت مظلمة عديمة النور ثم ركبها وجعلها سموات وكواكب وشمسا وقمرا وأحدث صفة الضوء فيها فحينئذ صارت مستنيرة فصحت تسمية تلك الأجزاء قبل استنارتها بالدخان لانه لا معنى للدخان الا أنها أجزاء متفرقة غير متواصلة عديمة النور واعلم أن ظاهر قوله ثم استوى يدل على أن خلق السماء متأخر عن خلق الارض وقد جاء مثله فى آيات أخر وفى الآثار الا أن الواحدى نقل فى البسيط عن مقاتل أنه قال خلق الله السماء قبل الأرض فتأول الآية بان لفظة كان مضمرة اى ثم كان قد استوى كما فى قوله تعالى ان يسرق فقد اى ان يكن يسرق وزيف بأن الجمع بين ثم الدال على التأخر وبين اضمار كان الدال على التقدم جمع بين النقيضين ويمكن ان يجاب بأن ثم ههنا الترتيب

(١) لعله فعل يعنى بالتشديد مثل صرر ثم قلبت الراء من جنس الفاء تأمل كتبه مصححه

وأما من السكون فقول الله يوم نحس ومنه قول الراجز

يومين غيمين ويوما شمسا * نجمين بالسعد ونجما نحسا

فمن كان في لغته يوم نحس قال في أيام نحسات ومن كان في لغته يوم نحس قال في أيام نحسات وقد قال بعضهم النحس بسكون الحاء هو الشؤم نفسه وان اضافة اليوم الى النحس انما هو اضافة الى الشؤم وان النحس بكسر الحاء نعت لليوم بأنه مشؤم ولذلك قيل في أيام نحسات لانها أيام مشائيم وقوله لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا يقول جل ثناؤه ولعذابنا اياهم في الآخرة أخزى لهم وأشد اهانة واذلالا وهم لا ينصرون يقول وهم يعني عادا لا ينصرهم من الله يوم القيامة اذا عذبهم ناصر فينقذهم منه أو ينتصر لهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴾ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ يقول تعالى ذكره فبينا لهم سبيل الحق وطريق الرشد كما حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وأما ثمود فهديناهم أي بينا لهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأما ثمود فهديناهم بينا لهم سبيل الخير والشر حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وأما ثمود فهديناهم بينا لهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأما ثمود فهديناهم قال أعلمناهم الهدى والضلالة ونهيناهم أن يتبعوا الضلالة وأمرناهم أن يتبعوا الهدى وقد اختلفت القراء في قراءة قوله ثمود فقرأته عامة القراء من الأمصار غير الأعمش وعبد الله بن أبي اسحق برفع ثمود وترك اجرائها على أنها اسم للامة التي تعرف بذلك وأما الأعمش فانه ذكر عنه أنه كان يجري ذلك في القرآن كله الا في قوله وآتينا ثمود الناقة مبصرة فانه كان لا يجريه في هذا الموضع خاصة من أجل أنه في خط المصحف في هذا الموضع بغير ألف وكان يوجه ثمود الى أنه اسم رجل بعينه معروف أو اسم جيل معروف وأما ابن اسحق فانه كان يقرؤه نصبا وأما ثمود بغير اجراء وذلك وان كان له في العربية وجه معروف فان أفصح منه وأصح في الاعراب عند أهل العربية الرفع لطلب أما الأسماء وأن الافعال لا تليها وانما تعمل العرب الافعال التي بعد الاسماء فيها اذا حسن تقديمها قبلها والفعل في أما لا يحسن تقديمه قبل الاسم ألا ترى أنه لا يقال وأما هدينا فثمود كما يقال وأما ثمود فهديناهم * والصواب من القراءة في ذلك عندنا الرفع وترك الاجراء أما الرفع فلما وصفت وأما ترك الاجراء فلأنه اسم للامة وقوله فاستحبوا العمى على الهدى يقول فاختاروا العمى على البيان الذي بينت لهم والهدى الذي عرفتهم بأخذهم طريق الضلال على الهدى يعني على البيان الذي بينته لهم من توحيد الله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي فاستحبوا العمى على الهدى قال اختاروا الضلالة والعمى على الهدى حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى قال أرسل الله اليهم الرسل بالهدى فاستحبوا العمى على الهدى حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فاستحبوا العمى يقول بينا لهم فاستحبوا العمى على الهدى حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاستحبوا العمى على الهدى قال استحبوا الضلالة على الهدى وقرأ وكذلك زينا لكل أمة عملهم الى آخر الآية قال فزين لثمود عملها القبيح وقرأ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء الى آخر الآية وقوله فأخذتهم

الاخبار وقال الامام فخر الدين الرازي المختار عندي أن تكوين السماء مقدم على تكوين الارض والخلق الوارد في الآية بمعنى التقدير كقوله خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فان ايجاد الموجود محال فمعنى الآية أنه قضى بحدوث الارض في يومين أي حكم بأنه سيحدث كذا في مدة كذا قلت لو لم يكن قوله تعالى وجعل فيها رواسي من فوقها الى قوله أربعة أيام لكان هذا التأويل له وجه وقال بعض الصوفية خلق أرض البشرية في يومي الهواء والطبيعة وهما من الأنداد وجعل لها رواسخ العقل من فوقها لتستقر بها وبارك فيها بالحواس الخمسة وقدر فيها أقواتها من سائر القوى البشرية في تتمة أربعة أيام يعني في يومي الروح الحيواني والطبيعي ثم استوى الى سماء القلب وهي دخان نار الروحانية

صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون يقول فأهلكتهم من العذاب المذل المهين لهم مهلكة اذلتهم وأخزتهم والهون هو الهوان كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى عذاب الهون قال الهوان وقوله بما كانوا يكسبون من الآثام بكفرهم بالله قبل ذلك وخلافهم اياه وتكذيبهم رسله وقوله ونجينا الذين آمنوا يقول ونجينا الذين آمنوا من العذاب الذى أخذهم بكفرهم بالله الذين وحدوا الله وصدقوا رسله وكانوا يتقون يقول وكانوا يخافون الله أن يحل بهم من العقوبة على كفرهم لو كفروا ما حل بالذين هلكوا منهم فآمنوا اتقاء الله وخوف وعيده وصدقوا رسله وخلعوا الآلهة والانداد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره ويوم يجمع هؤلاء المشركون أعداء الله الى النار الى نار جهنم فهم يحبس أولهم على آخرهم كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فهم يوزعون قال يحبس أولهم على آخرهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فهم يوزعون قال عليهم وزعة ترد أولاهم على أخراهم وقوله حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم يقول حتى اذا ما جاؤا النار شهد عليهم سمعهم بما كانوا يصغون به فى الدنيا اليه ويستمعون له وأبصارهم بما كانوا يبصرون به وينظرون اليه فى الدنيا وجلودهم بما كانوا يعملون وقد قيل عنى بالجلود فى هذا الموضع الفروج ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن الحكم الثقفى رجل من آل أبى عقيل رفع الحديث وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا انما عنى فروجهم ولكن كنى عنها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا حرملة أنه سمع عبيد الله بن أبى جعفر يقول حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم قال جلودهم الفروج وهذا القول الذى ذكرناه عمن ذكرنا عنه فى معنى الجلود وان كان معنى يحتمله التأويل فليس بالأغلب على معنى الجلود ولا بالأشهر وغير جائز نقل معنى ذلك المعروف على الشئ الأقرب الى غيره الا بحجة يجب التسليم لها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء الذين يحشرون الى النار من أعداء الله سبحانه لجلودهم اذ شهدت عليهم بما كانوا فى الدنيا يعملون لم شهدتم علينا بما كنا نعمل فى الدنيا فأجابتهم جلودهم أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ فنطقنا وذكر أن هذه الجوارح تشهد على أهلها عند استشهاد الله اياها عليهم اذا هم أنكروا الأفعال التى كانوا فعلوها فى الدنيا بما يسخط الله وبذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الاخبار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أحمد بن حازم الغفارى قال أخبرنا على بن قادم الفزارى قال أخبرنا شريك عن عبيد المكتب عن الشعبى عن أنس قال ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم حتى بدت نواجذه ثم قال ألا تسألونى مم ضحكت قالوا مم ضحكت يا رسول الله قال عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة قال يقول يا رب أليس وعدتنى أن لا تظلمنى قال فان لك ذلك قال فانى لا أقبل على شاهدا الا من نفسى قال أوليس كفى بى شهيدا أو بالملائكة الكرام الكاتبين قال فيختم على فيه وتتكلم أركانه بما كان يعمل قال فيقول لهن بعدا لكن وسحقا عنكن كنت أجادل حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن عبيد المكتب عن فضيل بن عمرو عن الشعبى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنى عباس بن أبى طالب قال ثنا يحيى بن أبى بكر عن شبل قال سمعت أبا قزعة

يحدث...

فقضى سماء القلب أطوارا سبعة كقوله وقد خلقكم أطوارا أولها الوسوسة ثم الهواجس ثم الرؤية ما كذب الفؤاد ما رأى ثم الحكمة ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه ثم ظهور المغيبات ثم المحبة ثم التجلى فى يومى الروح والالهام الربانى قوله (فقال لها وللارض ائتيا) الآية للمفسرين فيه قولان الاول اجراء الكلام على ظاهره فانه ليس بمستبعد من الله انطاق أى جسم فرض بل ايداع الحياة والفهم فيه ولهذا قال (طائعين) على لفظ جمع المذكر السالم فان جمع المؤنث السالم لا يختص بالعقلاء ووجه الجمع أن اقل الجمع اثنان أو لأن كل واحد منهما سبع ومن هؤلاء من قال نطق من الارض موضع الكعبة ومن السماء ما يحاذيها فجعل الله لها حرمة على سائر الارض وعلى هذا

يحدث عمرو بن دينار عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وأشار بيده الى الشأم قال ههنا الى ههنا تحشرون ركبانا ومشاة على وجوهكم يوم القيامة على أفواهكم الفدام توفون سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله وان أول ما يعرب من أحدكم فخذه حدثنا مجاهد ابن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا الجريرى عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تجيئون يوم القيامة على أفواهكم الفدام وان أول ما يتكلم من الآدمى فخذه وكفه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالى أمسك بحجزكم من النار ألا ان ربى داعىّ وانه سائلى هل بلغت عباده وانى قائل رب قد بلغتهم فيبلغ شاهدكم غائبكم ثم انكم مدعوّن مفدمة أفواهكم بالفدام ثم ان أول ما يبين عن أحدكم لفخذه وكفه حدثنى محمد بن خلف قال ثنا الهيثم بن خارجة عن اسمعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن عقبة سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان أول عظم تكلم من الانسان يوم يختم على الافواه فخذه من الرجل الشمال وقوله وهو خلقكم أول مرة يقول تعالى ذكره والله خلقكم الخلق الاول ولم تكونوا شيأ واليه ترجعون يقول واليه مصيركم من بعد مماتكم وما كنتم تستترون فى الدنيا أن يشهد عليكم يوم القيامة سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم واختلف أهل التأويل فى معنى قوله وما كنتم تستترون فقال بعضهم معناه وما كنتم تستخفون ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وما كنتم تستترون أى تستخفون منها * وقال آخرون معناه وما كنتم تتقون ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وما كنتم تستترون قال تتقون * وقال آخرون بل معنى ذلك وما كنتم تظنون ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كنتم تستترون يقول وما كنتم تظنون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم حتى بلغ كثيرا مما كنتم (١) تعملون والله ان عليك يا ابن آدم لشهودا غير متهمة من بدنك فراقبهم واتق الله فى سر أمرك وعلانيتك فانه لا يخفى عليه خافية الظلمة عنده ضوء والسر عنده علانية فمن استطاع ان يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل ولا قوة الا بالله وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك وما كنتم تستخفون فتتركوا ركوب محارم الله فى الدنيا حذرا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم اليوم وانما قلنا ذلك أولى الاقوال فى ذلك بالصواب لان المعروف من معانى الاستتار الاستخفاء فان قال قائل وكيف يستخفى الانسان عن نفسه مما يأتى قيل قد بينا أن معنى ذلك انما هو الأمانى وفى تركه اتيانه اخفاؤه عن نفسه وقوله ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما (٢) كنتم تعملون يقول جل ثناؤه ولكن حسبتم حين ركبتم فى الدنيا ما ركبتم من معاصى الله أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من أعمالكم الخبيثة فلذلك لم تستتروا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم وجلودكم فتتركوا ركوب ما حرم الله عليكم وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل نفر تدارؤا بينهم فى علم الله بما يقولونه ويتكلمون سرا ذكر الخبر بذلك حدثنى محمد ابن يحيى القطعى قال ثنا أبو داود قال ثنا قيس عن منصور عن مجاهد عن أبى معمر الازدى عن عبد الله بن مسعود قال كنت مستترا بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشى أو قرشيان وثقفى كثير شحوم بطونهما قليل فقه قلوبهما فتكلموا بكلام لم أفهمه فقال أحدهم

(١) و (٢) التلاوة مما تعملون

القول لا بد أن يكون هذا التخاطب بعد الوجود فقالوا معناه ائتيا بما خلقت فيكما أما أنت يا سماء فأطلعى الشمس والقمر والنجوم وأما انت يا أرض فأخرجى ما خلقت فيك من النبات فقالتا جئنا بما أحدثت فينا مستجيبين لأمرك ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما يقال أتى عمله مرضيا ويجوز أن يراد لتأت كل منكما صاحبتها الاتيان الذى تقتضيه الحكمة من كون الأرض قرارا والسماء سقفا لها وقوله طوعا أو كرها اظهار لكمال القدرة والتقدير أبيتما أو شئتما كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت أو أبيت وانتصابهما على الحال بمعنى طائعين أو كارهين والقول الثانى أن هذا تمثيل لنفوذ قدرته فيهما ولا قول ثمة وعلى هذا لا يبعد أن يكون المقصود ايجادهما

أترون أن الله يسمع ما نقول فقال الرجلان اذا رفعنا أصواتنا سمع واذا لم نرفع لم يسمع فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فنزلت هذه الآية وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم الى آخر الآية حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثنى الأعمش عن عمارة بن عمير عن وهب بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود قال انى لمستتر بأستار الكعبة اذ دخل ثلاثة نفر ثقفى وختناه قرشيان قليل فقه قلوبهما كثير شحوم بطونهما فتحدثوا بينهم بحديث فقال أحدهم أترى الله يسمع ما قلنا فقال الآخر انه يسمع اذا رفعنا ولا يسمع اذا خفضنا وقال الآخر اذا كان يسمع منه شيأ فهو يسمعه كله قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فنزلت هذه الآية وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم فقرأ حتى بلغ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان قال ثنى منصور عن مجاهد عن أبى معمر عن عبد الله بنحوه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾ يقول تعالى ذكره وهذا الذى كان منكم فى الدنيا من ظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من قبائح أعمالكم ومساويها هو ظنكم الذى ظننتم بربكم فى الدنيا أرداكم يعنى أهلككم يقال منه أردى فلانا كذا وكذا اذا أهلكه وردى هو اذا هلك فهو يردى ردى ومنه قول الاعشى

أفى الطوف خفت على الردى * وكم من رد أهله لم يرم

يعنى وكم من هالك أهله لم يرم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله أرداكم قال أهلككم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال تلا الحسن وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فقال انما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم فأما المؤمن فأحسن بالله الظن فأحسن العمل وأما الكافر والمنافق فأساآ الظن فأساآ العمل قال ربكم وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم حتى بلغ الخاسرين قال معمر وحدثنى رجل أنه يؤمر برجل الى النار فيلتفت فيقول يارب ما كان هذا ظنى بك قال وما كان ظنك بى قال كان ظنى أن تغفر لى ولا تعذبنى قال فانى عند ظنك بى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الظن ظنان فظن منج وظن مرد قال الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم قال انى ظننت أنى ملاق حسابيه وهذا الظن المنجى ظنا يقينا وقال ههنا وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم هذا ظن مرد وقوله وقال الكافرون ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ويروى ذلك عن ربه عبدى عند ظنه بى وانا معه اذا دعانى وموضع قوله ذلكم رفع بقوله ظنكم واذا كان ذلك كذلك كان قوله أرداكم فى موضع نصب بمعنى مرديا لكم وقد يحتمل أن يكون فى موضع رفع بالاستئناف بمعنى مرد لكم كما قال تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة فى قراءة من قرأه بالرفع فمعنى الكلام هذا الظن الذى ظننتم بربكم من أنه لا يعلم كثيرا مما تعملون هو الذى أهلككم لانكم من أجل هذا الظن اجترأتم على محارم الله فقدمتم عليها وركبتم ما نهاكم الله عنه فأهلككم ذلك وأرداكم فأصبحتم من الخاسرين يقول فأصبحتم اليوم من الهالكين قد غبنتم ببيعكم منازلكم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين ﴾ يقول تعالى ذكره فان يصبر هؤلاء الذين يحشرون الى النار على النار فالنار مسكن لهم ومنزل وان يستعتبوا يقول وان يسألوا العتبى وهى الرجعة لهم الى الذى يحبون بتخفيف العذاب عنهم فما هم من المعتبين يقول فليسوا

على وفق ارادته وهما فى حيز العدم وأن يكون المراد ما تقدم وقال بعضهم الطوع يرجع الى السماء لان أحوالها على نهج واحد لا يختلف وشبه مكلف مطيع والكره يعود الى الارض لانها مكان تغير الاحوال ومحل الحوادث والمكاره قلت لعل هذين الوصفين لهما باعتبار سكانهما قوله (فقضاهن) قضاء الشئ اتمامه والفراغ منه مع الاتقان والضمير اما راجع الى السماء على المعنى لانها سموات سبع وانتصب (سبع سموات) على الحال واما مبهم مميز بما بعده يروى أنه خلق الارض فى يوم الاحد والاثنين وخلق سائر ما فى الارض فى يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات وما فيهما فى يوم الخميس والجمعة وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وأسكنه الجنة

بالقوم الذين يرجع بهم الى الجنة فيخفف عنهم ما هم فيه من العذاب وذلك كقوله جل ثناؤه مخبرا عنهم قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا الى قوله ولا تكلمون وكقولهم لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب الى قوله وما دعاء الكافرين الا فى ضلال ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وقيضنا لهم قرناء وبعثنا لهم نظراء من الشياطين فجعلناهم لهم قرناء قرناهم بهم يزينون لهم قبائح أعمالهم فزينوا لهم ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وقيضنا لهم قرناء قال الشيطان حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وقيضنا لهم قرناء قال شياطين وقوله فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم يقول فزين لهؤلاء الكفار قرناؤهم من الشياطين ما بين أيديهم من أمر الدنيا فحسنوا ذلك لهم وحببوه اليهم حتى آثروه على أمر الآخرة وما خلفهم يقول وحسنوا لهم أيضا ما بعد مماتهم بأن دعوهم الى التكذيب بالمعاد وأن من هلك منهم فلن يبعث وأن لا ثواب ولا عقاب حتى صدقوهم على ذلك وسهل عليهم فعل كل ما يشتهونه وركوب كل ما يلتذونه من الفواحش باستحسانهم ذلك لأنفسهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فزينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة وقوله وحق عليهم القول يقول تعالى ذكره ووجب لهم العذاب بركوبهم ما ركبوا مما زين لهم قرناؤهم وهم من الشياطين كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وحق عليهم القول قال العذاب فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس يقول تعالى ذكره وحق على هؤلاء الذين قيضنا لهم قرناء من الشياطين فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم العذاب فى أمم قد مضت قبلهم من ضربائهم حق عليهم من عذابنا مثل الذى حق على هؤلاء بعضهم من الجن وبعضهم من الانس انهم كانوا خاسرين يقول ان تلك الأمم الذين حق عليهم عذابنا من الجن والانس كانوا مغبونين ببيعهم رضا الله ورحمته بسخطه وعذابه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا بالله ورسوله من مشركى قريش لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه يقول قالوا للذين يطيعونهم من أوليائهم من المشركين لا تسمعوا لقارئ هذا القرآن اذا قرأه ولا تصغوا له ولا تتبعوا ما فيه فتعملوا به كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون قال هذا قول المشركين قالوا لا تتبعوا هذا القرآن والهوا عنه وقوله والغوا فيه يقول الغطوا بالباطل من القول اذا سمعتم قارئه يقرؤه كيما لا تسمعوه ولا تفهموا ما فيه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قول الله لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه قال المكاء والتصفير وتخليط من القول على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ قريش تفعله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله والغوا

وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة (وأوحى فى كل سماء أمرها) أى أمر أهلها من العبادة والتكليف الخاص بكل منهم فبعضهم وقوف وبعضهم ركوع وبعضهم سجود وعلى هذا احتمل أن يكون خلق الملائكة مع السموات وقبلها وقيل الايحاء ههنا التكوين والايجاد وأمرها شأنها وما يصلحها وزينا السماء الدنيا بمصابيح أى بالنيرات المضيئة كالمصباح وحفظناها حفظا من الشياطين المسترقة للسمع كما مر مرارا وجوز جار الله أن يكون حفظا مفعولا له على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا (ذلك تقدير العزيز العليم) بالكمال عزته وقدرته على خلق ما خلق والشمول علمه بما دبر ثم قال لنبيه عليه السلام (فان أعرضوا) عن التوحيد بعد هذا البيان الباهر

فيه قال بالمكاء والتصفير والتخليط فى المنطق على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ القرآن قريش تفعله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه اى اجحدوا به وأنكروه وعادوه وقال هذا قول مشركى العرب حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال قال بعضهم فى قوله والغوا فيه قال تحدثوا وصيحوا كيلا تسمعوه وقوله لعلكم تغلبون يقول لعلكم بفعلكم ذلك تصدون من أراد استماعه عن استماعه فلا يسمعه واذا لم يسمعه ولم يفهمه لم يتبعه فتغلبون بذلك من فعلكم محمدا قال الله جل ثناؤه فلنذيقن الذين كفروا بالله من مشركى قريش الذين قالوا هذا القول عذابا شديدا فى الآخرة ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون يقول ولنثيبنهم على فعلهم ذلك وغيره من أفعالهم بأقبح جزاء أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ يقول تعالى ذكره هذا الجزاء الذى يجزى به هؤلاء الذين كفروا من مشركى قريش جزاء أعداء الله ثم ابتدأ جل ثناؤه الخبر عن صفة ذلك الجزاء وما هو فقال هو النار فالنار بيان عن الجزاء وترجمة عنه وهى مرفوعة بالرد عليه ثم قال لهم فيها دار الخلد يعنى لهؤلاء المشركين بالله فى النار دار الخلد يعنى دار المكث واللبث الى غير نهاية ولا أمد والدار التى أخبر جل ثناؤه أنها لهم فى النار هى النار وحسن ذلك لاختلاف اللفظين كما يقال لك من بلدتك دار صالحة ومن الكوفة دار كريمة والدار هى الكوفة والبلدة فيحسن ذلك لاختلاف الالفاظ وقد ذكر لنا أنها فى قراءة ابن مسعود ذلك جزاء أعداء الله النار دار الخلد ففى ذلك تصحيح ما قلنا من التأويل فى ذلك وذلك أنه ترجم بالدار عن النار وقوله جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون يقول فعلنا هذا الذى فعلنا بهؤلاء من مجازاتنا اياهم النار على فعلهم جزاء منا بجحودهم فى الدنيا بآياتنا التى احتججنا بها عليهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا بالله ورسوله يوم القيامة بعد ما أدخلوا جهنم يا ربنا أرنا اللذين أضلانا من خلقك من جنهم وانسهم وقيل ان الذى هو من الجن ابليس والذى هو من الانس ابن آدم الذى قتل أخاه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ثابت الحداد عن (١) حبة العوفى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس قال ابليس الأبالسة وابن آدم الذى قتل أخاه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة عن مالك بن حصين عن أبيه عن على رضى الله عنه فى قوله ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس قال ابليس وابن آدم الذى قتل أخاه حدثنا ابن المثنى قال ثنى وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن سلمة بن كهيل عن أبى مالك وابن مالك عن أبيه عن على رضى الله عنه ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس قال ابن آدم الذى قتل أخاه وابليس الأبالسة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس الآية فانهما ابن آدم القاتل وابليس الأبالسة فأما ابن آدم فيدعو به كل صاحب كبيرة دخل النار من أجل الدعوة وأما ابليس فيدعو به كل صاحب شرك يدعوانهما فى النار حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس هو الشيطان وابن آدم الذى قتل أخاه وقوله نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين يقول نجعل هذين اللذين أضلانا تحت أقدامنا لأن أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض وكل ما سفل منها فهو أشد على أهله وعذاب أهله

اغلظ

والبرهان القاهر (فقل أنذرتكم صاعقة) لان الاصرار على الجهل بعد وضوح الحق عناد ولا علاج للعاند سوى التأديب بما يناسبه يروى أن أبا جهل قال فى ملأ من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة أنا ذاك فأتاه وقال أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فيم تشتم آلهتنا وتضللنا وعرض عليه الرياسة والنساء والاموال ان ترك ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فهال عتبة بذلك وناشده بالرحم ورجع ولم يأت قريشا فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة إلا قد صبأ فانطلقوا اليه

(١) الذى فى الخلاصة والقاموس حبة العرنى أى بالراء والنون فلعل ما فى الاصل تصحيف كتبه مصححه

أغلظ ولذلك سأل هؤلاء الكفار ربهم أن يريهم اللذين أضلاهم ليجعلوهما أسفل منهم ليكونا في أشد العذاب في الدرك الأسفل من النار ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين قالوا ربنا الله وحده لا شريك له وبرؤا من الآلهة والأنداد ثم استقاموا على توحيد الله ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به وانتهوا الى طاعته فيما أمر ونهى * وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاله أهل التأويل على اختلاف منهم في معنى قوله ثم استقاموا ذكر الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا عمرو ابن علي قال ثنا سالم بن قتيبة أبو قتيبة قال ثنا سهيل بن أبي حزم القطعي عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال قد قالها الناس ثم كفر أكثرهم فمن مات عليها فهو ممن استقام * وقال بعضهم معناه ولم يشركوا به شيأ ولكن تموا على التوحيد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن عامر بن سعد عن سعيد بن عمران قال قرأت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه هذه الآية إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال هم الذين لم يشركوا بالله شيأ حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان باسناده عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه مثله * قال ثنا جرير بن عبد الحميد وعبد الله بن ادريس عن الشيباني عن أبي بكر بن أبي موسى عن الاسود بن هلال عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال لأصحابه ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال قالوا ربنا الله ثم عملوا بها قال لقد حملتموها على غير المحمل الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الذين لم يعدلوها بشرك ولا غيره حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال أخبرنا الشيباني عن أبي بكر ابن أبي موسى عن الاسود بن هلال المحاربي قال قال أبو بكر ما تقولون في هذه الآية ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال فقالوا ربنا الله ثم استقاموا من ذنب قال فقال أبو بكر لقد حملتم على غير المحمل قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا الى اله غيره حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال أي على لا اله الا الله * قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال أسلموا ثم لم يشركوا به حتى لحقوا به * قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال هم الذين قالوا ربنا الله ثم لم يشركوا به حتى لقوه * قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن منصور عن جامع بن شداد عن الأسود بن هلال مثل ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال تموا على ذلك حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال استقاموا على شهادة أن لا اله الا الله * وقال آخرون معنى ذلك ثم استقاموا على طاعته ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن منيع قال ثنا عبد الله بن المبارك قال ثنا يونس بن يزيد عن الزهري قال تلا عمر رضي الله عنه على المنبر إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال استقاموا والله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعالب حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال استقاموا على طاعة الله وكان الحسن اذا تلاها قال اللهم فأنت ربنا فارزقنا الاستقامة حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الذين قالوا

فقال والله لقد كلمته فأجابني بشئ والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود ناشدته بالرحم أن يكف ولقد علمتم أن محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب فان قيل كيف يصح هذا الانذار وقد أخبر الله سبحانه في قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وان هذه الامة آمنون من العذاب قلنا الأنفال مدنية وهذه مكية قوله (اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم) قيل الضميران عائدان الى الرسل أي جاءهم رسل بعد الرسل وقيل من بين أيديهم أي حذروهم الدنيا (ومن خلفهم) الآخرة وقيل من بين أيديهم

ربنا الله ثم استقاموا يقول على أداء فرائضه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ابن زيد فى قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال على عبادة الله وعلى طاعته وقوله تتنزل
عليهم الملائكة يقول تتهبط عليهم الملائكة عند نزول الموت بهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال
أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد
ابن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا
قال عند الموت حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى
الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد
قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى تتنزل عليهم الملائكة قال عند الموت وقوله
أن لا تخافوا ولا تحزنوا يقول تتنزل عليهم الملائكة بأن لا تخافوا ولا تحزنوا فأن فى موضع نصب اذا
كان ذلك معناه وقد ذكر عن عبد الله أنه كان يقرأ ذلك تتنزل عليهم الملائكة لا تخافوا ولا تحزنوا
بمعنى تتنزل عليهم قائلة لا تخافوا ولا تحزنوا وعنى بقوله لا تخافوا ما تقدمون عليه من بعد مماتكم
ولا تحزنوا على ما تخلفونه وراءكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى أن لا تخافوا ولا تحزنوا قال لا تخافوا
ما أمامكم ولا تحزنوا على ما بعدكم حدثنى يونس قال أخبرنا يحيى بن حسان عن مسلم بن خالد
عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا قال لا تخافوا ما تقدمون
عليه من أمر الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم من دنياكم من أهل وولد فانا نخلفكم فى ذلك كله
* وقيل ان ذلك فى الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى
معاوية عن على عن ابن عباس قوله تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة
فذلك فى الآخرة وقوله وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون يقول وسروا بأن لكم فى الآخرة الجنة
التى كنتم توعدونها فى الدنيا على ايمانكم بالله واستقامتكم على طاعته كما حدثنا محمد قال ثنا
أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون فى الدنيا ۞ القول
فى تأويل قوله تعالى ﴿ نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم
ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ملائكته التى تتنزل على
هؤلاء المؤمنين الذين استقاموا على طاعته عند موتهم نحن أولياؤكم أيها القوم فى الحياة الدنيا
كنا نتولاكم فيها وذكر أنهم الحفظة الذين كانوا يكتبون أعمالهم ذكر من قال ذلك حدثنا
محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا نحن الحفظة
الذين كنا معكم فى الدنيا ونحن أولياؤكم فى الآخرة وقوله وفى الآخرة يقول وفى الآخرة أيضا
نحن أولياؤكم كما كنا لكم فى الدنيا أولياء ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم يقول ولكم فى الآخرة عند الله
ما تشتهى أنفسكم من اللذات والشهوات وقوله ولكم فيها ما تدعون يقول ولكم فى الآخرة
ما تدعون وقوله نزلا من غفور رحيم يقول أعطاكم ذلك ربكم نزلا لكم من رب غفور لذنوبكم
رحيم بكم أن يعاقبكم بعد توبتكم ونصب نزلا على المصدر من معنى قوله ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم
ولكم فيها ما تدعون لأن فى ذلك تأويل أنزلكم ربكم بما تشتهون من النعيم نزلا ۞ القول فى تأويل
قوله تعالى ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ولا
تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾
يقول تعالى ذكره ومن أحسن أيها الناس قولا ممن قال ربنا الله ثم استقام على الايمان به والانتهاء

الى

الذين عاينوهم ومن خلفهم الذين
وصل اليهم خبرهم وكتبهم وحقيقة
بين يديه أن يستعمل للشئ الحاضر
ومجازه أن يستعمل للشئ الماضى
بزمان قريب وقال بعض المحققين
معناه أتاهم الرسل من كل جهة
وأعملوا فى ارشادهم كل حيلة
(أن لا تعبدوا) ويجوز أن تكون أن
مفسرة أو مخففة وضمير الشأن مقدر
والفاء فى قوله (فانا) للجزاء كأنه قيل
فاذا أنتم بشر ولستم بملائكة فانا
لا نؤمن بكم وقولهم ربنا وكذا بما
أرسلتم أى على زعمكم أو أرادوا
التهكم ثم فصل حال كل فريق قائلا
(فأما عاد فاستكبروا فى الارض
بغير الحق) وهذا اخلال بالشفقة

الى أمره ونهيه ودعا عباد الله الى ما قال وعمل به من ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال تلا الحسن ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين قال هذا حبيب الله هذا ولى الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب الخلق الى الله أجاب الله فى دعوته ودعا الناس الى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا فى اجابته وقال اننى من المسلمين فهذا خليفة الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله الآية قال هذا عبد صدق قوله عمله ومولجه مخرجه وسره علانيته وشاهده مغيبه وان المنافق عبد خالف قوله عمله ومولجه مخرجه وسره علانيته وشاهده مغيبه واختلف أهل العلم فى الذى اريد بهذه الصفة من الناس فقال بعضهم عنى بها نبى الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله قال محمد صلى الله عليه وسلم حين دعا الى الاسلام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون عنى به المؤذن ذكر من قال ذلك حدثنى داود بن سليمن بن يزيد المكتب البصرى قال ثنا عمرو بن جرير البجلى عن اسمعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم فى قول الله ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله قال المؤذن وعمل صالحا قال الصلاة ما بين الاذان الى الاقامة وقوله وقال اننى من المسلمين يقول وقال اننى ممن خضع لله بالطاعة وذل له بالعبودة وخشع له بالايمان بوحدانيته وقوله ولا تستوى الحسنة ولا السيئة يقول تعالى ذكره ولا تستوى حسنة الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فأحسنوا فى قولهم واجابتهم ربهم الى ما دعاهم اليه من طاعته ودعوا عباد الله الى مثل الذى أجابوا ربهم اليه وسيئة الذين قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فكذلك لا تستوى عند الله أحوالهم ومنازلهم ولكنها تختلف كما وصف جل ثناؤه أنه خالف بينهما وقال جل ثناؤه ولا تستوى الحسنة ولا السيئة فكرر لا والمعنى لا تستوى الحسنة والسيئة لان كل ما كان غير مساو شيأ فالشئ الذى هو له غير مساو غير مساو به كما أن كل ما كان مساويا للشئ فالآخر الذى هو له مساو مساو له فيقال فلان مساو فلانا وفلان له مساو فكذلك فلان ليس مساويا لفلان ولا فلان مساويا له فلذلك كررت لا مع السيئة ولو لم تكن مكررة معها كان الكلام صحيحا وقد كان بعض نحويى البصرة يقول يجوز أن يقال الثانية زائدة يريد لا يستوى عبد الله وزيد فزيدت لا توكيدا كما قال لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون أى لأن يعلم وكما قال لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة وقد كان بعضهم ينكر قوله هذا فى لئلا يعلم أهل الكتاب وفى قوله لا أقسم فيقول لا الثانية فى قوله لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون ردت الى موضعها لأن النفى انما لحق يقدرون لا العلم كما يقال لا أظن زيدا لا يقوم بمعنى أظن زيدا لا يقوم قال وربما استوثقوا فجاؤا به أولا وآخرا وربما اكتفوا بالاول من الثانى وحكى سماعا من العرب ما كأنى أعرفها أى كأنى لا أعرفها قال وأما لا فى قوله لا أقسم فانما هو جواب والقسم بعدها مستأنف ولا يكون حرف الجحد مبتدأ صلة وانما عنى بقوله ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ولا يستوى الايمان بالله والعمل بطاعته والشرك به والعمل بمعصيته وقوله ادفع بالتى هى أحسن يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ادفع يا محمد بحلمك جهل من جهل عليك وبعفوك عمن أساء اليك اساءة المسىء

على الخلق (وقالوا من أشد منا قوة) وهذا اخلال بالتعظيم لامر الله ولهذا وبخهم بقوله (أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) لان الفاعل والعلة أقوى من القابل والمعلول والقوة فى الانسان نتيجة صحة البنية والاعتدال وحقيقتها زيادة القدرة فلذلك جاز أن يقال الله أقوى منهم كما صح أن يقال الله أقدر الله أكبر وان كان لا نسبة للمتناهى الى غير المتناهى وقوله (وكانوا بآياتنا يجحدون) معطوف على قوله فاستكبروا وقالوا ان التوبيخ المذكور وقع اعتراضا فى البين ثم أخبر عن اهلاكهم والصرصر الريح الباردة الشديدة

وبصبرك عليهم مكروه ما تجد منهم ويلقاك من قبلهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في تأويله ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ادفع بالتي هي أحسن قال أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم * وقال آخرون معنى ذلك ادفع بالسلام على من أساء اليك اساءته ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن طلحة بن عمرو عن عطاء ادفع بالتي هي أحسن قال بالسلام حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن مجاهد ادفع بالتي هي أحسن قال السلام عليك اذا لقيته وقوله فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم يقول تعالى ذكره افعل هذا الذي أمرتك به يا محمد من دفع سيئة المسيء اليك باحسانك الذي أمرتك به اليه فيصير المسيء اليك الذي بينك وبينه عداوة كأنه من ملاطفته اياك وبره لك ولي لك من بني أعمامك قريب النسب بك والحميم هو القريب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كأنه ولي حميم أي كأنه ولي قريب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم﴾ يقول تعالى ذكره وما يعطى دفع السيئة بالحسنة الا الذين صبروا لله على المكاره والأمور الشاقة وقال وما يلقاها ولم يقل وما يلقاه لأن معنى الكلام وما يلقى هذه الفعلة من دفع السيئة بالتي هي أحسن وقوله وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم يقول وما يلقى هذه إلا ذو نصيب وجد له سابق في المبرات عظيم كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله وما يلقاها الا ذو حظ عظيم ذو جد * وقيل ان ذلك الحظ الذي أخبر الله جل ثناؤه في هذه الآية أنه لهؤلاء القوم هو الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما يلقاها الا الذين صبروا الآية والحظ العظيم الجنة ذكر لنا أن أبا بكر رضي الله عنه شتمه رجل ونبي الله صلى الله عليه وسلم شاهد فعفا عنه ساعة ثم ان أبا بكر جاش به الغضب فرد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه أبو بكر فقال يا رسول الله شتمني الرجل فعفوت وصفحت وأنت قاعد فلما أخذت أنتصر قمت يا نبي الله فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم انه كان يرد عنك ملك من الملائكة فلما قربت تنتصر ذهب الملك وجاء الشيطان فوالله ما كنت لأجالس الشيطان يا أبا بكر حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم يقول الذين أعد الله لهم الجنة وقوله وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية يقول تعالى ذكره وإما يلقين الشيطان يا محمد في نفسك وسوسة من حديث النفس إرادة حملك على مجازاة المسيء بالاساءة ودعائك الى مساءته فاستجر بالله واعتصم من خطواته ان الله هو السميع لاستعاذتك منه واستجارتك به من نزغاته ولغير ذلك من كلامك وكلام غيرك العليم بما ألقى في نفسك من نزغاته وحدثتك به نفسك ومما يذهب ذلك من قلبك وغير ذلك من أمورك وأمور خلقه كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وإما ينزغنك من الشيطان نزغ قال وسوسة وحديث النفس فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وإما ينزغنك من الشيطان نزغ قال هذا الغضب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر

نحو عقت من الصر بالكسر وهو البرد الذي يصر أي يجمع ويقبض أو من صرير الباب والتركيب يدور على الضم والجمع عن ابن عباس أن الله تعالى ما أرسل على عاد من الريح الا قدر خاتمي ومع ذلك أهلكت الكل والأيام النحسات هي التي قسرها الله سبحانه في الحاقة بخروجها عليهم سبع ليال وثمانية أيام والنحس بالسكون ضد السعد وهو اما مخفف نحس بالكسر أو هو أصل في نفسه كضخم أو وصف لمصدر واستدل به بعض الاحكاميين على ان بعض الأيام يتصح وصفه بالسعادة وبعضها بضدها وأجاب بعض المتكلمين بأن المراد بالنحوسة

واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون﴾ يقول تعالى ذكره ومن حجج الله تعالى على خلقه ودلالته على وحدانيته وعظيم سلطانه اختلاف الليل والنهار ومعاقبة كل واحد منهما صاحبه والشمس والقمر لا الشمس تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون لا تسجدوا أيها الناس للشمس ولا للقمر فانهما وان جريا في الفلك بمنافعكم فانما يجريان به لكم باجراء الله اياهما لكم طائعين له في جريهما ومسيرهما لا بأنهما يقدران بأنفسهما على سير وجرى دون اجراء الله اياهما وتسييرهما أو يستطيعان لكم نفعا أو ضرا وانما الله مسخرهما لكم لمنافعكم ومصالحكم فله فاسجدوا واياه فاعبدوا دونهما فانه ان شاء طمس ضوءهما فترككم حيارى في ظلمة لا تهتدون سبيلا ولا تبصرون شيأ وقيل واسجدوا لله الذي خلقهن فجمع بالهاء والنون لان المراد من الكلام واسجدوا لله الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر وذلك جمع وأنث كنايتهن وان كان من شأن العرب اذا جمعوا الذكر الى الانثى أن يخرجوا كنايتهما بلفظ كناية المذكر فيقولوا أخواك وأختاك كلموني ولا يقولوا كلمنني لان من شأنهم أن يؤنثوا أخبار الذكور من غير بني آدم في الجمع فيقولوا رأيت مع عمرو أثوابا فأخذتهن منه وأعجبني خواتيم لزيد فقبضتهن منه وقوله ان كنتم اياه تعبدون يقول ان كنتم تعبدون الله وتذلون له بالطاعة وان من طاعته أن تخلصوا له العبادة ولا تشركوا في طاعتكم اياه وعبادتكموه شيأ سواه فان العبادة لا تصلح لغيره ولا تنبغي لشيء سواه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾ يقول تعالى ذكره فان استكبر يا محمد هؤلاء الذين أنت بين أظهرهم من مشركي قريش وتعظموا عن أن يسجدوا لله الذي خلقهم وخلق الشمس والقمر فان الملائكة الذين عند ربك لا يستكبرون عن ذلك ولا يتعظمون عنه بل يسبحون له ويصلون ليلا ونهارا وهم لا يسأمون يقول وهم لا يفترون عن عبادته ولا يملون الصلاة له * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار قال يعني محمدا يقول عبادي ملائكة صافون يسبحون ولا يستكبرون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي أحياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير﴾ يقول تعالى ذكره ومن حجج الله أيضا وأدلته على قدرته على نشر الموتى من بعد بلاها واعادتها لهيئتها كما كانت من بعد فنائها أنك يا محمد ترى الارض دارسة غبراء لا نبات بها ولا زرع كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة أي غبراء متهشمة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة قال يابسة متهشمة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت يقول تعالى ذكره فاذا أنزلنا من السماء غيثا على هذه الارض الخاشعة اهتزت بالنبات يقول تحركت به كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله اهتزت قال بالنبات وربت يقول انتفخت كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وربت انتفخت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت يعرف الغيث في سحتها وربوها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وربت للنبات

كونها ذات غبار وتراب وبرد والانصاف أنه تكلف خارج عن قانون اللغة والاضافة في قوله (عذاب الخزي) كهي في قولك رجل صدق وقوله (ولعذاب الآخرة أخزى) من الاسناد المجازي فان الذل والهوان لصاحبه قوله (وأما ثمود) مرتفع على الابتداء قوله (فهديناهم) خبره قال سيبويه هذا أفصح لأن أما من مظان وقوع المبتدا بعده وقرئ بالنصب اضمارا على شريطة التفسير واتفقوا على أن المراد بالهداية ههنا الدلالة المجردة لقوله بعده (فاستحبوا العمى) يعني عمى البصيرة وهي الضلالة (على الهدى) الا أن المعتزلة تأولوه بأنه

قال ارتفعت قبل أن تنبت وقوله ان الذى أحياها لمحيي الموتى يقول تعالى ذكره ان الذى أحيا
هذه الارض الدارسة فأخرج منها النبات وجعلها تهتز بالزرع من بعد يبسها ودثورها بالمطر الذى
أنزل عليها القادر أن يحيي أموات بنى آدم من بعد مماتهم بالماء الذى ينزل من السماء لاحيائهم * وبنحو
الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال
ثنا أسباط عن السدى قال كما يحيى الارض بالمطر كذلك يحيى الموتى بالماء يوم القيامة بين
النفختين يعنى بذلك تأويل قوله ان الذى أحياها لمحيي الموتى وقوله انه على كل شئ قدير يقول
تعالى ذكره ان ربك يا محمد على احياء خلقه بعد مماتهم وعلى كل ما يشاء ذو قدرة لا يعجزه شئ أراده
ولا يتعذر عليه فعل شئ شاءه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان الذين يلحدون فى آياتنا
لا يخفون علينا أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير ﴾
يعنى جل ثناؤه بقوله ان الذين يلحدون فى آياتنا ان الذين يميلون عن الحق فى حججنا وأدلتنا
ويعدلون عنها تكذيبا بها وجحودا لها وقد بينت فيما مضى معنى اللحد بشواهده المغنية عن اعادتها
فى هذا الموضع وسنذكر بعض اختلاف المختلفين فى المراد به من معناه فى هذا الموضع اختلف
أهل التأويل فى المراد به من معنى الالحاد فى هذا الموضع فقال بعضهم أريد به معارضة المشركين
القرآن باللغط والصفير استهزاء به ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح
عن مجاهد فى قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا قال المكاء وما ذكر معه * وقال بعضهم أريد به الخبر
عن كذبهم فى آيات الله ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن
قتادة ان الذين يلحدون فى آياتنا قال يكذبون فى آياتنا * وقال آخرون أريد به يعاندون ذكر من
قال ذلك حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ان الذين يلحدون
فى آياتنا قال يشاقون يعاندون * وقال آخرون أريد به الكفر والشرك ذكر من قال ذلك حدثنى
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا قال
هؤلاء أهل الشرك وقال الالحاد الكفر والشرك * وقال آخرون أريد به الخبر عن تبديلهم معانى
كتاب الله ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال
ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا قال هو أن يوضع
الكلام على غير موضعه وكل هذه الاقوال التى ذكرناها فى تأويل ذلك قريبات المعانى وذلك أن
اللحد والالحاد هو الميل وقد يكون ميلا عن آيات الله وعدولا عنها بالتكذيب بها ويكون بالاستهزاء
مكاء وتصدية ويكون مفارقة لها وعنادا ويكون تحريفا لها وتغييرا لمعانيها ولا قول أولى بالصحة
فى ذلك مما قلنا وأن يعم الخبر عنهم بأنهم ألحدوا فى آيات الله كما عم ذلك ربنا تبارك وتعالى وقوله
لا يخفون علينا يقول تعالى ذكره نحن بهم عالمون لا يخفون علينا ونحن لهم بالمرصاد اذا وردوا علينا
وذلك تهديد من الله جل ثناؤه لهم بقوله سيعلمون عند ورودهم علينا ماذا يلقون من أليم عذابنا ثم
أخبر جل ثناؤه عما هو فاعل بهم عند ورودهم عليه فقال أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم
القيامة يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يلحدون فى آياتنا اليوم فى الدنيا يوم القيامة عذاب النار ثم قال
الله أفهذا الذى يلقى فى النار خير أم الذى يأتى يوم القيامة آمنا من عذاب الله لايمانه بالله جل جلاله
هذا الكافر انه ان آمن بآيات الله واتبع أمر الله ونهيه أمنه يوم القيامة مما حذره منه من عقابه ان ورد

انما شاع استعماله فى الدلالة المجردة
لانه مكنهم وأزاح عللهم فكأنه
حصل البغية فيهم بتحصيل
ما يوجبها على أن المراد المعقولة
ونقيضها وقد مر هذا البحث
فى أول البقرة فى قوله هدى للمتقين
وصاعقة العذاب داهيته وقارعته
والهون مصدر بمعنى الهوان
وصف به العذاب مبالغة أو أبدله
منه وكسبهم شركهم وتكذيبهم
صالحا وعقرهم الناقة ثم بين أحوال
الذين آمنوا واتقوا المعاصى بقوله
(ونجينا) الآية وحين بين عقوبتهم
فى الدنيا أخبر عن عذابهم وعذاب
أمثالهم فى الآخرة فقال (ويوم
يحشر) الآية والعامل فيه اذكر

عليه يومئذ به كافرا وقوله اعملوا ماشئتم وهذا أيضا وعيد لهم من الله خرج مخرج الامر وكذلك
كان مجاهد يقول حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح
عن مجاهد اعملوا ماشئتم قال هذا وعيد وقوله انه بما تعملون بصير يقول جل ثناؤه ان الله أيها
الناس بأعمالكم التي تعملونها ذو خبرة وعلم لا يخفى عليه منها ولا من غيرها شئ ۞ القول في تأويل
قوله تعالى ﴿ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين جحدوا هذا القرآن وكذبوا به لما
جاءهم وعنى بالذكر القرآن كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان
الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا بالقرآن وقوله وانه لكتاب عزيز يقول تعالى ذكره وان هذا
الذكر لكتاب عزيز باعزاز الله اياه وحفظه من كل من أراد له تبديلا أو تحريفا أو تغييرا من انسي
وجني وشيطان مارد * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وانه لكتاب عزيز يقول أعزه الله لأنه
كلامه وحفظه من الباطل حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط
عن السدي وانه لكتاب عزيز قال عزيز من الشيطان وقوله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معناه لا يأتيه النكير من بين يديه ولا من خلفه
ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال النكير من بين يديه ولا من خلفه * وقال آخرون
معنى ذلك لا يستطيع الشيطان أن ينقص منه حقا ولا يزيد فيه باطلا قالوا والباطل هو الشيطان
وقوله من بين يديه من قبل الحق ولا من خلفه من قبل الباطل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الباطل ابليس
لا يستطيع أن ينقص منه حقا ولا يزيد فيه باطلا * وقال آخرون معناه أن الباطل لا يطيق
أن يزيد فيه شيأ من الحروف ولا ينقص منه شيأ منها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين
قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه قال الباطل هو الشيطان لا يستطيع أن يزيد فيه حرفا ولا ينقص * وأولى الاقوال في ذلك
عندنا بالصواب أن يقال معناه لا يستطيع ذو باطل بكيده تغييره بكيده وتبديل شئ من معانيه عما
هو به وذلك هو الاتيان من بين يديه ولا الحاق ما ليس منه فيه وذلك اتيانه من خلفه وقوله تنزيل
من حكيم حميد يقول تعالى ذكره هو تنزيل من عند ذي حكمة بتدبير عباده وصرفهم فيما فيه
مصالحهم حميد يقول محمود على نعمه عليهم بأياديه عندهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ما يقال
لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم ما يقول لك هؤلاء المشركون المكذبون ما جئتهم به من عند ربك الا ما قد قاله
من قبلهم من الامم لرسلهم الذين كانوا من قبلك يقول له فاصبر على ما نالك من أذى منهم كما صبر
أولو العزم من الرسل ولا تكن كصاحب الحوت * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما يقال لك الا ما قد
قيل للرسل من قبلك يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم كما تسمعون يقول كذلك ما أتى الذين من
قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن

محذوفا أو هو ظرف لما يدل عليه
يوزعون كأنه قيل يمنعون يوم يحشر
فيحبس أوائلهم حتى يلحق بهم
أواخرهم قال جار الله هو عبارة
عن كثرة أهل النار قلت وذلك
لان الايزاع لا يحتاج اليه الا عند
كثرة العدد كما مر في النحل
وما الابهامية في قوله (حتى اذا
ما جاؤها) تفيد التأكيد وهو أن عند
وقت مجيئهم لا بد أن تحصل هذه
الشهادة وشهادة الجلود بملامسة
ما هو محرم وعن ابن عباس
المراد شهادة الفروج فيكون كناية
وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أول ما يتكلم من الآدمي فخذه
وكفه وفيه وعيد شديد في فعل الزنا

السدى فى قوله ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك قال ما يقولون الا ما قد قال المشركون
للرسل من قبلك وقوله ان ربك لذو مغفرة يقول ان ربك لذو مغفرة لذنوب التائبين اليه من
ذنوبهم بالصفح عنهم وذو عقاب أليم يقول وهو ذو عقاب مؤلم لمن أصر على كفره وذنوبه فمات على
الاصرار على ذلك قبل التوبة منه ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا
لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم
وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ يقول تعالى ذكره ولو جعلنا هذا القرآن
الذى أنزلناه يا محمد أعجميا لقال قومك من قريش لولا فصلت آياته يعنى هلا بينت أدلته وما فيه
من آية فنفقهه ونعلم ما هو وما فيه أأعجمى يعنى أنهم كانوا يقولون انكارا له أأعجمى هذا القرآن
ولسان الذى أنزل عليه عربى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير
أنه قال فى هذه الآية لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قال لو كان هذا القرآن أعجميا لقالوا القرآن
أعجمى ومحمد عربى حدثنا محمد بن المثنى قال ثنى محمد بن أبى عدى عن داود بن أبى هند
عن جعفر بن أبى وحشية عن سعيد بن جبير فى هذه الآية لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى
قال الرسول عربى واللسان أعجمى حدثنا ابن المثنى قال ثنى عبد الأعلى قال ثنا داود
عن سعيد بن جبير فى قوله ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قرآن
أعجمى ولسان عربى حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن محمد بن
أبى موسى عن عبد الله بن مطيع بنحوه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله
لولا فصلت آياته فجعل عربيا أعجمى الكلام وعربى الرجل حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا
أسباط عن السدى فى قوله ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته يقول بينت آياته
أأعجمى وعربى نحن قوم عرب ما لنا وللعجمة * وقد خالف هذا القول الذى ذكرناه عن هؤلاء
آخرون فقالوا معنى ذلك لولا فصلت آياته بعضها عربى وبعضها عجمى وهذا التأويل على تأويل
من قرأ أعجمى بترك الاستفهام فيه وجعله خبرا من الله تعالى عن قيل المشركين ذلك يعنى هلا
فصلت آياته منها عجمى تعرفه العجم ومنها عربى تفقهه العرب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن
حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال قالت قريش لولا أنزل هذا القرآن أعجميا وعربيا
فأنزل الله وقالوا لولا فصلت آياته أعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء فأنزل الله بعد
هذه الآية كل لسان فيه حجارة من سجيل قال فارسية أعربت سنك وكل وقرأت قراء الامصار
أأعجمى وعربى على وجه الاستفهام وذكر عن الحسن البصرى أنه قرأ ذلك أعجمى بهمزة واحدة
على غير مذهب الاستفهام على المعنى الذى ذكرناه عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير
❁ والصواب من القراءة فى ذلك عندنا القراءة التى عليها قراء الامصار لاجماع الحجة عليها على
مذهب الاستفهام وقوله قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهم هو يعنى
بقوله هو القرآن للذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا بما جاءهم به من عند ربهم هدى يعنى بيان للحق
وشفاء يعنى أنه شفاء من الجهل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء قال جعله الله نورا
وبركة وشفاء للمؤمنين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قل هو للذين آمنوا
هدى وشفاء قال القرآن وقوله والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى يقول تعالى ذكره

لان مقدمته تحصل بالكلف
ونهايته تكون بمساعدة الفخذ قوله
(أنطق كل شئ) من العمومات
المخصوصة أى ممن يصح النطق
منه والمراد أن القادر على خلقكم
وانطاقكم فى المرة الاولى فى الدنيا ثم
خلقكم وانطاقكم مرة أخرى وثالثة
فى القبر وفى القيامة كيف يستبعد
منه انطاق الجوارح والاعضاء
وقدمر تمام البحث فى يس عن
ابن مسعود قال كنت مستترا
بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر
ثقفيان وقرشى فقال أحدهم
أترون الله يسمع ما نقول فقال آخر
اذا رفعنا أصواتنا يسمع والا
لم يسمع وقال الآخر إن كان يسمع

والذين لا يؤمنون بالله ورسوله وما جاءهم به من عند الله فى آذانهم ثقل عن استماع هذا القرآن وصمم لا يستمعونه ولكنهم يعرضون عنه وهو عليهم عمى يقول وهذا القرآن على قلوب هؤلاء المكذبين به عمى عنه فلا يبصرون حججه عليهم وما فيه من مواعظه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى عموا وصموا عن القرآن فلا ينتفعون به ولا يرغبون فيه حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر قال صمم وهو عليهم عمى قال عميت قلوبهم عنه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وهو عليهم عمى قال العمى الكفر وقرأت قراء الامصار وهو عليهم عمى بفتح الميم وذكر عن ابن عباس أنه قرأ وهو عليهم عم بكسر الميم على وجه النعت للقرآن والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار وقوله أولئك ينادون من مكان بعيد اختلف أهل التأويل فى معناه فقال بعضهم معنى ذلك تشبيه من الله جل ثناؤه لعمى قلوبهم عن فهم ما أنزل فى القرآن من حججه ومواعظه ببعيد فهم سامع صوت من بعيد نودى فلم يفهم ما نودى كقول العرب للرجل القليل الفهم انك لتنادى من بعيد وكقولهم للفهم انك لتأخذ الامور من قريب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن بعض أصحابه عن مجاهد أولئك ينادون من مكان بعيد قال بعيد من قلوبهم حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولئك ينادون من مكان بعيد قال ضيعوا أن يقبلوا الامر من قريب يتوبون ويؤمنون فيقبل منهم فأبوا * وقال آخرون بل معنى ذلك انهم ينادون يوم القيامة من مكان بعيد منهم بأشنع أسمائهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أجلح عن الضحاك بن مزاحم أولئك ينادون من مكان بعيد قال ينادى الرجل بأشنع اسمه واختلف أهل العربية فى موضع تمام قوله ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم فقال بعضهم تمامه أولئك ينادون من مكان بعيد وجعل قائلو هذا القول خبر ان الذين كفروا بالذكر أولئك ينادون من مكان بعيد وقال بعض نحويى البصرة يجوز ذلك ويجوز أن يكون على الأخبار التى فى القرآن يستغنى بها كما استغنت أشياء عن الخبر اذا طال الكلام وعرف المعنى نحو قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض وما أشبه ذلك قال وحدثنى شيخ من أهل العلم قال سمعت عيسى بن عمر يسأل عمرو بن عبيد ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم أين خبره فقال عمرو معناه فى التفسير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به وانه لكتاب عزيز فقال عيسى أجدت يا أبا عثمان وكان بعض نحويى الكوفة يقول ان شئت جعلت جواب ان الذين كفروا بالذكر أولئك ينادون من مكان بعيد وان شئت كان جوابه فى قوله وانه لكتاب عزيز فيكون جوابه معلوما فترك فيكون أعرب الوجهين وأشبهه بما جاء فى القرآن * وقال آخرون بل ذلك مما انصرف عن الخبر عما ابتدئ به الى الخبر عن الذى بعده من الذكر فعلى هذا القول ترك الخبر عن الذين كفروا بالذكر وجعل الخبر عن الذكر فتمامه على هذا القول وانه لكتاب عزيز فكان معنى الكلام عند قائل هذا القول ان الذكر الذى كفر به هؤلاء المشركون لما جاءهم وانه لكتاب عزيز وشبهه بقوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب أن يقال هو مما ترك خبره اكتفاء بمعرفة السامعين بمعناه لما تطاول الكلام

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك

اذا رفعنا أصواتنا يسمع اذا خفضنا فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فنزل (وما كنتم تستترون) الآية وذلك أنهم كانوا يستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب القبائح فقيل لهم ما كان استتاركم ذلك خيفة أن تشهد عليكم جوارحكم هذه لأن ذلك غير ممكن فانها متصلة بكم وهى أعوانكم ومع ذلك لم يكن استتاركم فى اعتقادكم أنها تشهد عليكم ولكنكم استترتم لظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من أعمالكم وفيه رد على بعض الجهلة الذين يستخفون من الناس ولا يمكنهم الاستخفاء من الله وفيه تنبيه

لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا موسى الكتاب يا محمد يعنى التوراة كما آتيناك الفرقان فاختلف فيه يقول فاختلف فى العمل بما فيه الذين أوتوه من اليهود ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم يقول ولولا ما سبق من قضاء الله وحكمه فيهم أنه أخر عذابهم الى يوم القيامة لقضى بينهم يقول لعجل الفصل بينهم فيما اختلفوا فيه باهلاكه المبطلين منهم كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ولولا كلمة سبقت من ربك قال أخروا الى يوم القيامة وقوله وانهم لفى شك منه مريب يقول وان الفريق المبطل منهم لفى شك مما قالوا فيه مريب يقول يريبهم قولهم فيه ماقالوا لأنهم قالوا بغير ثبت وانما قالوه ظنا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ يقول تعالى ذكره من عمل بطاعة الله فى هذه الدنيا فأتمر لأمره وانتهى عما نهاه عنه فلنفسه يقول فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل لانه يجازى عليه جزاءه فيستوجب فى المعاد من الله الجنة والنجاة من النار ومن أساء فعليها يقول ومن عمل بمعاصى الله فيها فعلى نفسه جنى لانه أكسبها بذلك سخط الله والعقاب الأليم وما ربك بظلام للعبيد يقول تعالى ذكره وما ربك يا محمد بحامل عقوبة ذنب مذنب على غير مكتسبه بل لا يعاقب أحدا الا على جرمه الذى اكتسبه فى الدنيا أو على سبب استحقه به منه والله أعلم

على أن المؤمن يجب عليه أن يكون فى أوقات خلواته أهيب لربه وأوفر احتشاما ومراقبة ثم أخبر (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) ولا ينتج الصبر لهم فرجا وخلاصا (وان يستعتبوا) يطلبوا من الله الرضا عنهم (فما هم من المعتبين) أى من المرضيين والمراد أنهم باقون فى مكروههم أبدا سكتوا أو نطقوا قال الضعيف مؤلف الكتاب اذا كان هذا وعيد من ظن أنه يمكن اخفاء بعض الأعمال من الله بالاستتار والحجب فما ظنكم بوعيد من جزم أنه سبحانه غير عالم بالجزئيات نعوذ بالله من هذا الاعتقاد والله أعلم

﴿تم الجزء الرابع والعشرون من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الخامس والعشرون أوله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (اليه يرد علم الساعة)﴾

﴿ فهرست الجزء الرابع والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

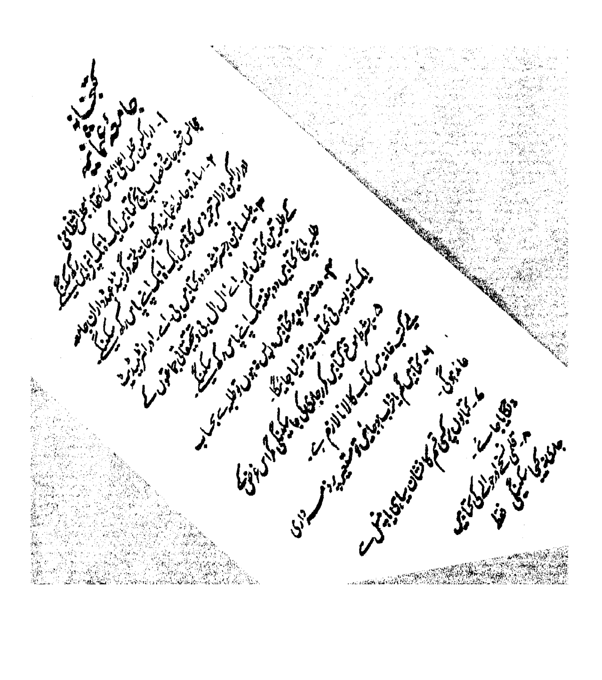
﴿ تم فهرست الجزء الرابع والعشرين من تفسير الامام ابن جرير ﴾

﴿ فهرست الجزء الرابع والعشرين من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش تفسير ابن جرير ﴾

﴿ تم فهرست الجزء الرابع والعشرين من تفسير النيسابوري ﴾

﴿ تنبيه ﴾

وقع في صلب صحيفة ٤٣ سطر ١٥ يديلنا وهو خطأ وصوابه يدلنا كتبه مصححه



کتب خانہ
جامعہ عثمانیہ